نموذج ترخيص

أنا الطالبـــ : كبرى أوزدمير كلش

أمنح الجامعة الأردنية و/أو من تفوضه ترخيصاً غير حصري دون مقابل بنشر و/أو استعمال و/أو استغلال و/أو ترجمة و/أو تصوير و/أو إعادة انتاج بأي طريقة كانت سواء ورقية و/أو إلكترونية أو غير ذلك، رسالة الماجستير/الدكتوراه المقدمة من قبلي وعنوانها :

بناء المجتمع المسلم في السور المكية

وذلك لغايات البحث العلمي و/أو التبادل مع المؤسسات التعليمية والجامعات و/أو لأي غاية أخرى تراها الجامعة الأردنية مناسبة، وأمنح الجامعة الحق بالترخيص للغير بجميع أو بعض ما رخصته لها.

اسم الطالبـــ : كبرى أوزدمير كلش

التوقيع:

التاريخ: 2020/08/24

# بناء المجتمع المسلم في السور المكية

إعداد

كبرى أوزدمير كلش

المشرف

الدكتور عبد الله أحمد حسين الزيوت

قدمت هذه الأطروحة استكمالًا لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في

التفسير

كلية الدراسات العليا

الجامعة الأردنية

آب، 2020

معتمد كلية الدراسات العليا
هذه النسخة من الرسالة
التوقيع.....التاريخ.....

## قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الأطروحة (بناء المجتمع المسلم في السور المكية) وأجيزت بتاريخ ٢٠٢٠/٠٨/٠٥ م.

| أعضاء لجنة المناقشة | | التوقيع |
|---|---|---|
| **الدكتور عبد الله أحمد الزيوت** | **(مشرفاً)** | ..... |
| أستاذ مشارك – التفسير وعلوم القرآن | | |
| **الدكتور جهاد محمد النصيرات** | **(عضواً)** | ..... |
| أستاذ – التفسير وعلوم القرآن | | |
| **الدكتور محمد مجلي الربابعة** | **(عضواً)** | ..... |
| أستاذ مشارك – التفسير وعلوم القرآن | | |
| **الدكتور خالد نواف الشوحة** | **(عضواً خارجياً)** | ..... |
| أستاذ – التفسير وعلوم القرآن (جامعة اليرموك) | | |

تعتمد كلية الدراسات العليا
هذه النسخة من الرسالة
التوقيع.....التاريخ.....

# الإهداء

إلى ابني الغالي أحمد يوسف الذي هو طالبي وهو معلّمي، أهدي هذه الرسالة.

# الشكر والتقدير

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيباً مباركاً فيه، ملء السماوات وملء الأرض، وملء ما شئت من شيء بعد، أهل الثناء والمجد، أحقّ ما قال العبد، وكلّنا لك عبد، أشكرك ربّي على أنْ يسرت لي إتمام هذا العمل.

وأتوجه بالشكر إلى مشرفي فضيلة الدكتور عبد الله أحمد الزيوت لصبره ولجهده في المتابعة وتذليل الصعوبات.

وأتقدم بخالص الشكر الجزيل إلى الأساتذة في لجنة المناقشة لما قاموا به من قراءة ونقد وملاحظات بنّاءة للرسالة.

وأخصّ بالشكر الذي لا تحصره الكلمات ولا تحدّه العبارات زوجِي رفيقي سلمان كلش الذي ما شكي يومًا انشغالي بالعلم عنه، بل كان خير عون على ذلك.

ويسرّني أن أتقدم بالشكر الجزيل إلى صديقاتي أسرى يلدريم، وعاليا أرفيدان، ومريم ميناوي اللواتي اعطينني وقتهن دون بخل، فكانت إرشاداتهن وتوجيهاتهن وملاحظاتهن نورًا اهتديت به في هذا البحث، وفي حياتي العلمية.

وأزجي فائق الشكر إلى أمّي "أم محمد" وأمّي الثانية "أم سلمان" وأبي "أبو محمد" وأبي الثاني "أبو سلمان" لإعانتهم في طلب العلم، وصبرهم على غربتي وابتعادي عنهم.

كما أتوجه بالشكر إلى وزارة التعليم التركية التي قدّمت لي المنحة الدراسية، ومنحتني فرصة الحصول على هذه المعرفة والعلم والتجربة من دولة أخرى وهي الأردن.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الباحثة: كبرى كلش

# فهرس المحتويات

**قرار لجنة المناقشة** ..... **ب**
**الإهداء** ..... **ج**
**الشكر والتقدير** ..... **د**
**فهرس المحتويات** ..... **ه**
**الملخص** ..... **ز**
**المقدمة** ..... **١**
**الفصل التمهيدي: المدخل إلى الدراسة** ..... **٨**
المبحث الأول: مصطلحات الدراسة ..... ٩
المطلب الأول: المجتمع المسلم لغةً واصطلاحاً ..... ٩
المطلب الثاني: السُّور المكّيّة ..... ١٥
المبحث الثاني: فكرة المجتمع المسلم وبناؤه في السُّور المكية ..... ١٩
المطلب الأول: فكرة المجتمع المسلم في السُّور المكية ..... ١٩
المطلب الثاني: بناء المجتمع المسلم والسور المكية ..... ٢١
**الفصل الأول :خصائص المجتمع الجاهلي** ..... **٢٧**
المبحث الأول: الحياة العقديّة والعباديّة في المجتمع الجاهلي ..... ٣١
المطلب الأول: الحياة العقدية الجاهلية ..... ٣٢
المطلب الثاني: الحياة العبادية الجاهلية ..... ٣٧
المبحث الثاني: الحياة الأخلاقية في المجتمع الجاهلي ..... ٤٢
المطلب الأول: الكرم ..... ٤٢
المطلب الثاني: الشجاعة ..... ٤٤
المطلب الثالث: القانون والتشريع ..... ٤٥
المبحث الثالث: الحياة الاجتماعية في المجتمع الجاهلي ..... ٤٧
المطلب الأول: القبيلة والعصبية وطبقات المجتمع ..... ٤٧
المطلب الثاني: المرأة ومكانتها في المجتمع الجاهلي ..... ٤٩
المطلب الثالث: الأوضاع الاقتصادية في المجتمع الجاهلي ..... ٥٠
**الفصل الثاني: عناصر المجتمع المسلم وبناؤها في السُّور المكية** ..... **٥٤**
المبحث الأول: الإنسان وبناؤه في السُّور المكّيّة ..... ٥٥
المطلب الأول: الإنسان على المستوى الفردي ..... ٥٧

المطلب الثاني: الإنسان على المستوى الجماعي..... ٦٨
المبحث الثاني: البيئة في السُّور المكّيّة..... ٧٥
المطلب الأول: الطبيعة ..... ٧٥
المطلب الثاني: المدينة ..... ٨٢
المبحث الثالث: العلاقات وبناؤها في السُّور المكّيّة ..... ٨٧
المطلب الأول: العلاقة بين الإنسان وخالقه سبحانه وتعالى..... ٨٧
المطلب الثاني: العلاقات البشرية ..... ٩٠
المطلب الثالث: علاقة الإنسان مع البيئة ..... ١٠١
**الفصل الثالث: أصول المجتمع المسلم في السُّوَر المكّيّة ..... ١٠٥**
المبحث الأول: الأصول العقديّة في السُّوَر المكّيّة..... ١٠٦
المطلب الأول: الإيمان بالله تعالى ..... ١٠٩
المطلب الثاني: الإيمان بالكتب الإلهية ..... ١١٢
المطلب الثالث: الإيمان بالرسل..... ١١٣
المطلب الرابع: الإيمان باليوم الآخر ..... ١١٤
المطلب الخامس: الأصول العبادية في السُّوَر المكّيّة..... ١١٨
أولا: الصلاة..... ١٢٠
ثانيا: الإنفاق..... ١٢٣
ثالثا: المأكولات..... ١٢٦
المبحث الثاني: الأصول الأخلاقية في السُّوَر المكّيّة ..... ١٢٧
المطلب الأول: أصول الأخلاق الفردية ..... ١٢٨
المطلب الثاني: أصول الأخلاق الأسرية ..... ١٣١
المطلب الثاني: أصول الأخلاق الاجتماعية ..... ١٣٣
المبحث الثالث: الأصول الاجتماعية في السُّوَر المكّيّة ..... ١٤١
المطلب الأول: المفاهيم المتعلّقة بالظواهر الاجتماعية..... ١٤١
المطلب الثّاني: الأوامر الاجتماعية في السُّوَر المكّيّة..... ١٤٩
**النتائج ..... ١٥٨**
**المصادر والمراجع ..... ١٦٢**

# بناء المجتمع المسلم في السور المكية

**إعداد**

**كبرى أوزدمير كلش**

**المشرف**

**الدكتور عبد الله أحمد الزيوت**

## الملخص

تناولت هذه الدراسة بناء المجتمع المسلم في السور المكية، وهدفت إلى إظهار مساهمة السور المكية في بناء المجتمع المسلم، وبيان ما تضمنته هذه السور من عناصر المجتمع، والأصول التي تشكل هذه العناصر من النواحي العقدية، والأخلاقية، والاجتماعية. واستخدمت الدراسة عدة مناهج، منها: المنهج الاستقرائي، والمنهج الوصفي، والمنهج التحليلي.

بدأت الدراسة بالتعريف بالمجتمع المسلم، وعناصره، وأصول إنشائه. ثم انتقلت إلى الحديث عن خصائص المجتمع الجاهلي العقدية، والأخلاقية، والاجتماعية لإظهار أهمية الحاجة إلى مجتمع جديد وهو المجتمع الإسلامي. وتناولت في الفصل الثاني عناصر المجتمع المسلم في السور المكية؛ فهي الإنسان، والبيئة، والعلاقات، وانشائها. وأخيرًا تحدثت عن أصول المجتمع المسلم التي جاءت في السور المكية الأكثر ذكرًا، فهي الأصول العقدية، والأصول الأخلاقية، والأصول الاجتماعية.

ويرجع السبب في اختيار السور المكية إلى قلة ارتباط الجانب الاجتماعي للإسلام بالعهد المكي في بعض الدراسات الحديثة، وخلصت الدراسة إلى عدة نتائج من أهمها أن بناء المجتمع المسلم كان من أهم مهمّات السُّور المكيّة، حيث أعلن القرآن الكريم في بداية إنزاله خطته الاجتماعية في هداية المجتمع، وتشكل المجتمع المسلم في العهد المكي من خلال انشاء عناصر هذا المجتمع وفقا الأصول العقدية، والأخلاقية، والاجتماعية المذكورة في السور المكية.

الكلمات الدالة: المجتمع، المجتمع المسلم، انشاء المجتمع المسلم، السور المكية.

# المقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على النبيّ الهادي المبعوث رحمة للعالمين، اللهم صلّ وسلّم وبارك عليه وعلى آله وصحبه الطيّبين الطاهرين، وعلى التابعين لهم بإحسان على يوم الدين، وبعد؛

فقد جاء القرآن الكريم لنقل البشريّة من ظلمات الجاهليّة إلى النور الإلهي، ولينظم حياتهم وفق تعاليمه وأحكامه، وليأسس مجتمعاً مسلماً يضمن لهم سعادتي الدنيا والآخرة، فهو كتاب هداية احتوى في مضامينه الكبرى ركنين أساسيّين: العقيدة، والأخلاق، وهذان الرّكنان يضمنان - عند تحقّقهما بشكلهما الأكمل الذي أراده الله تبارك وتعالى- تشكيل بيئة الفرد، وبناء مجتمعه حسب اعتقاده، وإعمار الأرض، وتشييد الحضارات الإنسانية.

ومن المجالات الأولى التي يمكن أنْ يتحقق فيها تأثير القرآن الكريم ويُشاهد على أرض الواقع هو تشكيل المجتمع المسلم وتأسيسه، استنادًا إلى الغاية التي جاء بها القرآن الكريم، وهي هداية الناس وسعادتهم في الدنيا والآخرة؛ فيمكن القول: إنّ بداية الوحي الإلهي هي بداية تشكّل المجتمع المسلم، فقد أرسى النبي صلى الله عليه وسلم قواعد ثابتة لكثير من الحقائق في شتّى جوانب الحياة الفكرية والأخلاقية والاجتماعية منذ أيّام بعثته الأولى وحتّى وفاته صلى الله عليه وسلم.

وتهدف هذه الدراسة بعد الاستنارة والتشرّف بالسّور المكيّة التي تعدُّ سور العهد التشكيلي للمجتمع المسلم إلى كشف أساس المجتمع المسلم وأصوله، وتوضح هويّته بما يُفهم من ظاهر آيات القرآن الكريم، وبفهم المفسرين؛ لاستجلاء فهمٍ خاصٍّ ونموذجٍ تامٍّ لبناء المجتمع المسلم وفق منظومة التعاليم القرآنية.

وهدفت الدراسة إلي بيان عظمة القرآن الكريم في بناء المجتمع المسلم في الفترة المكيّة تحديدًا، وإلى إظهار عناصر المجتمع المسلم، وكيفية إنشائها، والأسس التي تشكّل هذه العناصر، التي بُني عليها المجتمع المسلم في السّور المكية من النواحي العقدية، والأخلاقية، والاجتماعية.

فبهذا تتلخص مشكلة الدراسة في أنها تسعى للإجابة عن السؤال الرئيس الآتي:

- كيف تناولت السور المكية بناء المجتمع المسلم؟

ويتفرع عن هذا السؤال الرئيس الأسئلة الآتية:

- ما خصائص المجتمع الجاهلي قبل الإسلام عقديًا، وأخلاقيًا، واجتماعيًا؟

- ما المقصود بالمجتمع، وما عناصر تكوينه؟ وكيف تناولت السور المكية هذه العناصر وإنشاءها؟
- ما الأصول التي اهتم القرآن الكريم بها أكثر في العهد المكي لإنشاء المجتمع المسلم؟ وكيف تناولت السور المكية هذه الأصول؟

**أهمية الدراسة**: تبرز أهمية الدراسة من خلال الآتي:

- إنّ إبراز دور القرآن الكريم في وضع حجر الأساس للمجتمع المسلم في العهد المكي، وبيان عناصر المجتمع التي يتشكّل منها المجتمع المسلم، وإظهار الأسس التي قام عليها المجتمع في تلك الفترة من شأنه أنْ يفيد طلبة العلم عامة، والباحثين عن مقومات بناء المجتمع من منظور القرآن الكريم خاصة.
- إنّ بيان وجود المجتمع المسلم في العهد المكي ودور القرآن الكريم في بناء هذا المجتمع وإنشاء عناصر المجتمع المسلم من شأنه أنْ يفيد في تدبّر السور المكيّة وتفسيرها من زوايا مختلفة.
- لم يحظ هذا الموضوع ـ في حدود اطلاع الباحثة ـ بدراسة علميّة متخصصة في هذا المجال، فهو يبحث بناء المجتمع في السور المكيّة تحديدًا، وهذا ما يميزها عن غيرها من الدراسات التي تناولتْ بناء المجتمع المسلم؛ ولذلك من المتوقع أنْ تقدم هذه الرسالة العلمية للمكتبة الإسلامية إضافة ولو يسيرة في هذا المجال.

**الدراسات السابقة:**

لم يحظ هذا الموضوع - في حدود اطلاع الباحثة - بدراسة علمية متخصّصة في هذا المجال، ولكنّها وجدت دراسات لها صلة بهذا الموضوع، وهي على النحو الآتي:

- إبراهيم بن يوسف بن محمد المرزوقي، **بناء الفرد في عهد الدعوة المكي**، رسالة الماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض – ١٤٠٤.

اشتملت الرسالة على مقدمة وأربعة فصول، وهي البناء الإدراكي، والتكوين العقدي، والتربية النفسية، وبناء الأخلاق والسلوك. والهدف المحوري لهذه الدراسة هو بيان بناء الفرد في العهد المكي، ولم يبحث الكاتب عن البناء الاجتماعي وأهم أسس المجتمع المسلم كما تقرره السور المكية، ولم يركز على أوضاع المجتمع الجاهلي، وهذه الأمور ما تريد الباحثة أن تدرسها في رسالتها.

ومن الجدير بالذكر أنّ بعض المسائل التي بحثها الكاتب والتي ستبحثها الباحثة في هذه الدراسة متقاربة، ولكن الباحث ركّز على بناء الفرد، أما الباحثة فتركز على بناء المجتمع.

- محمد شلتوت، **منهج القرآن في بناء المجتمع**، دار الكتاب العربي، مصر – ١٣٧٥هـ.

هذا كتاب يشتمل على مجموعة من المسائل التي تتعلق ببناء المجتمع في الإسلام، مثل: أساس الإسلام في رباط المجتمع، والتبتّل في نظر الإسلام، والأموال في نظر الإسلام، وغير ذلك. والكاتب يبحث عن هذه القضايا بشكل عام وملخّص، ولم يركز على السور المكية أو السور المدنية عندما درس الموضوع، وفي هذه الدراسة سيتم التركيز على هذه القضايا في السور المكية بشكل خاص.

- محمد البهي، **منهج القرآن في تطوير المجتمع**، مكتبة وهبة، القاهرة – ١٩٩٥.

اشتمل الكتاب على مقدمة وخمسة فصول وهي في تشريع العبادات، وفي تشريع الأسرة، وفي تشريع العلاقات بين الأفراد، وفي تشريع الأموال، وفي تشريع العلاقات مع الأعداء. يتكلم الكاتب عن بناء المجتمع من ناحية العملية في القرآن الكريم بدون التركيز على المكي والمدني. أما الباحثة فتريد أن تبحث عن بناء المجتمع سواء كان فكريًا أوعمليًا في العهد المكي.

- عمر صالح عمر الكوجر، **الآيات التي لها سبب نزول ودورها في بناء المجتمع**، جامعة العلوم الإسلامية، رسالة ماجستير، عمان، الأردن، ٢٠١٢.

تناولت الدراسة مسار بناء الإنسان بإمداد عقله بالمفاهيم الصحيحة، وملء قلبه بالإيمان واليقين، ورسم حدود المنهج العلمي الذي ينبغي أن يسير عليه ويلتزم به، أمّا في المسار الثاني فيتناول الكاتب دفع الإنسان ودعمه المستمر ليواصل مسيرته في هذا المسار، واستمراره في أداء رسالته، واجتياز العقبات التي تعترض طريقه، فتناولت هذه الرسالة الآيات التي فيها أسباب نزول وعددها ٥٠٠ آية.

وفي الدراسة الحالية تركّز الباحثة على السور المكيّة ودورها في بناء المجتمع المسلم، على عكس الكاتب الذي تناول جميع السور.

- رشيد رياض رشيد ولويل، **الفروض الكفائية وأهميتها في بناء المجتمع**، جامعة النجاح الوطنية، رسالة ماجستير، نابلس، فلسطين، ٢٠١٥.

تناول المؤلف الفروض الكفائية التي تهمّ مجموع الأمة، وأهميتها في بناء المجتمع وتقدّمه وازدهاره عن طريق جمعها ووصفها وتحليلها، فتحدث عن مفهوم الفروض الكفائية وحكمها وفضلها والفرق بينها وبين الفروض العينية، وأهمّ الفروض الكفائية في المجال العلمي، وضرورة التنمية الاقتصادية باعتبارها فرضاً كفائياً، وقد اعتمد الأحاديث والآيات التي تناولت ذلك.

أمّا هذه الدراسة فتختص بالسور المكية، وليس فيها اقتصار على الفروض الكفائية، بل بناء المجتمع المسلم بشكل واسع، وهذا ما يميز الدراسة الحالية عن دراسة رشيد رياض.

- يحيى إبراهيم داود عبدي، **طرائق البناء التربوي للفرد والمجتمع في القرآن الكريم ومدى تضمنها في مقررات التربية الإسلامية للمرحلة الأساسية العليا في الأردن**، جامعة آل البيت، رسالة ماجستير، المفرق، الأردن، ٢٠١٧.

هدفت هذه الرسالة إلى التعرف على طرائق البناء التربوي للفرد والمجتمع كما وردت في القرآن الكريم وفي كتب التربية الإسلامية للصفوف الثلاثة الأخيرة للمرحلة الأساسية العليا في الأردن، واستخدم الباحث أداة تحليل المحتوى لتحديد قائمة المفاهيم التربوية وتحليل منهاج التربية الإسلامية لهذه الصفوف.

أمّا في هذه الدراسة فإن الباحثة تركز على بناء المجتمع الإسلامي في السور المكية.

وممّا سبق يمكن القول إنّ هذه الدراسة وإنْ وجدتْ دراسات سابقة لها من حيث العموم النسبي إلاّ أنّها تتمايز عنها بملاحظ منها:

- التركيز على أضواع المجتمع الجاهلي، والرجوع إلى المصادر التاريخية التي رسمت المجتمع الجاهلي الذي يعالجه القرآن الكريم.
- تحليل الآيات المكية التي ترشد الناس من الناحية الاجتماعية.
- استنتاج عناصر المجتمع المسلم وأسس بنائها في السور المكية.
- بيان دور القرآن الكريم في وضع حجر الأساس للمجتمع المسلم في العهد المكي.

**منهج البحث**: اقتضت طبيعة هذه الدراسة إتباع المناهج الآتية:

المنهج الاستقرائي، وذلك بتحديد الآيات القرآنية المتحدثة عن القضايا المتعلقة ببناء المجتمع المسلم من خلال السور المكية.

المنهج الوصفي من خلال تقسيم الدراسة تقسيما مناسبًا للآيات التي تتعلق ببناء المجتمع في السور المكية.

المنهج التحليلي لإعطاء صورة متكاملة عن بناء المجتمع المسلم من خلال السور المكية.

**هيكل الدراسة**: اقتضت طبيعة هذه الدراسة أن تقسم على النحو الآتي:

المقدمة: وفيها مشكلة الدراسة، وأهميتها، وأهدافها، والدراسات السابقة، والمنهج المتبع فيها.

الفصل التمهيدي: المدخل إلى الدراسة

المبحث الأول: مصطلحات الدراسة

المطلب الأول: المجتمع المسلم لغةً واصطلاحًا

المطلب الثاني: السور المكية

المبحث الثاني: فكرة المجتمع المسلم وبناؤه في السور المكية

المطلب الأول: فكرة المجتمع المسلم في السور المكية

المطلب الثاني: بناء المجتمع المسلم في السور المكية

الفصل الأول: خصائص المجتمع الجاهلي

المبحث الأول: الخصائص العقدية والعبادية في المجتمع الجاهلي

المبحث الثاني: الخصائص الأخلاقية في المجتمع الجاهلي

المبحث الثالث: الخصائص الاجتماعية في المجتمع الجاهلي

الفصل الثاني: عناصر المجتمع المسلم وبناؤها في السور المكية

المبحث الأول: الإنسان وبناؤه في السور المكية

المبحث الثاني: البيئة وبناؤها في السور المكية

المبحث الثالث: العلاقات وبناؤها في السور المكية

الفصل الثالث: أصول المجتمع المسلم في السور المكية

المبحث الأول: الأصول العقدية والعبادية في السور المكية

المبحث الثاني: الأصول الأخلاقية في السور المكية

المبحث الثالث: الأصول الاجتماعية في السور المكية

الخاتمة: وفيها أبرز النتائج.

# الفصل التمهيدي: المدخل إلى الدراسة

المبحث الأول: مصطلحات الدراسة

المطلب الأول: المجتمع المسلم لغةً واصطلاحًا

المطلب الثاني: السور المكية

المبحث الثاني: فكرة المجتمع المسلم وبناؤه في السُّور المكية

المطلب الأول: فكرة المجتمع المسلم في السور المكية

المطلب الثاني: بناء المجتمع المسلم في السور المكية

# الفصل التمهيدي: المدخل إلى الدراسة

قبل الولوج إلى موضوع الدراسة من المناسب بيان المصطلحات المتعلقة بهذه الدراسة، وذلك بالمبحثين الآتيين، أولهما يتناول مصطلحات عنوان الدراسة، وثانيهما يتحدث عن فكرة وجود المجتمع المسلم في العهد المكّي، وبناء المجتمع المسلم في السُّور المكّيّة.

## المبحث الأول: مصطلحات الدراسة

في هذا المبحث عرض للمصطلحات التي وردت في عنوان الدراسة، وتعريفها لغوياً واصطلاحيا، في مطلبين: المطلب الأول: المجتمع المسلم لغة واصطلاحاً. والمطلب الثاني: السُّور المكية.

### المطلب الأول: المجتمع المسلم لغةً واصطلاحاً:

#### أولاً: المجتمع:

كلمة مجتمع مشتقة من الفعل الثلاثي جَمَعَ، وهو عكس فَرَّق، وتدل في الأصل على انضمام شيء لشيء[١] بتقريب بعضه من بعض، و"جَمَعَ الشيءَ عَنْ تَفْرِقة يَجْمَعُه جَمْعاً، وجَمَّعَه، وأَجْمَعَه فاجتَمع واجْدَمَعَ، وَهِيَ مُضَارَعَةٌ، وَكَذَلِكَ تجمَّع واسْتجمع"[٢]، ويعني المجتمع: الملكية المشتركة أو الزمالة.[٣] والرجوع إلى معاجم اللغة يُظهر أنّ "لفظ (الجمع) استُعمل اسمًا لِجَمَاعَةِ النَّاسِ، والجمْعُ: المجتمِعون، وجَمْعُه جُمُوعٌ، والجَماعةُ والجَمِيع والمَجْمع والمَجْمَعةُ كالجَمْع."[٤]

جاء في لسان العرب: "تَجمَّعَ القوم اجتَمعُوا من هاهنا وهاهنا"[٥]، وهو تعبير يُلحظ منه استِحضار صاحبه لمبدأ نشأة المجتمعات،[٦] ولكن -كما سنشير إليه لاحقاً- الاجتماع ليس سمة كافية للمجتمع لأن يكون مجتمعاً. فالجماعة لا تتشكّل من الأفراد فحسب، بل إنّها نوع جديد من الواقع الاجتماعي الذي يوجد بين الأفراد، وذلك بحكم واقعة التفاعل التي أنشأت

---

[١] ينظر: ابن فارس، أحمد (ت: ٣٩٥هـ)، **معجم مقاييس اللغة**، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٩، ج١-ص٤٨٩.

[٢] ابن منظور، محمد بن مكرم (١٤١٤هـ)، **لسان العرب**، (ط.٣)، بيروت: دار صادر، جـ٨، ص٥٣.

[٣] ينظر: عبد اللطيف، رشـــاد أحمد (١٩٩٩)، **طريقة تنظيم المجتمع في الخدمة الاجتماعية: مدخل إلى دراسة المجتمع**، الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث، ص١٠.

[٤] ابن منظور، **لسان العرب**، جـــ ٨، ص٥٣. وأيضا ينظر: الفراهيدي، الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم (ت: ١٧٠هـ)، **كتاب العين**، دار ومكتبة الهلال، جـ١ – ص٢٣٩-٢٤٠.

[٥] ابن منظور، **لسان العرب**، جـ٨، ص٥٣.

[٦] ينظر: أبو غدة، حســن عبد الغنى ومجموعة من المؤلفين (٢٠١٧)، **الإســلام وبناء المجتمع**، ط٧، مكتبة الرشد، ص١٠.

علاقات بين أعضائها، كما تشكّل نُظماً ومؤسسات خاصة به، على هذا يمكن أنْ يقال إنَّ الجماعة هي نوع معيّن من الواقع الموجود في استقلال عن رغبات وإرادات الأفراد[١].

والمجتمع مفهوم يتعلّق بعلم الاجتماع مباشرة من حيث محتواه؛ ولفهم هذا المفهوم وتحديد ماهيّته بشكل دقيق لا بُدَّ من الرجوع إلى مصنفات علم الاجتماع، مع أنه بالرجوع إلى تلك المصنّفات يظهر لنا جليّاً أنّ علماء الاجتماع لم يتفقوا على معنًى محددّ لمفهوم المجتمع، فكلٌّ يعرفه من وجهة نظره،[٢] وفيما يلي عرض لبعض هذه التعريفات:

يعرف روبرت ماكيفر (R. Maciver) المجتمع بأنّه "مساحة من الأرض قد تكون منظمة أو إقليماً إلّا أنّها تتميّز عن غيرها، وتحدُث بين أفراده مجموعة من التفاعلات".[٣] وهذا التعريف يركّز على ثلاثة أبعاد رئيسة هي: الأفراد، المكان، والتفاعل.

ويختلف أرثر مورجان (A. Morgan) مع هذا التعريف ببعض الزيادات اللازمة، ويعرف المجتمع بأنّه "مجموعة منظمة من الأفراد والعائلات ممّن يعملون في تضافر وتضامن كوحدة واحدة لمقابلة احتياجاتهم المشتركة، في إطار الميول والعادات والمصالح المشتركة التي تربط فيها بينهم؛ وهو في ذلك يشمل: الناس، والمكان، والعلاقات الاجتماعية، والتعاون، والمصالح المشتركة"[٤].

ويعتبر تعريف هربرت ستروب (H.Stroup) قريبًا من تعريف مورجان؛ فقد رأى أن المجتمع "عبارة عن مجموعة من الأفراد يدركون أنّهم يكوّنون وحدة واحدة، ويعيشون في مساحة جغرافية معروفة المعالم، وينظّم العلاقة بينهم مجموعةٌ من النظم، تسمح لأفراد المجتمع بالتعبير عن مشاعرهم وآرائهم لإشباع احتياجاتهم".[٥]

---

[١] ينظر: حسنين، جمال مجدي (٢٠٠٧)، **سوسيولوجيا المجتمع**، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ص٢٣٠-٢٣٢.

[٢] إنّ تراث علم الاجتماع مليء بكثير من الآراء حول تعريف المجتمع، وقد أكّد جورج هيلرى G. A. Hillery ذلك بمحاولته جمع أكثر من خمسة وتسعون تعريفاً للمجتمع، فوجد أنّها تحتوي معانيَ مختلفة للمجتمع، إلا أنّها متفقة في كون المجتمع يتشكل من بشر ومساحة جغرافية. كشك، محمد بهجت (١٩٨٦)، **المدخل إلى تنظيم المجتمع**، الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث، ص٨-١٢. وللمزيد من المعلومات ينظر: حسنين، جمال مجدي (٢٠٠٧)، **سوسيولوجيا المجتمع**، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ص٢٢٧-٢٢٨.

[٣] عبد اللطيف، رشاد أحمد (١٩٩٩)، **طريقة التنظيم المجتمع في الخدمة الاجتماعية مدخل دراسة المجتمع**، الإسكندرية: الكتب الجامعي الحديث، ص١١.

[٤] المصدر نفسه، ص١١.

[٥] المصدر نفسه، ص١١.

ومن هنا يمكننا تعريف المجتمع بأنّه مجموعة من الأفراد -اثنان فأكثر- "يعيشون في بقعة من الأرض المعيّنة المحدودة، وتربُطهم روابط وعلاقات اجتماعية معيّنة، وتقوم بينهم طائفة من القواعد والنظم والأساليب المنظِّمة لسلوكهم، ويسعى أفراده لتحقيق أهداف محددة"[١].

وقد يُعرَّف المجتمع بشكل أوسع بأنّه "مجموعة من الأفراد -اثنان فأكثر- لها أهداف ومصالح مشتركة، يعيشون في مساحة من الأرض تجعلهم في اتصال مستمرّ، يتعاونون على وحدة المجتمع الذي يعيشون فيه، ويتميّزون بنظم اجتماعية معيّنة تنظم العلاقات الاجتماعية فيما بينهم، وعلاقة صريحة قد تكون جغرافية أو سلالية أو اقتصادية، أو وحدة الأهداف، أو وحدة العمل، والشعور بالتبعيّة أو الشعور بالنوع أو الشعور بالانتماء إلى وحدة واحدة، ويحدّد فيها للأفراد أدوارهم الاجتماعية ومكانتهم الاجتماعية، ولهذا الوحدة الاجتماعية مجموعة من المعايير والقيم الخاصة بها التي تحدّد سلوك أفرادها على الأقل في الأمور التي تخص الجماعة؛ سعيًا لتحقيق هدف مشترك"[٢].

ومن هذين التعريفين، يظهر أنّ المجتمع يتشكل من المقومات الأساسية، وهي كما يلي:

١. مجموعة من الأفراد، عضوان فأكثر،[٣] وبناءً على ذلك يمكن القول في هذه الدراسة: إنّ بداية تجسد المجتمع الإسلامي هي إسلام أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها وهي أوّل من آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم من النساء والرجال.
٢. "استقرار هذا الجَمْعِ في بيئة معينة"[٤]. وهي مكة المكرمة في العهد المكّي.

يعتبر الأرض عند علماء علم الاجتماع من العناصر المهمة، ويأكد "القرآن الكريم اعتبار الأرض عاملا من عوامل الاجتماع الإنساني وذلك بطرق شتى من أبرزها جعلها الأرض أساسا للمجتمع الإنساني بأسره وبداية تكوينه قال تعالى: **﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾** [البقرة:

---

[١] المليجي، إبراهيم عبد الهادي (٢٠٠٣)، **تنظيم المجتمع المعاصر نظرة تكاملية لطرق الخدمة الاجتماعية**، الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث، ص١٩-٢٠.

[٢] حمودة، مسعد الفارق والمليجي، إبراهيم (٢٠٠١)، **المدخل إلى تنظيم المجتمع**، الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث، ص١٢. وينظر: والزعبي، أحمد محمد (٢٠٠١)، **أسس علم النفس الاجتماعي**، عمان: دار زهران، ص١٢٤.

[٣] ينظر: الزعبي، **أسس علم النفس الاجتماعي**، ص١٢٤.

[٤] الخشاب، مصطفى (١٩٩٣)، **علم الاجتماع ومدارسه**، ط.٥، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ص١١٥.

٣٦]، فإشارة النص الحكيم بجعل الأرض مكانا لاستقرار البشر وإيفاء باحتياجاتهم دليل قاطع لا يقبل الجدل كون الأرض أو العنصر المكاني هو من أهم ما يحتاجه المجتمع كي ينشأ ابتداءً."[١]

٣. التفاعل بين الأفراد: ويقصد به "عملية مستمرة ومنظمة من الأفعال، بهدف إثارة ردّ فعل معيّن من جانب الطرف الآخر في التفاعل، والذي يؤثر بدوره في الطرف الأول لعملية التفاعل"[٢] ويؤدي هذا التفاعل بين الأفراد إلى تشكيل العلاقات الاجتماعية[٣].

ولعلّ العلاقات الاجتماعية من أهمّ المقوّمات الأساسية للمجتمع؛ لأنّ "مجموعة الناس من دون علاقات دائمة ومستمرة نسبيًا لا تشكل مجتمعًا ولو كانت آلافًا مؤلفة"[٤]؛ فهي تحفظ المجتمعات وتوحّدها، ولذلك يُعدُّ استمرار العلاقات بين الأفراد ودوامها عنصرًا أساسيًا يؤدي إلى تكامل المجتمع[٥].

وتتضمّن هذه العلاقات المستويين من العلاقات: العلاقات الأولية كعلاقة الفرد بأسرته، أو بأصدقائه... وتقوم هذه العلاقات على التقاليد والأعراف؛ أمّا النوع الآخر من العلاقات، فهي العلاقة الثانوية، مثل: علاقة بيئة المدرسة بين المعلمين والإدارة، وتتّصف بأنّها غير مباشرة، وتحكمها في الأعمّ الأغلب القوانين الرسمية.[٦]

٤. النظم الاجتماعية: التي تنشأ من التفاعل بين الأفراد، وعلاقاتهم المستمرّة، واتحاد مصالحهم؛ وقواعد، وقيم، وأنماط اجتماعية ثقافية تميّز جماعة إنسانية عن أخرى، لتحقيق دوافعهم الاجتماعية، وأهدافهم المشتركة، وحاجاتهم الضرورية؛ تُسمّى هذه القواعد والقِيم الاجتماعية بالنظم الاجتماعية، وهي دُستُور المجتمع الذي ينتظم مجموعة القيم والأحكام التي ارتضاها عقل الجماعة، والتي تنظم حياة الأفراد،

---

(١) أبو مغلي، عماد عادل مسعود (٢٠٠٨)، العلاقات الاجتماعية في القرآن الكريم: دراسة موضوعية، رسالة دكتوراه منشورة، جامعة اليرموك، الأردن، ص١٦.

(٢) حسنين، **سوسيولوجيا المجتمع**، ص٩٠.

(٣) ينظر: عثمان، إبراهيم عيسى (٢٠١٤)، **مقدمة في علم الاجتماع**، عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع، ص٩٣.

(٤) دخل الله، أيوب (٢٠١٥)، **التربية ومشكلات المجتمع في عصر العولمة**، بيروت: دار الكتب العلمية، ص٢٧.

(٥) ينظر: المليجي، **تنظيم المجتمع المعاصر**، ص٢٠.

(٦) ينظر: عثمان، **مقدمة في علم الاجتماع**، ص١١٩.

وتُحقق الأغراض الفذة من الحياة الاجتماعية، ومن ذلك النظم السياسية، والنظم الاقتصادية، والنظم الدينية، والنظم التشريعية، وغيرها.[١]

٥. الأهداف المحدّدة: "وهي القَصْدُ الكلّي، والنهائي، وغاية الغايات من كلّ فعاليّة تقوم بالمجتمع، وهي في المجتمع الإسلامي مرضاة الله سبحانه وتعالى"[٢].

ولعلّ ممّا تَحْسُنُ الإشارة إليه هنا أنّ لفظ "المجتمع" لم يَرِدْ في كتاب الله تعالى بهذه الصيغة، وكذلك لم يُستعمل في الخطاب اللّغوي العام لعصر نزول الوحي[٣]، لكنّ القرآن الكريم استخدم مفرداتٍ أخرى تعبّر عن مفهوم المجتمع مثل: "الجمع"، و"القوم"، و"الشعب"، و"الأمة"[٤].

ومفهوم "الأمة" من هذه التعبيرات مهم لهذه الدراسة، فقدْ وردتْ هذه الكلمة في "القرآن الكريم عشرات المرّات، وقد تركّز ذكرها في المرحلة الوسطى من نزول السُّور القرآنية بحسب ترتيب النزول التاريخي، فلم تُذكَرْ في السُّور المكّية الأولى، وقليلا ما ذُكرت في السُّور القرآنية الأخيرة، ولكننا نجد ذكرها في السُّور المكّية المتأخرة كثيفاً، فقد ورد ذكر الأمة في السُّور المكّية -وخاصةً المتأخرة منها - في إحدى وخمسين مرة، ووردَت في السُّور المدنية أربعَ عشرة مرة".[٥]

وقد استعمل هذا اللفظ للدلالة على عِدَّة معانٍ، منها: الجماعة من الناس، وهو الاستعمال الغالب في القرآن الكريم[٦]، ولعلّ ورود كلمة "أمة" بمعنى الجماعة في سياقات مختلفة ومواضع متعددة من السُّور المكّية يدلّ على أنّ مرحلة تكوين المجتمع المسلم بدأت فعليًّا في مكة المكرمة، وأنّ السُّور المكّية تضمّنت إشاراتٍ إلى المجتمع وعناصره، والقضايا

---

[١] ينظر: الخشاب، **علم الاجتماع**، ص٣٤٠.

[٢] رمزي، عبد القادر هاشم (١٩٨٤)، **النظرية الإسلامية**، الدوحة: دار الثقافة، ص٢٢٧.

[٣] ينظر: الحكيم، محمد باقر (٢٠٠٦)، **المجتمع الإنساني في القرآن الكريم**، ط.٢، النجف: مؤسسة تراث الشهيد الحكيم، ص٩٥.

[٤] لمزيد من المعلومات ينظر: الأصفهاني، الحسين بن محمد الراغب (ت: ٥٠٢هـ)، **المفردات في غريب القرآن**، ط١، دار القلم، دمشق، ١٤١٢، لمادة "جمع" ص٢٠١-٢٠٢، ولمادة "قوم" ص٦٩٠-٦٩٣، ولمادة "شعب" ص٤٥٥، ولمادة "أمة" ص٨٦-٨٧.

[٥] نزال، عمران سميح (٢٠١٢)، **فقه الانتماء إلى المجتمع والأمة بين المفهوم العقدي والإجرائي**. في فتحي حسن ملكاوي (المحرر)، **فقه الانتماء إلى المجتمع والأمة**، ط.١، الأردن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ص٧٤.

[٦] ينظر: الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد (ت. ١٣٩٣هـ)، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ج٢-ص١٧٣.

الاجتماعية؛ وفي نهاية العهد المكّيّ وبعد قيام الدولة الإسلامية في المدينة المنورة تمَّ تسمية المجتمع المسلم بالمفهوم الدقيق "الأمة" [١].

**ثانياً: المسلم لغةً واصطلاحًا:**

لفظ "المسلم" اسم فاعل من فعل أسلم، والإسلام يدل على الانقياد، والاستسلام لأمر الله تعالى.[٢] وقد يعرف المسلم بأنه الشخص الذي "صدّق برسالة محمد صلّى الله عليه وسلَّم، وأظهر الخضوع والقبول لها، والتزم ما أتى به النبي صلى الله عليه وسلم، واعتنق الإسلامَ"[٣].

أما في الاصطلاح قد يعرف المسلم بأنه من يؤدي أركان الإسلام الخمسة الموصوف في حديث النبي صلى الله عليه وسلم: "بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ"[٤] على ذلك أن المسلم هو من شهد أن لا إله الا الله وأن محمد عبده ورسوله وأقام أركان الإسلام من الصلاة وصيام وزكاة وحج لبيت الله تعالى لمن استطاع إليه سبيلا.

بعد تعريف المجتمع وتعريف المسلم يمكن تعريف المجتمع المسلم بشكل عام بأنّه "المجتمع الذي تميّز عن المجتمعات الأخرى بنُظُمه الخاصّة وقوانينه القرآنية وأفراده الذين يشتركون في عقيدة واحدة، ويتوجهون إلى قبلة واحدة، وإنْ يتكوّن من أقوام متعدّدة وألسنة متباينة خصائص مشتركة، وأعراف عامّة وعادات موحدة"[٥]، وهو مجتمع "تُبْنى فيه الروابط والعلاقات وتنظّم المصالح فيه على أساس الإسلام"[٦].

وللمجتمع الإسلامي العناصر الأساسية لأيّ مجتمع إنسانيّ، لكنه "يتميّز عن سائر المجتمعات الأخرى برابطة العقيدة الإسلامية، وتحكِيم الشريعة المحمّدية، والعِلَّة الرئيسة في تميّز المجتمع المسلم كونُه مجتمعاً من صُنع عقيدة وشريعة خاصّة، جاءت من لدن إله"[٧]؛

---

[١] ينظر: نزال، **فقه الانتماء إلى المجتمع**، ص٧٥.

[٢] ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج١٢-ص٢٨٩.

[٣] عمر، أحمد مختار عبد الحميد (٢٠٠٨)، معجم اللغة العربية المعاصرة، ط١، عالم الكتب، ج٢-ص١١٠١.

[٤] أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الإيمان برقم ٨.

[٥] المصري، محمد أمين (١٩٨٠)، **المجتمع الإسلامي**، ط١، الكويت: دار الأرقام، ص١٧. وأيضا قد يعرف المجتمع الإسلامي بأنه "خلائق مسلمون في أرضهم مستقرون تجمعهم رابطة الإسلام، وتدار أمورهم في ضوء تشريعات وأحكام إسلامية، ويرعى شؤونهم ولاة أمر منهم."، دخل الله، التربية، ص٢٧.

[٦] دخل الله، **التربية**، ص٢٧.

[٧] المشوخي، عبد الله سليمان (١٩٨٧)، **مجتمعنا المعاصر أسباب ضعفه ووسائل علاجه**، ط١، الأردن: مكتبة المنار، ص٣٠-٣١.

والمجتمع المسلم في النظريّة الإسلامية: المنظومة التي تتكون من الناس، والأفكار الإسلامية، والمشاعر والقوانين الإسلامية، نحو غاية كليّة نهائية هي مرضاة الله، وهو "وسيلة لتشكيل الإيمان وصيانته وحفظه ونشره، وليس هو غاية، بل الغاية منه هي الحفاظ على الإيمان في الفرد، أي المحافظة على الشخصية الإنسانية المهتدية"[١].

**المطلب الثاني: السُّور المكّيّة**

من المعلوم أن القرآن الكريم قد بدأ نزوله في رمضان في غار حراء في مكة، واستمر مدة ثلاثة وعشرين (٢٣) عامًا تقريبا حتّى وفاة الرسول ﷺ، وهذه المدة تنقسم إلى قسمين: مدة إقامة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم في مكة المكرمة قبل الهجرة، ومدة إقامته في المدينة المنورة بعد الهجرة، ومن هنا تنوّع القرآن الكريم في مجموعه إلى مكي ومدني.[٢]

إنّ للعلماء في تعيين المكّيّ والمدني ثلاثة مذاهب، بُنِيَ كلّ واحد منها على اعتبار خاص،[٣] والرأي المشهور، والأكثر قبولاً لدى العلماء في هذا الصدد هو "أنّ السُّور المكّية ما نزل قبل الهجرة، وإنْ كان خارج مكة، والسور المدنية ما نزل بعد الهجرة وإنْ كان بغير المدينة سواء أكان قريبًا منها أو بعيدًا عنها، بل حتّى وإن كان في مكة، فالمعتبر في ذلك زمن النزول، وليس أليق من اعتبار حدث الهجرة وقتًا للتفريق بين عهدين"[٤].

---

[١] رمزي، **النظرية الإسلامية**، ص٢٢٦.

[٢]ينظر: البغا، مصطفى ديب ومحيى الدين ديب مستو (١٩٩٨)، **الواضح في علوم القرآن**، ط٢، دمشق: دار الكلم الطيب، ص٦٣. ولا أود الخوض في بيان السور المكية والمدنية بالتفصيل؛ فهناك دراسات ورسائل مستقلة قيمة بحثت هذه الموضوع، وللمزيد من المعلومات ينظر: البدوي، أحمد عباس (١٩٨١)، **أهمّ خصائص السور والآيات المكية ومقاصدها**، رسالة الدكتوراه المنشورة، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية. والشايع، محمد بن عبد الرحمن (١٩٩٧)، **المكي والمدني في القرآن الكريم**، الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية. وأحمد، عبد الرزاق حسين (١٩٩٩)، **المكّي والمدني في القرآن الكريم: دراسة تأصيلية للسور والآيات من أول القرآن الكريم إلى نهاية سورة الإسراء**، القاهرة: دار ابن عفان. والفالح، محمد بن عبد العزيز بن عبد الله (٢٠١٢)، **المكي والمدني من السور والآيات من أول سورة الكهف إلى آخر سورة الناس**، الرياض: دار التدمرية.

[٣] والمذهبان الآخران كما يلي: الأول: الاعتبار المكاني، فالمكّي ما نزل بمكة، وما جاورها، كمِنًى، وعرفات والحديبية، ولو كان ذلك بعد الهجرة، والمدني ما نزل بالمدينة وما جاورها، كأحد، وقباء، وسلع، وفي هذا الضابط ثلمة هي: وجود قسم ثالث هو واسطة بين القسمين، وهو ما نزل من القرآن في الأسفار، فإنّه لا يعدُّ مكيًّا ولا مدنيًّا.

الثاني: الاعتبار الخطابي، فالمكّي ما وقع خطاباً لأهل مكة، والمدني ما وقع خطاباً لأهل المدينة، وهذا التعريف غير ضابط ولا حاصر؛ لأنّه قد تقيّد بالأشخاص المعينين في أمكنة معينة، وتقيّد بموضوع معين، وهو ما كان فيه خطاب من آيات القرآن، فبقي القسم الأكبر من القرآن خارج هذا المنهج في تعريف المكي والمدني. ينظر: الشايع، المكي والمدني في القرآن الكريم، ص١٣-١٤.

[٤] الشايع، **المكي والمدني في القرآن الكريم**، ص١٣-١٤، للمزيد ينظر: عتر، نور الدين محمد (١٩٩٣)، علوم القرآن الكريم، دمشق: مطبعة الصباح.

ووصف السورة بأنّها مكّيّة أو مدنيّة يكون بحسب أكثر الآيات، التي تغلب على السورة كما أشار إليه الحافظ ابن حجر رحمه الله بقوله: "فلا يلزمُ من نزول آية أو آيات من سورة طويلة بمكة إذا نزل معظمها بالمدينة أن تكون مكيّة، بل الأرجح أنّ جميع ما نزل بعد الهجرة معدود من المدني".[١] ومع ذلك، هناك سور مكية خالصة نزلت بتمامها في مكة مثل سورة العلق، وسورة المدثر، وسورة القيامة، وهناك سور مدنية خالصة نزلت بتمامها في المدينة، مثل: سورة البقرة، وسورة آل عمران، وسورة المائدة.

وأمّا فوائد معرفة السُّور القرآنية مكيًا ومدنيًا، فهو للوقوف على حكمة التدرج في الأحكام والتكاليف، وتمييز الناسخ من المنسوخ، وتيسير فهم الموضوعات القرآنية[٢]، وما يتعلق بهذه الدراسة أكثر من هذه الفوائد هو الوقوف على حكمة ربانية في تربية الإنسان والمجتمع بالتدرج في الأحكام والتكاليف، والتدرج مسألة مهمّة للغاية، خاصة بالنسبة لبناء المجتمع، "لأنّ مقتضى المقام ومراعاة أحوال المخاطَب النفسية والفكريّة والعقليّة كلّ ذلك يفرض على الخطاب المؤثر أنْ يلتزم منهجًا في التبليغ"[٣].

وهناك بعض السمات التي تنفرد بها السُّور المكّية عن السُّور المدنية، وهي نوعان: النوع الأول متعلقٌ بالأسلوب، والنوع الثاني متعلّقٌ بالموضوع[٤]:

**سمات السُّور المكّية من حيث الأسلوب:** "إنّ الغالب على المكّيّ قِصَرُ الآيات والسور، بينما نجدُ الغالب في المدني طولُ الآيات والسور. وأنّ الغالب في المكّيّ شدّة الخطاب، وكثرة أسلوب التأكيد، ووسائل التقرير، كالإكثار من القسم، وضرب الأمثال والتشبيه؛ لأنّ غالب المخاطّبين مُعرِضون مستكبرون"[٥].

ذلك هو الغالب؛ لأنّ هناك استثناءات غير قليلة لهذه القواعد العامة، فلا نستطيع مثلا تمييز سورة الأحزاب عن السُّور المكّية إلا بموضوعها، لا بجرسها ولا بطول الآيات فيها[٦].

---

[١] ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩، ج٩ -ص٤١/٤٠.

[٢] ينظر: عباس، فضل حسن (١٩٩٧)، **إتقان البرهان في علوم القرآن**، ط١، عمان: دار الفرقان، جـ ١ – ص٣٦٩-٣٧٠.

[٣] https://bit.ly/2X9d6P1، استرجع بتاريخ: (٢٩,٤,٢٠١٩).

[٤] ينظر: البدوي، **أهم خصائص السور والآيات المكية ومقاصدها**، ص٣٢.

[٥] الفالح، **المكي والمدني من السور والآيات من أول سورة الكهف إلى آخر سورة الناس**، ص٢٣/٢٢.

[٦] ينظر: قطب، محمد (١٩٨٠)، **دراسات قرآنية**، ط٢، القاهرة: دار الشروق، ص٢٠.

**سمات السُّور المكّية من حيث الموضوع:** إنّ الغالب على الآيات والسور المكّية الاعتناء بتقرير أسس العقيدة، ودعوة الناس جميعاً إلى توحيد الله تعالى وإفراده بالعبادة، وأيضاً يتضمّن الدعوة إلى أصول الأخلاق والتشريعات العامة التي لا تتغير بتغيّر الزمان والمكان، كصلة الأرحام، وبرّ الوالدين، كما أنّه يعتني بقصص الأنبياء مع أقوامهم، وأخبار الأمم الغابرة.[١] وتتناول عادات المجتمع الجاهلي: كالقتل، وأكل مال اليتيم، وإباحة الأعراض؛ ولفتت أنظار المخاطّبين إلى الخطر من وراء اتباعهم لتلك العادات الفاسدة بالنسبة للفرد، والمجتمع.

ولا يمكن قبول القول إنّ "السور المكّية مشغولة كلّها بالعقيدة ولا شيء غير العقيدة في ثلاثة عشر عاماً من الزمان، وأنّ التشريعات والتنظيمات لم يتنزل منها شيء في مكة إلا توجيهات عامة"[٢] -على إطلاقه، بل يمكن تفسير هذا القول بطريقة أدق، وهي أنّ العقيدة الصحيحة هي الموضوع الرئيس في السُّور المكّية -بل في القرآن الكريم كله- ومع ذلك فإنّ القرآن الكريم يقدّم التنظيمات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي تنظمت حياة المجتمع الإسلامي نتيجة لها منذ بداية الوحي حتّى نهايته.

وإنّ التمييز بين موضوعات السُّور المكّية والسور المدنية غير مطلقٍ بالأصل، وغير قطعيّ، بل يمكن القول إنّ السُّور المكّية والمدنية تتداخل في موضوعاتهما، وتتكامل في عرض المعاني والاحتجاج لها، "بحيث لا يستطيع التباين في مكان النزول وزمانه أنْ يفصل بينهما، وأنّ ما نزل من القرآن مكيه ومدنيه والسفريّ منه والحضري والصيفي والشتائي، كلّه يشكل نسيجًا واحدًا"[٣]؛ لذلك -وعلى الرغم من عدم ترتيب القرآن الكريم حسب النزول - "تسمع خلال أجزائه على التساوي إيقاعاً موسيقيًا خاصًا، وتكون ملاحظة أسلوبه المشترك المنسجم والخطة المنطقية في تطور الآراء الواردة فيه بسهولة، وهذا الذي يُبحث عنه وجه من وجوه الإعجاز القرآني"[٤].

من ناحية أخرى على الرغم من كون القرآن الكريم "نسيجًا واحدًا من حيث التأليف الفني واللّغوي والمنطقي إلا أنّ ذلك لا يمنع أنّ تأتي التعاليم القرآنية مرتبة، بحيث توضع

---

[١] ينظر: أحمد، **المكي والمدني في القرآن الكريم**، ص١٦٩.

[٢] قطب، **دراسات قرآنية**، ص٢٠.

[٣] التيجاني، عبد القادر حامد (١٩٩٥)، **أصول الفكر السياسي في القرآن المكي**، عمان: دار البشير للنشر والتوزيع، ص٢٠.

[٤] دراز، محمد عبد الله (١٩٨٩)، **دراسات إسلامية في العلاقات الاجتماعية والدولية**، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ص١٦-١٧.

الأسس الجوهرية للكتاب في السُّور المكّية أولًا، فالاعتبار هو أنّ السُّور المكّية يغلب عليها طابع التعرض للأصول، بينما يغلب على السُّور المدنية طابع التشريع التفصيلي للأحكام، غير أنّ هذا الطابع العام في السُّور المكّية المتجه نحو الأسس والقواعد ينبغي ألّا يوهمنا أنّ السُّور المكّية كلها جاءت بمثابة فذلكة نظرية مجرّدة تساق كمقدّمة بين يدي السُّور المدنية التي تحتوي وحدها على المادة الدستورية الأساسية."[1]

[1] التيجاني، **أصول الفكر السياسي**، ص٢٠.

## المبحث الثاني: فكرة المجتمع المسلم وبناؤه في السُّور المكية

أهم ما تركّز عليه هذه الدراسة هو أنّ المجتمع المسلم بدأ يتأسس منذ نزول القرآن الكريم، حيث ظهرت الأسس الفكرية، والاجتماعية، والأخلاقية التي تشكل عناصر المجتمع المسلم، وتنظم الحياة الاجتماعية منذ بداية الوحي حتّى آخر آية نزلت.

من هنا يهدف هذا المبحث إلى إبراز وجود بناء المجتمع المسلم في العهد المكي، وبيان كيفية دراسة "بناء المجتمع المسلم" في السُّور المكية، وتفصيل ذلك فيما يأتي:

### المطلب الأول: فكرة المجتمع المسلم في السُّور المكية:

فإنّ مفهوم "المجتمع المسلم" وبناءه يرتبطان في أذهان العديد من الباحثين الذين يدرسون الجانب الاجتماعي للإسلام بالعهد المدني؛ أي: بعد الهجرة النبوية إلى المدينة المنورة، التي أرخت بداية التجمع الإسلامي في العهد المدنيّ[١]. ووفقاً لهذا التفكير، يكون الإسلام في العهد المكّي، قد مد بصره إلى ما وراء مكة لإقامة مجتمع جديد، يصدر عن هديه، ويقوم على مبادئه،[٢] فقد خرج النبي صلى الله عليه وسلم والمهاجرون من مجتمع الشرك في مكة، وهاجروا إلى المدينة لبناء المجتمع المسلم، وبعد هذه الهجرة أصبحت إقامة المجتمع المسلم من الأعمال الأولى للنبي صلى الله عليه وسلم[٣].

ويرجع السبب في آراء المنظّرين لفكرة بناء المجتمع في المدينة إلى أنّ تناول أهم القضايا الاجتماعية ومعالجتها بشكل أكثر دقة ووضوحًا كان في هذه الفترة مثل: حقوق العائلة، والحرب، والمال ... ووفقًا لهذا التفكير تتكون أغلب السُّور المكّية من المباحث العقائدية، وقليلٍ من المباحث الأخلاقية، والاجتماعية.

غير أنّ مفهوم "المجتمع" -كما أشرنا في السابق- يُقصد منه "مجموعة من أفراد البشر- شخصين على الأقل- يعيشون معًا في منطقة جغرافية معيّنة ومحددة تحت تأثير عامل مشترك

---

[١] ينظر: الفوال، صلاح مصطفى (١٩٨٥)، **التصور القرآني للمجتمع الأنساق والنظم الاجتماعية**، القاهرة: دار الفكر العربي، ص٦٠٦. وأيضا أبو غدة، **الإسلام وبناء المجتمع**، ص٢١. أصلا إن الفوال يعتبر العهد المدنية عهد إقامة الدولة الإسلامية، وهو يقول إن هدف الرسول صلى الله عليه وسلم من الهجرة إلى المدينة المنورة هو إقامة الدولة الأولى في الإسلام. ولكن من العجيب أنه يؤرخ نشأة التجمع الإسلامي منظم شكلت العقيدة الإسلامية بالعهد المدني أيضا. ينظر: الفوال، **التصور القرآني**، ص٦٠٦-٦٠٧.

[٢] ينظر: عبد الواحد، مصطفى (١٩٧٤)، **المجتمع الإسلامي أهدافه ودعائمه وأوضاعه وخصائصه في ضوء الكتاب والسنة**، ط.٢، بيروت: دار الجيل، ص١٩.

[٣] ينظر: جمعة، أسعد أحمد وجمعة، وعارف أسعد (٢٠٠٥)، **دراسات في علم الاجتماع الإسلامي**، ط.١، دمشق: دار العصماء، ص١٦٢.

من حيث العقائد والأهداف."[1] وعليه يمكن أنْ يقال: إنّ بداية تجسّد المجتمع المسلم هي إسلام أم المؤمنين خديجة الكبرى رضي الله عنها، واستمر إنشاؤه بإسلام علي، وزيد بن حارثة، وأبي بكر، وبلال الحبشي ... وهم من أوائل من أسلم في مرحلة الدعوة في مكة المكرمة.، كما أشار إليه عبد الله المشوخي في مؤلفه (مجتمعنا المعاصر) أنّ النبي صلى الله عليه وسلم أقام المجتمع المسلم في مكة، ولكن بسبب تعذيب ومضايقة من مشركي قريش بدّل الأرض التي استقرّ فيها مجتمعه المسلم بعد إذن الله تعالى.[2]

ووجهت السُّور المكّية لأفراد المجتمع المسلم الأصول، أو الأسس، أو الأمهات التي تُنشِئ شخصياتهم، ويبنى عليها مجتمعهم، وأعلنت خطتها الاجتماعية في هداية المجتمع منذ بداية إنزالها بأنّه لا يعزل الجانب الاجتماعي عن الجانب الاعتقادي، وربطت بين الجانبين، فقد ربطت بين التكذيب بالدّين والسلوك الفاسد في المجتمع، قال تعالى: **﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾** [الماعون:١-٣]؛ لأنّ الغاية التي جاء الإسلام من أجلها لا تتحقق إلا بتوجيه المجتمع المسلم ورعايته.

وقد يقال: إنّ بناء المجتمع المسلم كان من أهم مهمّات السُّور المكيّة، بإنزال الوحي في بداية العهد المكي، حيث ظهرت سلسلة من التغييرات على الأنساق الاجتماعية الجاهلية في علاقاتها بين الأفراد، ونُظُمها وتركيب جماعتها، وبدأ إنشاء المجتمع المسلم الذي تشكّله السُّور المكّية بصحبة النبي صلى الله عليه وسلم.

ومن الجدير بالذكر أنّ اجتزاء السُّور المكّية من مجموع القرآن الكريم وإفرادها بالبحث لا يعني أنّ السُّور المدنية ليس فيه شيء عن بناء المجتمع المسلم، بالعكس إنّها أكثر ثراءً من حيث الجانب العملي لبناء المجتمع المسلم؛ على الرغم من عدم التمييز بين أجزاء القرآن الكريم ومفاضلتهما فإنّ أغلب الأسس الجوهرية لبناء المجتمع جاءت في السُّور المكية؛ بسبب طبيعة النزول، وبناء على ذلك، يمكن القول إنّ سبب الاكتفاء بالسور المكّية هو البحث عن القواعد والمقدّمات التي يراد بها تحديد الوجهة، ورسم الغاية الكبرى التي يتوجّه نحوها المجتمع المسلم قبل أن تقام المؤسسات، أي الوصول إلى الأصول التي وضعت عليها النظم الإسلامية.

---

[1] حمودة، والمليجي، **المدخل إلى تنظيم المجتمع**، ص١٢.

[2] ينظر: المشوخي، **مجتمعنا المعاصر**، ص٨١-٨٤.

**المطلب الثاني: بناء المجتمع المسلم والسور المكية**

إنّ المقصود من تركيب "بناء المجتمع" هو إنشاء عناصر المجتمع على وفق الأسس الجديدة، أمّا المقصود من تركيب "بناء المجتمع المسلم في السُّور المكية" فهو إنشاء عناصر المجتمع المسلم وفقاً للمبادئ والأساليب والقيم المذكورة في السُّور المكّية، بهدف تحقيق الخير للناس في الدنيا والآخرة.

وتركيب "بناء المجتمع المسلم في السُّور المكية" يتضمّن مفهومين: أحدهما: عناصر المجتمع المسلم التي يتشكّل منها، والثاني: أصول هذه العناصر التي تقوم عليها، وهذان المفهومان يُعدَّان مدخلاً إلى صلب القضايا والمسائل التي تتناولها هذه الدراسة، وكلا مفهومي العناصر والأصول يحتويان على مفاهيم متضمنة في معناه، يمكن توضيحهما على النحو الآتي:

**أولاً: عناصر المجتمع المسلم:**

يتشكل المجتمع -أيّ مجتمع مهما كان- من العناصر الأساسية الآتية:[1]

١. **السكان**: وهو مجموعة من الأفراد يشكلون الطّاقة البشرية في المجتمع.

وقد أشار القرآن الكريم إلى أنّ سكان الحجاز يتكوّنون من أهل حضرٍ مستقرّين، وأهل بدوٍ مرتحلين، ومن الآيات التي تضمنت الإشارة إلى هذا قوله تعالى: ﴿**وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ**﴾ [التوبة: ١٠١]، وكان سكان الحضر منهم: التجار والزراع والقائمون على عمارة البيت الحرام وخدمة حجاجه، أمّا أهل البدو فكانوا يعيشون حول المدنِ والقرى، وفي الصحراء[2].

٢. **البيئة الطبيعية**: "يقصد بالبيئة الطبيعية كلُّ ما يتعلق بالمنطقة التي يعيش فيها الإنسان من حيث التكوين والموقع الجغرافي، وقد لعبت هذه العوامل دورًا أساسيًا في الحياة الاجتماعية منذ فجر قيامها"[3].

---

(١) ينظر: الخشاب، **علم الاجتماع**، ص١١٥. وعثمان، **مقدمة في علم الاجتماع**، ص١٠٢. والرشدان، عبد الله وجعنيني، نعيم (١٩٩٤)، **المدخل إلى التربية والتعليم**، ط.١، الأردن: المركز العربي للمطبوعات، ص١٧٩.

(٢) ينظر: الفوال، **التصور القرآني**، ص١٤٥.

(٣) الخشاب، **علم الاجتماع ومدارسه**، ص١٥١.

وقد أشار القرآن الكريم إلى أنّ مكة المكرمة مدينة جدباء وشديدة الحرارة وشحيحة المياه وتحوطها الجبال، لذلك كان يعيش سكانها على ما يَفِدُ إليها من رزق أثناء موسم الحج، كما وصفها بأنّها "غير ذي زرع"، قال تعالى على لسان نبيه إبراهيم عليه السلام: **﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾** [إبراهيم: ٣٧]، فيفهم من لفظ "وادٍ" أنّها تحوطها الجبال، ويدلّ لفظ ﴿**غَيْرِ ذِي زَرْعٍ**﴾ إلى عدم توافر أسباب قيام الزراعة من حيث ندرة الماء، إضافة إلى عدم صلاحية التربة ذاتها لقيام حياة نباتية.[١]

٣. **العلاقات الاجتماعية**: وهي العمليات والتفاعلات الناجمة عن تفاعل الأفراد في البيئتين الطبيعية والاجتماعية.

٤. **الثقافة**: وهي مجموعة القواعد والقيم والمعايير والأساليب المنظِّمة لسلوك الأفراد وعلاقاتهم المتبادلة.[٢]

٥. **النظم والمؤسسات الاجتماعية**: وقد سبق توضيح ذلك.[٣]

هذه بعض العناصر التي أشار إليها علماء علم الاجتماع؛ فالأفراد والبيئة والعلاقات من العناصر الأساسية التي يتشكل منها المجتمع، والثقافة هي التي تنظّم وتشكّل هذه العناصر، أمّا النظم والمؤسسات الاجتماعية فهي من العناصر التي تشكّلها قيم وأسس المجتمع مع مرور الزمان؛ وبناء على ذلك يمكن أن يقال إنّ المجتمع يتشكل من ثلاثة عناصر أساسية لا غنى لواحد منها عن الآخر في بداية تأسيسه.

وفي الإطار نفسه، بحثَ محمد باقر الصدر عن عناصر المجتمع في القرآن الكريم التي تشترك بها جميع النظريات الاجتماعية بتفسير آية خلافة آدم عليه السلام وهي قوله تعالى: **﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾** [البقرة: ٣٠] وذكر أنّه يمكن أنْ يُستخلص من الآية العناصر الأساسية الآتية للمجتمع[٤]:

**الأول**: الإنسان: وهو المحور الأساس والعنصر الأهم من بين عناصر المجتمع الذي خلقه الله تعالى للقيام بهذا الدّور الاجتماعي.

---

[١] ينظر: الفوال، **التصور القرآني**، ص١٤٢-١٤٣.

[٢] ينظر: المليجي، **تنظيم المجتمع**، ص٢١.

[٣] ينظر: ص١٢.

[٤] ينظر: الصدر، محمد باقر (٢٠١٣)، **المدرسة القرآني**، ط ٢، بيروت: دار الكتاب الإسلامي، ص٩٣-٩٥.

**الثاني**: الأرض أو الطبيعة: جسم الكرة الأرضية وما يحيط بها من عوالم مرتبطة بها وبالإنسان.

**الثالث:** العلاقة المعنوية التي تربط الإنسان بالبيئة والإنسان.

بناء على كل ما سبق يمكن القول إنّ العناصر الأساسية المادّية للمجتمع هي: الإنسان، والبيئة، والعلاقات، وهذه العناصر الثلاثة تعدُّ حجر أساس الذي يجعل المجتمع مجتمعًا؛ أمّا الثقافة -بتعبير أنسب لهذه الدراسة الأسس- هي عنصر معنويّ، ينظر إليها بنظر مختلف عن العناصر الثلاثة التي قبلها؛ لأنّها العنصر الذي يشكل وينظم تلك العناصر المادّية.

**ثانياً: أصول المجتمع المسلم:**

أصول المجتمع المسلم: مجموعة من المفاهيم والأخلاقيات والأسس التي تُسهم في إنشاء المجتمع المسلم ورُقِيِّه، وتؤدّي إلى تميّزه عن المجتمعات الأخرى على المستوى المادّي والمعنوي، قد تعرَّف بأنّها مرتكزات حدّدها الوحي الإلهي، يقوم عليها المجتمع المسلم في علاقة الإنسان بنفسه، وخالقه، والأفراد الآخرين، ومجتمعه، وبيئته، وهذه الأصول تقوّم سلوك الفرد وترشده إلى جادة الصواب عن طريق الترغيب بالفضائل، والنهي عن الرذائل، وتقود المجتمع وتوجّهه لكلّ خير، وتنهاه عن الشر؛ لأنّها تمثل مبادئ الإسلام.[1]

لا بُدَّ من وجود الأسس الفكرية التي تبني عليها عقول الأفراد، ولا بُدَّ من الأسس الأخلاقية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي ترسم حدود تصرفاتهم وممارساتهم في شتى المجالات، على المستويين الفردي والجماعي، لأنَّ المجتمع يتكوَّن بأسُسه الفكريّة، والأخلاقية، والاجتماعية، كما يتكوّن بأفراده في بقعة من الأرض، وأنّ هذه الأسس هي التي تحدّد وتشخّص عناصر المجتمع.

قبل تناول أصول المجتمع المسلم لا بُدَّ من الإشارة إلى أنّ هذه الأصول ليست أصولاً متناثرة، بل هي متعانقة تعانق الأمواج في المحيط الهادي، يمتزج بعضها ببعض، ويتشابك اللاحق منها بالسابق في تتابع وانسجام، حتّى تكوّن في النهاية هيكلاً ضخمًا.[2] ويمكن تصنيف الأصول التي تهتم بها السور المكية أكثرًا في بناء المجتمع المسلم على النحو الآتي:

---

[1] ينظر: عبيد، زينب حكيم (٢٠٢٠)، القيم الإسلامية وإسهامها في تكامل المجتمعات دراسة تحليلية، **مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية**، المجلد: ٢٨، العدد: ١، ص٢٩-٣٠.

[2] ينظر: سبع، توفيق محمد، **قيم حضارية في القرآن الكريم العالم الذي صنعه القرآن**، القاهرة: دار المنار للنشر والتوزيع، ج٢-ص١٥١.

**أولا: الأصول العقدية في السُّور المكية**: يعبّر عن الأصول الفكرية في مصطلحات الفكر الإسلامي بالعقيدة الإسلامية، وهي أسس يقوم عليها المجتمع المسلم، وتتشكل بها عناصره، ونظمه ومؤسساته.

يقصد بالأصول العقدية العقيدة المتكاملة، التي يتحرّك بها المسلم في مجال الحياة عابداً لربه، وساعياً في الخيرات، وهذه العقيدة إيمان وثيق بالله تعالى لا يتزعزع، وتصديق شامل بكتبه ورسله، ومعرفة يقينية باليوم الآخر على نحو ما ورد في كتاب الله تعالى، والسنة النبوية[١].

إنّ العقيدة في الإسلام ليست عقيدةً ساكنة حبيسة الذهن، بل هي عقيدة ترتبط بالعبادة ارتباطاً وثيقاً، وتُفضي إلى الشريعة التي تهدف إلى تحقيق حياة متوازنة ومطمئنة، تقوم على دعائم من معرفة الله تعالى[٢].

**ثانيا: الأصول الأخلاقية في السُّور المكية**: إنّ الأصول الأخلاقية هي مجموعة من الأخلاق التي تصنع نسيج الشخصية الإسلامية، تحدد تصرفات الأفراد في شتى المجالات، وتنظم علاقاتهم الاجتماعية، وتجعل الشخصية المسلمة قادرة على التفاعل الحيِّ مع المجتمع، وقادرة على التوافق مع أعضائه.

والأخلاق في هذه الدراسة تتضمن القانون؛ لأنّ "التمايز بين الأخلاقي والقانوني لم يكن له وجود في القرآن الكريم، فما هو قانوني في القرآن هو كذلك أخلاقي والعكس صحيح"[٣]؛ "فالقانون ولد يوم ولِدتْ الأخلاق من رحم الوحي الإلهي في مستهلّ أول السُّور المكيّة، ففي ذلك الوقت والزمان بدأ القانون الإسلامي، وهكذا اكتسى المشروع الأخلاقي المركّب بعداً قانونياً وسط أبعاد أخرى، تلك الأبعاد التي مثلتْ الشريعة المتكاملة التي بُنيَتْ على الأخلاق، وأُسست على القرآن منذ البدايات الأولى"[٤].

---

[١] ينظر: سبع، توفيق محمد، **قيم حضارية في القرآن الكريم العالم الذي صنعه القرآن**، القاهرة: دار المنار للنشر والتوزيع، ج٢-ص١٥١.

[٢] ينظر: عبد الواحد، **المجتمع الإسلامي**، ص٨-١٠.

[٣] حلاق، وائل (٢٠١٩)، **القرآن والشريعة نحو دستورية إسلامية جديدة**، ط١، بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ص٤١-٤٢.

[٤] حلاق، **القرآن والشريعة**، ص٦٦.

**ثالثا: الأصول الاجتماعية في السور المكية**: المقصود من الأصول الاجتماعية الأسس التي تتعلّق بمصير المجتمع، وتساعِدُ على إعادة صياغة السلوك الاجتماعي وتكامل المجتمع، وتوجيه الظواهر الاجتماعية.

أشارت السور المكّية إلى بعض المفاهيم الاجتماعية المهمة مثل: الفساد الاجتماعي، والتغيّر الاجتماعي، والتفاوت الاجتماعي بذكرها السلوك الفردي والسلوك الاجتماعي على سبيل المثال، وقد ساقت العديد من المواقف والأحوال الاجتماعية، وانتقدت أوضاع المجتمع الجاهلي الفاسد وكشفتْ مفاسد أخلاقه، والمتأمّل في كتاب الله تعالى يجد أنّ بعض السُّور المكّية واجهت فساد المجتمع الجاهلي، وكشفت عيوبه،[1] ومن ذلك مثلاً قوله تعالى: **كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾** [الفجر: ١٧ - ٢٠]، فقد لفتَتْ هذه الآية الكريمة الانتباه إلى المفاسد الأخلاقية مثل: عدم رعاية اليتيم، والفقراء، وحب جمع المال عند أفراد المجتمع الجاهلي.

وتوجّه السُّور المكّية للمسلمين بعض الأوامر الاجتماعية التي يمكن أنْ تساعد في إعادة صياغة السلوك الاجتماعي، وتوجيه الظواهر الاجتماعية، وطلبتْ منهم تشكيل ذاتهم، ومجتمعهم الذي يعيشون فيه وفقاً للمبادئ الإسلامية التي جاءت في القرآن الكريم والسنة النبوية.

---

[1] ينظر: **المصدر نفسه**، ص١٣-١٤.

# الفصل الأول: خصائص المجتمع الجاهلي

المبحث الأول: الحياة العقديّة والعباديّة في المجتمع الجاهلي

المبحث الثاني: الحياة الأخلاقية في المجتمع الجاهلي

المبحث الثالث: الحياة الاجتماعية في المجتمع الجاهلي

# الفصل الأول :خصائص المجتمع الجاهلي

ظهر الإسلام فاستُحدِث مصطلح "الجاهلية" بالمعنى الذي يعني الفترة التي سبقت الإسلام،[١] وأصله من الجهل، وقد كان مستخدماً من حيث أصل اللفظ قبل الإسلام، ولكنّ "ما أحدثه الإسلام عليه هو الصيغة والمدلول، فعلى مستوى الصيغة لم يعرف النص العربي صيغة لفظ الجاهلية قبل الإسلام، وعلى مستوى المدلول نقل الإسلام اللفظ من دلالته (الجهل الذي هو عدم العلم وعدم الحلم) إلى دلالة جديدة: حياة العرب قبل الإسلام"[٢].

والظاهر أنّ الجاهلية في اللغة مصدر صناعي مأخوذ من الجاهلي، نسبة إلى الجاهل، المشتق من الفعل "جهل"، وتدور هذه المادة في المعاجم العربية على أصلين: خلاف العلم، وخلاف الحلم، ويقال: جَهِل فلانٌ حَقَّ فلَان، وجَهل بِهَذَا الْأَمر، ويقال أيضاً: جَهِل فلانٌ عليَّ أو على قومه، بمعنى يتسافه عليهم. والجهالة: أنْ تفعل فعلاً بغير علم، واستجهلت الرّيح الغصن: حرّكته، كأنها حملته على تعاطي الجهل[٣].

---

[١] ينظر: الفيومي (١٩٩٤)، **تاريخ الفكر الديني الجاهلي**، ط٤، القاهرة: دار الفكر العربي، ص٩٢. في البداية لا بُدّ من الإشارة إلى أنّ نطاق هذا المفهوم واسع، سواء من حيث الزمن أو الجغرافيا، فينقسم العصر الجاهلي إلى قسمين من حيث الزمن: الجاهلية البعيدة: "وهي التي عاشت فيها الأمم البائدة خاصة، وعرب الجنوب خلال مرحلة ازدهارهم الحضاري... وهي مجهولة الأخبار، إلا ما عُثر عليه من رقم، ونقوش، وأخبار". والجاهلية القريبة: وتُحدّد بدايتها بأقدم الشعر الجاهلي، وهي تؤرخ بشعر امرئ القيس. وتتناول هذه الدراسة الجاهلية الثانية، وأخبارها لا سيما مجتمع مكة قبيل البعثة. ومن حيث الجغرافيا، فهي تمتدّ لتشمل جزيرة العرب لا سيما الحجاز، وهذه الدراسة تتناول مجتمع مكة فحسب؛ لفهم علاقة الرسالة بالواقع والسياق الجغرافي والتاريخي الذي بدأت فيه، وتحديد حدود الدراسة بشكل أدق، وعندما تكون المصادر غير كافية، ووافية، يُرجع إلى أخبار العرب الذين عاشوا خارج مكة لرسم الصورة الكبيرة. ينظر: سقال، ديزيره (١٩٩٥)، **العرب في العصر الجاهلي**، ط١، بيروت: دار الصداقة العربية، ص٧٠.

[٢] الغانمي، مهدي حارث مالك (٢٠١٠)، الجاهلية في القرآن الكريم: قراءة في الدلالة، **مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية**، المجلد ٩، العدد ١، ص٦٥.

[٣] ينظر: الفراهيدي، **العين**، ج٣-ص٣٩٠. والأزدي، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد (ت. ٣٢١هـ)، **جمهرة اللغة**، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧، ج١-ص٤٩٤. والأزهري، محمد بن أحمد (ت. ٣٧٠هـ)، **تهذيب اللغة**، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١، ج٦-ص٣٨. وابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، ج١-ص٤٨٩. والأصفهاني، **المفردات**، ص٢٠٩. والزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد (ت. ٥٣٨هـ)، **أساس البلاغة**، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩، ج١-ص١٥٣. وابن منظور، **لسان العرب**، ج١١-ص١٣٠.

وتفرع عن المعنى الأول قول العرب: الأرض المجهل، والناقة المجهولة مجازًا، والأرض المجهل أرضٌ مجهولة لَا يُهتَدى بهَا، أي لَا أعلامَ بهَا وَلَا جبال، وَإِذا كَانَت بهَا معارفُ وأَعْلَام فَلَيْسَتْ بمجهولة، أمّا الناقة المجهولة فالتي لم تُحلَب قطّ، إذا كَانَت غَفْلاً لا سِمة عَلَيْهَا. ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، ج١١-ص١٣٠.

وقد استعمل الشعراء أيضاً كلمة الجهل للدلالة على المعنيين: فمن الأول، أي: عدم العلم - قول عنترة: "هلا سألْتِ الخَيلَ يا ابنةَ مالِكٍ ... إنْ كُنْتِ جاهِلَةً بِمَا لَم تَعْلَمِي"، ومن الثاني، أي: عدم الحلم - قول ابن كلثوم: "أَلا لا يَجْهَلَنْ أحدٌ علينا ... فنجْهَلَ فوق جهْلِ الجاهلينا". ينظر: أبو عودة، عودة خليل (١٩٨٥)، **التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم**، ط١، الأردن: مكتبة المنار، ص١٤٧.

ويدخل في دلالة الأصل الثاني: السفه، والطيش، والحمق، والأنفة، والخفة، والتسرع، والغضب، والظلم، وعدم الحكمة، والعدوان[١].

وهكذا جاء في الاستعمال القرآني؛[٢] فمن الآيات التي ورد فيها الجهل بمعنى عدم العلم: **﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾** [البقرة: ٢٧٣]، وقد ورد الجهل هنا بمعنى عدم العلم، "بدليل مقابلته في الآية نفسها بمصطلح المعرفة الذي هو من مرادفات العلم،"[٣] قال ابن عاشور: "وقوله: **﴿يحسبهم الجاهل أغنياء﴾** أي الجاهل بحالهم من الفقر يظنهم أغنياء"[٤].

ومن الآيات التي ورد فيها بمعنى السفه والطيش، وقلة التدبّر، والتعجّل في الحكم: **إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾** [النساء: ١٧]، فقد جاء الجهل في هذه الآية بمعنى السفه، والطيش، "وليس المراد بالجهالة ما يطلق عليه اسم الجهل، وهو انتفاء العلم بما فعله؛ لأنّ ذلك لا يسمى جهالة، وإنما هو من معاني لفظ الجهل، ولو عمل أحد معصية وهو غير عالم بأنّها معصية لم يكن آثما ولا يجب عليه إلا أنْ يتعلم ذلك ويجتنبه"[٥] وقد يقال: إنّ معظم موارد الجهل تدور على هذا المعنى في القرآن الكريم[٦].

بناءً على ما سبق، يمكن القول إنّ الجاهلية[٧] "حالة الجهالة والضلالة التي كان عليها مشركو العرب قبل البعثة من الجهل بالله سبحانه، وشرائع الدين، والمفاخرة بالأنساب، والكبر،

---

[١] ينظر: جواد علي، **المفصل**، ج١-ص٤٠.

[٢] ورد الجذر "جهل" بصيغتي تجهلون ويجهلون في خمس آيات كلها في السور المكية، أما مشتقاته فوردت في تسعة عشر موضعاً قرآنياً، وعلى وفق وظيفة مختلفة في التركيب القرآني، مثل: اسم الفاعل، وصيغة المبالغة، والمصدر، والمصدر الصناعي، للمزيد انظر: عبد الباقي، محمد فؤاد (١٣٦٤)، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، مصر: دار الكتب المصرية، ص١٨٤.

[٣] الينبعي، **مفهوم الجهل والجاهلية**، ص١٢٧.

[٤] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٣-ص٧٥.

[٥] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٤-ص٢٧٨.

[٦] ينظر: الينبعي، **مفهوم الجهل والجاهلية**، ص٩١. وأضاف القرآن الكريم إلى هذين المعنيين "معنى ثالثاً: هو تصور الشيء على غير حقيقته، وقد دار بهذا المعنى في خمسة موارد متشابهة، من حيث المقام، والمقال، والمجال." الينبعي، **مفهوم الجهل والجاهلية**، ص٩١.

[٧] وبالرجوع إلى تعريفات الباحثين والمستشرقين للفظ الجاهلية، يكتشف أنّ الآراء اضطربت في المعنى الذي يراد منه، فقد فهمت طائفة منهم أنّ هذا اللفظ من الجهل الذي ضد العلم؛ ولكنْ اختلفوا في سبب تسمية العرب به: إذ ذهبت طائفة منهم إلى أنّهم سمّوا به بسبب جهالتهم بالعلوم، والمعارف، وذهبت طائفة أخرى إلى أنّهم سمّوا بذلك بسبب جهلهم بالله، والرسول، وشرائع الدين، مقابل ذلك يرى باحثون عدّة مثل شوقي ضيف أنّ كلمة الجاهلية مأخوذة من الجهل بمعنى السفه، والنزق، والغضب، فهي تقابل كلمة الإسلام التي تدلّ

والتجبر..".[1] وسمي العصر السابق لظهور الإسلام جاهلية "لأنّه جهل هذا الدين، فعكف أبناؤه على عبادة الأصنام، والأوثان، واتصفوا بالغضب والطيش والنزق والسفه"[2].

وقد ورد لفظ الجاهلية في القرآن الكريم أربع مرات:

الأولى مقرونة بالظن، في قوله تعالى: **﴿ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾** [آل عمران: ١٥٤].

والثانية مقرونة بالحكم، في قوله تعالى: **﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾** [المائدة: ٥٠].

والثالثة مقرونة بالتبرج، في قوله تعالى: **﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾** [الأحزاب: ٣٣].

والرابعة مقرونة بالحمية، في قوله تعالى: **﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾** [الفتح: ٢٦].

---

على الخضوع والطاعة لله عز وجل. ينظر: شمس الدين، محمد مهدي (١٩٩٥)، **بين الجاهلية والإسلام**، ط٤، بيروت: المؤسسة الدولية، ص٢٣٥. وضيف، شوقي، **العصر الجاهلي**، ط١١، القاهرة: دار المعارف، ص٣٩.

[1] ابن منظور، **لسان العرب**، ج١١-ص١٣٠. ومن المفيد الإشارة -باختصار- إلى أنّ مفهوم الجاهلية في الفكر الإسلامي الحديث يبرز مع دلالته المختلفة إضافة إلى تعريفه التقليدي وفقاً لما ذهب إليه الباحثون المتأخرون من أنَّ الجاهلية ليست فترة محدودة من الزمن، بل إنّها صيغة قرآنية دالّة على منهج متكامل يقابل الإسلام على مستوى التصور المنهجي للكون والإنسان، وعلى ذلك لو توافرت مجموعة من السمات والخصائص الجاهلية في فرد أو مجتمع أو نظامٍ ما كان من الممكن وصفه بالجاهلية بصرف النظر عن مكانه أو زمانه. انظر: الغانمي، **الجاهلية**، ص٦٣. وجعفر، هشام (٢٠١٣)، **منهج النظر إلى مفهوم الجاهلية**، مصر: مكتبة الإسكندرية، ص٩. وبوعود، أحمد، مفهوم الجاهلية وعلاقته بالتفكير دراسة تقويمية، **مؤتمر ظاهرة التكفير: الأسباب والآثار والعلاج**. وأوّل من استخدم الجاهلية بهذا المعنى هو محمد بن عبد الوهاب، وذهب الألوسي، والمودودي، وسيد قطب إلى هذا المعنى أيضاً. انظر: الألوسي، محمود شكري، **بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب**، ط٢، مصر: دار الكتاب المصري، ج١-ص١٥-١٨. والمودودي، أبو الأعلى (١٩٨٠)، **الإسلام والجاهلية**، ط٢، القاهرة: دار التراث العربي.

[2] سقال، **العرب في العصر الجاهلي**، ص٦٩.

وأوّل ما نزل من هذه الآيات الآية التي يُذكر فيها "ظن الجاهلية"، وقد كان نزولها بعد غزوة أحد وصفاً للمنافقين،[١] الذين "لا هَمَّ لهم إلا أنفسهم، يظنون بالله الظنون الكاذبة، ظنَّ الجاهلية من أهل الشرك بالله؛ شكًّا في أمر الله، وتكذيبًا لنبيه صلى الله عليه وسلم وَمحْسَبة منهم أن الله خاذل نبيه، ومُعْلٍ عليه أهل الكفر به"[٢]. وثاني ما نزل منها الآية التي تذكر تبرج الجاهلية، أي لا تكثرن الخروج متجمّلاتٍ، أو متطيّبات، يُذكر في كتب التفسير أنّها نزلت في نساء النبي صلى الله عليه وسلم وعمّ المسلمات.[٣]

والثالث نزولاً آية حميّة الجاهلية، وهي ممّا نزل في صُلح الحديبية[٤]؛ وآخر ما نزل من هذه الآيات آية حُكْمَ الجاهلية، ويذكر المفسرون أنّها نزلت في حكم أراد اليهود أن يحكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم على أحكام أهل يثرب، وهي أحكام أهل الجاهلية، لا على وفق التوراة[٥].

ووردَت الجاهلية في كلّ مرّة بمقومات جديدة، وكلّ هذه المقوّمات تشير إلى جانب بارزٍ في المجتمع الجاهلي، فسياق ظن الجاهلية يشير إلى الجانب العقدي، والفكري، والتصوّري، وسياق حكم الجاهلية يلمح إلى الجانب القانوني، والنظامي، والتشريعي، وسياق تبرج الجاهلية يشير إلى الجانب الاجتماعي والأخلاقي، وسياق حميّة الجاهلية يشير إلى طبيعة العقلية الجاهلية في الولاءات، والصِّلاتِ السياسية والقومية، والتنظيمية[٦].

وقبل البحث عن خصائص المجتمع الجاهلي قبل الإسلام، لا بد من الإشارة هنا إلى أن هدف هذا الفصل ليس رسم صورة كاملة عن الحياة العربية في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام، إنّما له هدف محدّد هو لفْتُ الانتباه إلى أهمّ سمات المجتمع الجاهلي التي تُساعد على الفهم الصحيح للمجتمع المحمّدي الجديد، ويمكن بيان خصائص المجتمع الجاهلي من خلال المباحث الآتية:

---

[١] ينظر: القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت. ٦٧١هـ)، **الجامع لأحكام القرآن**، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٦٤، ج٤-ص٢٤٢.

[٢] الطبري، **جامع البيان**، ج٧-ص٣٢٠.

[٣] ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٢٢-ص١٠.

[٤] ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٢٦-ص١٩٣.

[٥] ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٦-ص٢٢٧.

[٦] للمزيد من البيانات ينظر: الخالدي، صلاح عبد الفتاح (٢٠١٢)، **التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق دراسة نظرية تطبيقية مرفقة بنماذج ولطائف التفسير الموضوعي**، ط٣، عمان: دار النفائس، ص١٦٩-١٩٩.

## المبحث الأول: الحياة العقديّة والعباديّة في المجتمع الجاهلي

إنّ مكّة بلدة بُنيَتْ على أساس التوحيد لثلاثة آلاف سنة تقريبًا، فقد أنذر إسماعيل عليه السلام العربَ وبلّغهم شريعة أبيه إبراهيم عليه السلام في مكّة المكرمة[١]؛ إلا أنّ العرب -لا سيّما أهل مكة- قد فقدوا الاتصال بالعمق الديني، والحضاري؛ لغياب النبيّ والكتاب السماوي، وغياب ما يعمق وعيهم الحضاري ويرفع من مستواهم الفكري، ويُنظم حياتهم الدينية، والأخلاقية والاجتماعية[٢] "فلمّا بعدوا عن زمن النبوة وطال عليهم الأمد، كثُر فيهم الجهل، وقلّت معرفتهم بما جاءت به شريعتهم من الدين المبين، وجرَوا على شهواتِ أنفسهم، وراجَتْ عليهم المعتقدات الفاسدة"[٣]؛ "ودخل فيهم الشرك واعتقدوا عبادة الأصنام، وتسلّلت إليهم التقاليد الباطلة، والأخلاق الفاحشة، فابتعدوا بذلك عن التوحيد وعن منهج الحنيفية"[٤] وعمّ بينهم ظنّ الجاهلية الذي يقوم على التصور "المنحرف لحقيقة علاقة الله بالإنسان وعلاقة الله بالأحداث من خلال العمل البشري"[٥].

هكذا كانت شبه الجزيرة العربية تعيش عهداً وثنياً قبيل ظهور الإسلام، وتذكر آثار مختلفة متداخلة لانتشار الوثنية[٦] فيها تدريجياً. ولا بُدَّ من الإشارة هنا إلى أنّ للأوضاع الدينية

---

[١] يذكر البغدادي المُدَدَ التي بيْن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كما يأتي: "من إبراهيم إلى موسى خمسمائة وخمس وسبعون سنة، ويقال وخمس وستون سنة. ومن موسى إلى داود خمسمائة وتسعون سنة، ويقال تسع وسبعون سنة. ومن داود إلى عيسى ألف وثلاث وخمسون سنة. ومن عيسى إلى محمد -صلى الله عليه وعلى جميع الأنبياء- ستمئة سنة. وعلى ذلك يمكن أنْ يقال إنّ ما بين إبراهيم ومحمد -عليهما السلام- ٢٨١٨ سنة". للمزيد ينظر: البغدادي، **المحبر**، ص١. والألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله (١٤١٥هـ)، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ج١١-ص٣٨٦.

[٢] ينظر: أفقير، محمد مصطفى (٢٠١٨)، الأوضاع السياسية والدينية والثقافية بشبه الجزيرة قبيل عصر النبوة، **مجلة دراسات تاريخية**، العدد ٢٤، ص٤١٥-٤١٦.

[٣] الألوسي، محمود شكري، **بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب**، مصر: دار الكتاب المصري، ج٢-ص١٩٤-١٩٥، وأيضاً ينظر: علي، **المفصل**، ج١١-ص٣٤-٣٦، والندوي، أبو الحسن (٢٠١٢)، **ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟**، ط١، القاهرة: دار ابن الجوزي، ص٥٩-٦٠.

[٤] البوطي، محمد سعيد رمضان (١٩٩١)، **فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة**، ط١٠، بيروت: دار الفكر المعاصر، ص٥٦-٥٧.

[٥] شمس الدين، **بين الجاهلية والإسلام**، ص٢٤٨.

[٦] وقد تعددت الآراء في كيفية ظهور الشرك في الجزيرة العربية، أحدها ما ذكره الكلبي في بداية كتاب الأصنام: "أنّ إسماعيل بن إبراهيم -صلى الله عليهما- لمّا سكن مكة وولد له بها أولاد كثير حتّى ملأوا مكة ونفوا من كان بها من العماليق ضاقت عليهم مكة، ووقعت بينهم الحروب والعداوات، وأخرج بعضهم بعضاً فتفسحوا في البلاد للتماس المعاش، وكان الذي سلخ بهم إلى عبادة الأوثان والحجارة أنّه كان لا يظعن من مكة ظاعن إلّا احتمل معه حجراً من حجارة الحرم تعظيماً للحرم وصبابة بمكة، فحيثما حلّوا وضعوه وطافوا به كطوافهم بالكعبة تيمّناً منهم بها وصبابة بالحرم وحباً بها، وهم بعد يعظمون الكعبة ومكة، ويحجون ويعتمرون على إرث إبراهيم وإسماعيل -عليهما السلام- ثم سلخ ذلك بهم إلى أنْ عبدوا ما استحبّوا، ونسوا ما كانوا عليه، واستبدلوا بدين إبراهيم وإسماعيل غيره، فعبدوا الأوثان وصاروا إلى ما كانت عليه الأمم من قبلهم...". وفي موضع آخر يذكر أنّ أول من غيّر دين إسماعيل -عليه السلام- فنصب الأوثان ووصل

والتجارية في مكّة المكرمة أثرًا كبيرًا في تكوين الاعتقادات المختلفة فيها، وقد كانت مكّة مركزًا تجاريًا نشطًا وسَّع أفُق نظر أهلها، وأعانهم على الاطلاع على أفكار البلاد المجاورة واعتقاداتها، مثل: اليمن، والحبشة، ومصر، وبلاد الشام، وإيران... كما أنّها كانت أكبر المراكز الدينية في الجزيرة، يؤمُّها من مختلف أنحاء الجزيرة عدد كبير من القبائل المختلفة.

وتوضيح الخصائص العقدية والعبادية في المطالب الآتية:

**المطلب الأول: الحياة العقدية الجاهلية:**

قبل ظهور الشرك كان أهل قريش يعتقدون أنّ الله واحد لا شريك له، موصوف بصفات الكمال من الحياة، والقدرة، والعلم، وغيرها من الصفات التي أثبتها لنفسه في كتبه، وجاءت على لسان رسله[1] وقد أشير إلى ذلك في كتاب الله تعالى، مثل قوله تعالى: ﴿**وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ**

---

الوصيلة هو عمرو بن ربيعة وهو لُحَيّ بن حارثة بن عمرو بن عامر الأزدي: "أنّه مرض مرضًا شديدًا، فقيل له: إنّ بالبلقاء من الشام حمّة إنْ أتيتها برأت، فأتاها، فاستحمّ بها، فبرأ، ووجد أهلها يعبدون الأصنام، فقال: ما هذه؟ فقالوا: نستسقي بها المطر، ونستنصر بها على العدو، فسألهم أنْ يعطوه منها ففعلوا، فقدم بها مكة ونصبها حول الكعبة...". الكلبي، هشام بن محمد أبي النضر ابن السائب بن بشر (ت. ٢٠٤هـ)، **كتاب الأصنام**، ط٤، دار الكتب المصرية، القاهرة، ٢٠٠٠، ص٦-٩. وهناك روايات أخرى في هذه المسألة مثل رواية ابن إسحاق: "أَنَّ جُرْهُمًا لَمَّا طَغَتْ فِي الْحَرَمِ دَخَلَ رَجُلٌ مِنْهُمْ بِامْرَأَةٍ مِنْهُمْ فِي الْكَعْبَةَ فَفَجَرَ بِهَا. وَيُقَالُ: إِنَّمَا قَبَّلَهَا فِيهَا فَمُسِخَا حَجَرَيْنِ، اسْمُ الرَّجُلِ إِسَافُ بْنُ بُغَاءٍ، وَاسْمُ الْمَرْأَةِ نَائِلَةُ بِنْتُ ذِئْبٍ، فَأُخْرِجَا مِنَ الْكَعْبَةِ، فَنُصِبَ أَحَدُهُمَا عَلَى الصَّفَا، وَالْآخَرُ عَلَى الْمَرْوَةِ، وَإِنَّمَا نُصِبَا هُنَالِكَ لِيَعْتَبِرَ بِهِمَا النَّاسُ، وَيَزْدَجِرُوا عَنْ مِثْلِ مَا ارْتَكَبَا؛ لِمَا يَرَوْنَ مِنَ الْحَالِ الَّتِي صَارَا إِلَيْهَا، فَلَمْ يَزَلِ الْأَمْرُ يَدْرُسُ وَيَتَقَادَمُ حَتَّى صَارَا يُمْسَحَانِ، يَتَمَسَّحُ بِهِمَا مَنْ وَقَفَ عَلَى الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ، ثُمَّ صَارَا وَثَنَيْنِ يُعْبَدَانِ...". انظر: الأزرقي، محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد (ت. ٢٥٠هـ)، **أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار**، دار الأندلس للنشر، بيروت، ج١-ص١٢٠. وقد يكون أحد أسباب ظهور الشرك، أو أسباب انتشاره هو "تمثيل العظماء وذوي الأثر الصالح فيهم من الأسلاف، أو تمثيل القوى التي يألفونها؛ لأنها سبب عظيم في نفعهم، فصنعوا تماثيل لها وتقربوا إليها، وممّا يؤكد ذلك قول ابن الكلبي في وصف وَدّ: قلت لمالك بن حارثة صف لي ودًا حتّى كأني أنظر إليه، قال: كان تمثال رجل كأعظم ما يكون من الرجال، قد نقش عليه حلتان، متزر بحلة مرتدٍ بأخرى، عليه سيف قد تقلده، وقد تنكب قوساً وبين يديه حربة فيها لواء، ووفضة أي جعبة فيها نبل". الحوفي، أحمد محمد (١٩٦٢)، **الحياة العربية من الشعر الجاهلي**، ط٤، مصر: مكتبة النهضة، ص٣٨٣، وينظر أيضا: الكلبي، **كتاب الأصنام**، ص٥٦. وقد تؤثّر علاقة العرب مع الطبيعة في قَبولهم الشرك؛ لأنّ "العرب -مثل الأمم البدائية الأخرى- وجدوا أنّ الطبيعة مليئة بقوى أعظم من قوة الإنسان، وتوسلوا إليها في كسب الخير ودفع الشر، ثم ارتقوا فاعتقدوا بحلول هذه القوى في الحجارة والأشجار والكهوف على الخصوص". الحوفي، **الحياة العربية**، ص٣٨٠.

[1] ينظر: الألوسي، **بلوغ الأرب**، ج٢-ص١٩٤-١٩٥. من الصعوبات التي تحسن الإشارة إليها، قلّة المعلومات عن الديانة العربية قبل الإسلام؛ "لأنّ الهدف الأول للإسلام كان محاربتها وإزالتها، كما أنّ المسلمين المتدينين لم يروا من الخير رواية أخبارها، غير أنّ الإسلام الذي طمس أخبار الديانة الجاهلية لم يمحها تمامًا، فقد بقي لها ذكر غير قليل، ففي القرآن الكريم إشارات إلى بعض الأصنام والمعتقدات الجاهلية، التي ذكرت في معرض الردّ عليها، فضلاً عن ذلك فإنّ الشعر العربي الجاهلي الباقي يتردد فيه أحياناً ذكر ما يتعلق بالديانة، كما بقيت في كتب الأدب والتاريخ أخبار متناثرة عن الديانة العربية القديمة والأصنام، ولعلّ أقدمها وأوسعها هو كتاب الأصنام لابن الكلبي، وما رواه المفسرون عن الآيات التي تذكر الأصنام، أو ما روي في معرض سيرة النبي -صلى الله عليه وسلّم- ولا سيّما سيرة ابن هشام، وفي أخبار مكة للأزرقي..." انظر: العلي، صالح أحمد (٢٠٠٠)، **تاريخ العرب القديم والبعثة النبوية**، ط١، بيروت: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ص١٢٩-٢٠٤.

**حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ﴾** [الحج: ٧٨]، ومع مرور العصور، انتشر الشرك والفساد في كلّ مجالات المجتمع الجاهلي من جهة، وبقيت فيهم بقايا ظنّية من سنن إبراهيم عليه السلام وشرائعه من جهة أخرى، ويمكن رسم الصورة العقدية لمجتمع مكّة قبل البعثة على النحو الآتي:

**أولاً: التوحيد:**

من الجدير بالذكر أنّ التوحيد عند الجاهلية هو توحيد مشوب بالشرك، وكما أشرت فيما سبق أنّ الجزيرة العربية وخاصة مكّة المكرمة كانتْ مركزاً لشريعة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ما يعني أنّ العرب يعرفون ويعتقدون بعقيدة التوحيد يقيناً قبل أنْ تنتشر بينهم عبادة الأوثان(١).

وعلى الرغم من فساد اعتقاد التوحيد عبر العصور، بقي الناس في المجتمع متمسكين بعقيدة التوحيد، ونهج الحنفية وإنْ كانوا يقلّون مع الزمن، ولعلّ أكبر مؤشر على ما بقي من الحنفية في المجتمع أنْ يكون مفهوم "الله" سائداً بين العرب الجاهليين.

والقرآن الكريم نفسه يشير إلى ذلك، كما في قوله تعالى: **﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ﴾** [العنكبوت: ٦١]، و تتبعها على الفور هذه الآية: **﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾** [العنكبوت: ٦٣]، يفهم من ذلك أنّ مفهوم "الله" في تصور الجاهليين كان خالق العالم، ومنزل المطر، يعني مانح الحياة لكلّ الموجودات على الأرض، وأنّ القرآن الكريم ينتقد انتقاداً شديداً كونهم من الوثنيين مع اعتقادهم أنّ الله هو خالق السماء والأرض(٢).

ومن الآيات الأخرى التي تدلّ على أنّ العرب مع تعدّد آلهتهم يقرّون بالخالق سبحانه وتعالى: **﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾** [الزمر: ٣٨]، ولكنّهم اتخذوا الوسائل المختلفة ليقربوهم إلى الله، وليشفعوا لهم عند الله كما بيّن قوله تعالى: **﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾** [الزمر: ٣].

---

(١) وتجدر الإشـــارة إلى أن العرب لم ينقلوا فكرة التوحيد عن اليهود أو النصـــارى كما يظن كثير من المستشرقين، بل كانوا أحفاد إسماعيل عليه السلام، وكانوا يعشون في الأرض الذي بنى فيه علَم دين التوحيد.

(٢) ينظر: إيزوتسـو، توشـيهيكو (٢٠٠٧)، **الله والإنسـان في القرآن علم دلالة الرؤية القرآنية للعالم**، ط١، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ص١٦٦-١٦٧.

ويدلّ الشعر الجاهلي على وجود عقيدة التوحيد مشوبة بالشرك عند العرب الجاهليين، فقد وردت فيه مظاهر شتى للتوحيد، مثل: ذكر قدرة الله في خلقه، ونِعَمِهِ على عباده، والقسم بالله، وعرض قصة نوح والطوفان، وقصّة إبراهيم وإسماعيل عليهم السلام[١].

وفيهم "بقايا عمليّة منحرفة من عهد إبراهيم عليه السلام يتمسّكون بها، من تعظيم البيت، والحج، والوقوف على عرفة والمزدلفة... فكان قريش إذا أهلّوا قالوا: لبيك اللهم لبيك، لا شريك لك إلا شريكاً هو لك، تملكه وما ملك، فيوحدونه بالتلبية ثم يدخلون معه أصنامهم"[٢]. فأصل ذلك كله متوارث لديهم من عهد إسماعيل عليه السلام ولكنّهم يطبقونه على غير وجهه ما ليس منه.

**ثانيًا: الشرك:**

يُلاحظ -عند دراسة سكان جزيرة العرب قبل الإسلام من الناحية الدينية- أنّهم مشركون جميعاً إلا أفراد منهم، وأسماء آلهتهم معروفة؛ "لأنّ الهدف الأكثر شيوعاً للنقوش العربية كان التضرع إلى الآلهة بطريقة ما، بالتوسل إليهم على نحو عادي، أو شكرهم"[٣]؛ وفي بيئة النبي صلى الله عليه وسلم كان الشرك هو العقيدة العامة التي تسود العرب[٤]؛ لذلك لم يفهم بعض أهل الجاهلية كون الإله واحداً، وتعجّب من ذلك، قال الله تعالى على لسانهم: **﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾** [ص: ٥].

ولهذه العقيدة العامة أشكال مختلفة، تختلف من شخص لآخر، ومن قبيلة لأخرى ... فمنهم من اعتقد أنّ خالق الكون، ومدبر الأمر هو الله جلّ جلاله، ومع ذلك فقد كان يعتقد أنّ عبادته الأصنامَ عبادة لله تعالى وتقرّبٌ إليه سبحانه وتعالى، ومنهم من قال: إنّ للملائكة منزلة عند الله فاتخذنا أصناماً على هيئة الملائكة؛ ليقربونا إلى الله، وفِرقة منهم تعتقد أنّ الأصنام قِبلَةٌ لهم في عبادة الله تعالى كما أنّ الكعبة قبلة في عبادته[٥]، إلا أنّه يمكن القول: إنّ أغلب عَبدَة الأوثان لم يكونوا يرون أنّها الآلهة الخالقة للعالم، بل هي الموصلة إلى الله، بدليل قوله تعالى

---

(١) ينظر: الحوفي، **الحياة العربية**، ص٣٢٢-٣٣٦.

(٢) الحوفي، **الحياة العربية**، ص٣٢٠-٣٢١.

(٣) هيلند، ربرت (٢٠١٠)، **تاريخ العرب في جزيرة العرب من العصر البرونزي إلى صدر الإسلام**، ط١، بيروت: شركة قدمس للنشر والتوزيع، ص١٧١/١٧٢.

(٤) ينظر: دروزة، محمد عزة (١٩٤٦)، **عصر النبي وبيئته قبل البعثة صور مقتبسة من القرآن الكريم ودراسات وتحليلات قرآنية**، دمشق: مطبعة دار اليقظة العربية، ص٣١٩.

(٥) ينظر: الألوسي، **بلوغ الأرب**، ١٩٧/٢-١٩٩.

على لسانهم: **﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾** [الزمر: ٣]، وقوله تعالى أيضاً: **﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ﴾** [الزمر: ٤٣].

ويتضح أنّ أهل مكّة بلغوا الذروة في الشرك، فهم -على الرغم من توحيدهم المشوب بالشرك وتعظيمهم الكعبة- قد اتخذوا "مع الكعبة طواغيت، وهي بيوت يعظمونها كتعظيم الكعبة، لها سدَنة وحُجَّاب، ويهدون لها كما يُهدى للكعبة، ويطوفون بها كطوافهم بالكعبة، وينحرون عندها"[١].

من اشكال الشرك عند الجاهلية كانت عبادة الاصنام، وكان العرب -كما ورد في الشعر الجاهلي- يُقسِمون بالأصنام، ويدُورون حولها، ويذبحون لها، ويستقسمون عندها بالأزلام أي القداح[٢]، وقد روى البخاري في صحيحه أنّ في جوف الكعبة وفي فنائِها ثلاثمئة وستون صنماً يوم فتح مكّة، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "دَخَلَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم مكّة يَوْمَ الفَتْحِ، وَحَوْلَ البَيْتِ سِتُّونَ وَثَلاَثُ مِائَةِ نُصُبٍ، فَجَعَلَ يَطْعُنُهَا بِعُودٍ فِي يَدِهِ، وَيَقُولُ: جَاءَ الحَقُّ وَزَهَقَ البَاطِلُ، جَاءَ الحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ البَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ"[٣]، وتدرجوا من عبادة الأصنام والأوثان إلى عبادة جنس الحجارة[٤].

أمّا أسماء أصنامهم، فقد ذُكِر بعضها في كتاب الله تعالى: **﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾** [النجم: ١٩ - ٢٣]؛ وأشارت مصادر تاريخية إلى أسماء الأصنام، ومنها: مناة، واللّات، والعزى، وسواع، وود، ويغوث، وغير ذلك؛ وكانت مناة أقدم الأصنام التي تعظمها وتذبح حوله قريش وجميع العرب، أمّا اللّات فكانت بالطائف، وقريش وجميع العرب تعظمها، أمّا العزى فكانت أعظم الأصنام عند قريش، وكانوا يطوفون بالكعبة ويقولون: "واللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى، فإنّهن الغرانيق العلى، وإنّ شفاعتهن لترتجى" وزعموا أنّهنّ بنات الله عزّ وجلّ عن ذلك وهنّ يشفعن إليه.[٥]

---

(١) ابن هشام، عبد الملك (ت. ٢١٨هـ)، **السيرة النبوية لابن هشام**، ط٢، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٩٥٥، ج١-ص٨٣.

(٢) والمثال على قسمهم بالأصنام قصيدة الشاعر أوس بن حجر: "وَباللاتِ وَالعُزّى وَمَن دانَ دَينَها ... وَبِاللهِ إِنَّ اللهَ مِنهُنَّ أَكبَرُ"، للمزيد من الأمثلة، والمعلومات انظر: الحوفي، **الحياة العربية**، ص٣٩١-٤٠١.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي برقم ٤٢٨٧.

(٤) ينظر: الندوي، **ماذا خسر العالم**، ص٦١.

(٥) للمزيد من المعلومات انظر: الكلبي، **كتاب الأصنام**، ص١٣-٢٧، والبغدادي، **المحبر**، ص٣١٥-٣١٩.

من أشكال الشرك عند الجاهلية أيضا تعدد المعبودات، والقبائل العربية أخذت عن الأمم التي كانت تتصل بها كثيراً من آلهتها، ولذا تعددت المعبودات، وكانت عبادة الشمس أكثر انتشارًا، فكان العرب يسجدون لها إذا أشرقت، وإذا توسّطتْ السماء، وإذا غرَبت، ولهذا السبب نهى رسول الله صلى الله عليه وسلّم عن الصلاة في هذه الأوقات، روى مسلم عن "عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ الْجُهَنِيَّ، يَقُولُ: ثَلَاثُ سَاعَاتٍ كَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَنْهَانَا أَنْ نُصَلِّيَ فِيهِنَّ، أَوْ أَنْ نَقْبُرَ فِيهِنَّ مَوْتَانَا: «حِينَ تَطْلُعُ الشَّمْسُ بَازِغَةً حَتَّى تَرْتَفِعَ، وَحِينَ يَقُومُ قَائِمُ الظَّهِيرَةِ حَتَّى تَمِيلَ الشَّمْسُ، وَحِينَ تَضَيَّفُ الشَّمْسُ لِلْغُرُوبِ حَتَّى تَغْرُبَ"[١].

وهناك بعض القبائل تعبد القمر، وجذام تعبد المشتري، وسهيلا، وغير ذلك؛ ومن آثار عبادتهم للكواكب أنّهم سمّوا بأسماءٍ مضافة إليها بالعبودية مثل: عبد الشمس، وعبد الشارق[٢].

وقد عبد بعض العرب الملائكة، والجن، وأشار القرآن الكريم إلى ذلك، فقال تعالى: **﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴾** [سبأ: ٤٠، ٤١]، وكما يدلّ بيت أمية بن أبي الصلت في تبرّئه من عبادة الجن على وجود عبادة الجن،[٣] قال:

حَنانيكَ إنَّ الجِنَّ كُنتَ رَجاءَهُم ... وأنت إلهي ربنا ورجائيا[٤]

وخلاصة القول عن الحياة الدينية في مكّة قبل البعثة، كان أكثر سكّانها مشركين يعبدون أصناماً عديدة، وكان هذا الشرك مهيمنًا على حياتهم مع تغيّر دين جدّهم على مرور الزمن، وعلى الرغم من تعصّبهم على عبادة الأصنام، كانوا لا يهتمون بأصنامهم كثيرًا، فكانوا يأكلونها مثلاً.[٥] ولعلّ ممّا تحسن الإشارة إليه هنا أنّ على رغم شركهم وتعدد معبوداتهم الا أنهم كانت لا تزال عقيدة التوحيد في حياتهم.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، برقم٢٩٣.

(٢) ينظر: الحوفي، **الحياة العربية**، ص٣٣٦-٣٣٨.

(٣) ينظر: الحوفي، **الحياة العربية**، ص٤٢٦-٤٣١.

(٤) أمية بن أبي الصلت، **شرح ديوان أمية بن أبي الصلت**، تعليق: سيف الدين الكاتب وأحمد الكاتب، بيروت: دار مكتبة الحياة، ص٩١.

(٥) كان المجتمع الجاهلي مجتمعا غير مهتمّ بالوثنية التي انتشـرت في كل أنحاء المجتمع، ويؤيد عدم اهتمامهم بالدين قول الشاعر:

أكلت حنيفة ربها ... زمن التقحّم والمجاعة

لم يحذروا من ربهم ... سوء العواقب والنياعة".

الحوت، محمود سليم (١٩٩٥)، **في طريق الميثولوجيا عند العرب بحث مسهب في المعتقدات والأساطير العربية قبل الإسلام**، ط١، دار النهار للنشر، ص٣٣.

**ثالثًا: الغفلة عن الآخرة:**

من الموضوعات التي تركّز عليها السور المكية هو غفلة أهل الجاهلية عن الآخرة، فانتقدت كثير من الآيات إنكارهم البعث، ومن هذه الآيات قوله تعالى: **﴿وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا﴾** [الفرقان: ٤٠]، "وعبّر عن إنكارهم البعث في الآية بعدم رجائه؛ لأنّ مُنكِرَ البعث لا يرجو من البعث نفعًا ولا يخشى منه ضرًا، فعبّر عن إنكار البعث بأحد شِقّي الإنكار تعريضاً بأنّهم ليسوا مثل المؤمنين يرجون رحمة الله"[١].

وكان بعض أهل الجاهلية يعتبر البعث بعد الموت أمرًا مستحيلاً، كما يشير إليه قوله تعالى: **﴿أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾** [ق: ٣]، ويتهكّم بالرسول صلى الله عليه وسلم بعد إخباره عن البعث،[٢] قال الله تعالى: **﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي﴾** [الأعراف: ١٨٧].

**المطلب الثاني: الحياة العبادية الجاهلية:**

لا شكّ أنّ العبادات تتعلّق بالمعلومات والتصوّرات العقديّة، فعندما تنحرف العقيدة جزئياً أو كليًّا، تنحرف أشكال العبادة مباشرة، وكانت العبادات في المجتمع العربي قبل البعثة منحرفة للغاية؛ وذلك نتيجة طبيعية للانحراف عن العقيدة الإبراهيمية، فالصلاة عندهم أصبحت تصفيرًا، والحج أصبح للأصنام، ومن الممكن تلخيص حياة العبادة الفاسدة الجاهلية على النحو الآتي:

**أولاً: الصلاة:**

إنّ الصلاة بالشريعة الإسلامية أو بالشريعة اليهودية أو النصرانية لم تكن معروفة وثابتة عند الجاهلية، غير أنّ العرب في العصر الجاهلي كانوا يعرفون الصلاة -بطريقة مختلفة تمامًا- بدليل ما ورد في القرآن الكريم، وفي شِعرِهم وذكرهم لها، وإشاراتهم إلى بعض شعائرها من ركوع وسجود وتسبيح، وفي المصادر التاريخية كذلك.[٣]

فالقرآن الكريم أشار إلى وجود الصلاة عند أهل مكة، قال تعالى: **﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً﴾** [الأنفال: ٣٥]، قال ابن عباس: "كان المكاء والتصدية نوع عبادة

---

(١) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١٩-ص٣١.

(٢) ينظر: **التحرير والتنوير**، ج٩-ص٢٠٠.

(٣) ينظر: علي، جواد، **تاريخ الصلاة في الإسلام**، بغداد: مطبعة ضياء، ص٨.

لهم، أنّهم كانوا يعتقدون أنّ المكاء والتصدية من جنس الصلاة[١]"، والمكاء في قوله تعالى "فُعَالُ بوزن الغُغَاءِ والرُّغاءِ من مَكَا يَمْكُو إذا صَفَرَ، والمُكاءُ الصَّفير، ومنه المَكّاءُ، وهو طائِر يألف الريف، وجمعه المَكاكِي، سُمّى بذلك لكثرة مُكَائه؛ وأمّا التصدية فهي التصفيق، يقال: صدّى يصدّي تصدية إذا صفّق بيديه"[٢].

وقد ذكر القرآن الكريم أنّهم كانوا يسجدون لغير الله تعالى، فقال الله تعالى: **﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾** [فصلت: ٣٧].

ومن الشعر قول الشاعر النابغة الذبياني:

أوْ دُرّةٍ صَدَفِيّةٍ غوّاصُها ... بَهِجٌ متى يرها يُهِلّ ويَسجُدِ[٣]

فالبيت يُظهِرُ أنّهم كانوا يعرفون السجدة، علاوة على ذلك، يُذكر في المصادر أنّ أبا ذر الغفاري صلّى ثلاث سنين قبل البعثة[٤]، ويُذكر أنّ عبدة الشمس كانوا يصلّون لها في بيت خاص ثلاث مرات في اليوم.[٥]

وقد ذكر البغدادي أنّهم كانوا يغتسلون من الجنابة، ويغسلون موتاهم[٦]، ويديمون المضمضة والاستنشاق، وفرق الرأس والسواك والاستنجاء، وتقليم الأظفار،[٧] علاوة على ذلك، كانت الصلاة على الميت معروفة عندهم، وكانوا يكفّنون موتاهم، ويصلّون عليهم، وكانت صلاتهم أنْ يُحمل الميّت على السرير، ثم يقوم وليّه بذكر محاسنه وأعماله، وإظهار الحُزنِ عليه، ثمّ يقول: عليك رحمة الله، ويقولون لهذا العمل "الصلاة"، وهي صلاة وإنِ اختلفتْ عن صلاة الجنائز في الإسلام، ولعلهم كانوا يصلّون صلواتٍ أخرى[٨].

---

[١] الرازي، محمد بن عمر بن الحسن (ت. ٦٠٦هـ)، **مفاتيح الغيب**، ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠، ج١٥-ص٤٨١.

[٢] الزمخشري، الكشاف، ج٢-ص٢١٨.

[٣] الذبياني، النابغة، **ديوان النابغة الذبياني**، ط٢، القاهرة: دار المعارف ص٩٢.

[٤] ينظر: ابن سعد، محمد بن منيع (ت:٢٣٠ه)، **الطبقات الكبرى**، ط١، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨، ج٤-ص٢٢٠.

[٥] ينظر: علي، **المفصل**، ج١١-ص٣٣٧.

[٦] ينظر: البغدادي، **المحبر**، ص٣١٩.

[٧] ينظر: القلقشندي، **نهاية الأرب**، ج١-ص٤٥٢-٤٥٣.

[٨] ينظر: علي، **تاريخ الصلاة**، ص١١.

وبناء على ما سبق يمكن القول: إنّ الصلاة بشكلها غير الإسلامي كانت موجودة ومعروفة عند الجاهليين؛ لأنّهم قوم جدّهم إسماعيل عليه السلام فكانوا يحجّون في مواسم معيّنة، ولهم شعائر دينية ثابتة معيّنة، ولهم أدعية إلى آلهتهم، ولا يمكن أنْ يكونوا قد أغفلوا أمر الصلاة؛ لأنّ الصلاة معروفة حتّى في الأديان البدائية، وهي ملازمة لكل الأديان[١].

**ثانيًا: الصوم:**

أمّا الصوم فيُمكن القول إنّ قريشاً كانوا يصومون يوم عاشوراء في الجاهلية حسب رواية أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: كَانَ يَوْمُ عَاشُورَاءَ تَصُومُهُ قُرَيْشٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَصُومُهُ، فَلَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ صَامَهُ، وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ، فَلَمَّا فُرِضَ رَمَضَانُ تَرَكَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ، فَمَنْ شَاءَ صَامَهُ، وَمَنْ شَاءَ تَرَكَهُ"[٢]، فكانوا يعظمون هذا اليوم بكسوةِ الكعبة فيه، "وعلّلوا ذلك بأنّ قريشًا أذنبت ذنبًا في الجاهلية، فعظم في صدورهم، وأرادوا التكفير عن ذنبهم، فقرّروا صيام يوم عاشوراء، فصاموه شكرًا لله على رفعه الذنب عنهم"[٣].

وقد كان الصوم عن الكلام موجوداً في الجاهلية، وقد عرف العرب في جاهليتهم هذا النوع من الصوم ومارسوه، فقد أخرج البخاري عن قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ، قَالَ: "دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى امْرَأَةٍ مِنْ أَحْمَسَ يُقَالُ لَهَا زَيْنَبُ، فَرَآهَا لاَ تَكَلَّمُ، فَقَالَ: «مَا لَهَا لاَ تَكَلَّمُ؟» قَالُوا: حَجَّتْ مُصْمِتَةً، قَالَ لَهَا: «تَكَلَّمِي، فَإِنَّ هَذَا لاَ يَحِلُّ، هَذَا مِنْ عَمَلِ الجَاهِلِيَّةِ»، فَتَكَلَّمَتْ، فَقَالَتْ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: «امْرُؤٌ مِنَ المُهَاجِرِينَ»، قَالَتْ: أَيُّ المُهَاجِرِينَ؟ قَالَ: «مِنْ قُرَيْشٍ»، قَالَتْ: مِنْ أَيِّ قُرَيْشٍ أَنْتَ؟ قَالَ: «إِنَّكِ لَسَؤُولٌ، أَنَا أَبُو بَكْرٍ»، قَالَتْ: مَا بَقَاؤُنَا عَلَى هَذَا الأَمْرِ الصَّالِحِ الَّذِي جَاءَ اللَّهُ بِهِ بَعْدَ الجَاهِلِيَّةِ؟ قَالَ: «بَقَاؤُكُمْ عَلَيْهِ مَا اسْتَقَامَتْ بِكُمْ أَئِمَّتُكُمْ»، قَالَتْ: وَمَا الأَئِمَّةُ؟ قَالَ: «أَمَا كَانَ لِقَوْمِكِ رُءُوسٌ وَأَشْرَافٌ، يَأْمُرُونَهُمْ فَيُطِيعُونَهُمْ؟» قَالَتْ: بَلَى، قَالَ: «فَهُمْ أُولَئِكِ عَلَى النَّاسِ"[٤].

---

[١] ينظر: علي، **تاريخ الصلاة**، ص٩.

[٢] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، باب صيام يوم عاشوراء برقم ٢٠١٢.

[٣] الألوسي، **بلوغ الأرب**، ج٢-ص٢٨٨.

[٤] رواه البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب أيام الجاهلية برقم ٣٨٣٤.

**ثالثًا: الحج:**

كانت مكّة المكرمة مركزاً دينياً؛ يؤمّها من مختلف أنحاء الجزيرة عددٌ كبير من القبائل المختلفة لأداء الحج، وكان أهل قريش يحجّون إلى البيت الحرام قبل الإسلام على الرغم من انحرافهم عن توحيد الله وإشراكهم به، غير أنّ صفة حجهم وطوافهم وإفاضتهم وغير ذلك مخالفة لما أتى به الإسلام، فقد أخرج البخاري عن عروة "أَنَّهُ قَالَ: قُلْتُ لِعَائِشَةَ رضي الله عنها زَوْجِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَأَنَا يَوْمَئِذٍ حَدِيثُ السِّنِّ - أَرَأَيْتِ قَوْلَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى **﴿إِنَّ الصَّفَا وَالمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ﴾** [البقرة: ١٥٨] فَلاَ أُرَى عَلَى أَحَدٍ شَيْئًا أَنْ لاَ يَطَّوَّفَ بِهِمَا، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: "كَلَّا، لَوْ كَانَتْ كَمَا تَقُولُ: كَانَتْ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ لاَ يَطَّوَّفَ بِهِمَا، إِنَّمَا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةُ فِي الأَنْصَارِ كَانُوا يُهِلُّونَ لِمَنَاةَ، وَكَانَتْ مَنَاةُ حَذْوَ قُدَيْدٍ، وَكَانُوا يَتَحَرَّجُونَ أَنْ يَطُوفُوا بَيْنَ الصَّفَا وَالمَرْوَةِ، فَلَمَّا جَاءَ الإِسْلاَمُ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَنْ ذَلِكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: **﴿إِنَّ الصَّفَا وَالمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ البَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾** [البقرة: ١٥٨]."[١]

وذكر القرطبي عند تفسيره لقوله تعالى: **﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ﴾** [البقرة: ١٩٧] أنّ الله لم يسمِّ أشهر الحج في الآية الكريمة؛ لأنّها كانت معلومة عند العرب[٢].

فأهل مكّة كانوا يحجون البيت منذ يوم تأسيسه، "ويعتمرون ويطوفون ببيت الله أسبوعاً، ويمسحون الحجر الأسود، ويسعون بين الصفا والمروة كما قال أبو طالب:

أشواط بين المروتين إلى الصفا ... وما فيهما من صورة ومخايل

إلّا أنّه كان على الصفا إساف، وعلى المروة نائلة، وهما صنمان، وكانوا يلبّون، ولكن بعضهم كانوا يشركون في تلبيتهم، فمثلاً كانوا يقولون في نُسكهم لإساف: لبيك اللهم لبيك، لبيك، لا شريك لك، إلا شريك هو لك، تملكه وما ملَك، وكانوا يقفون بعرفات، ويأتون مزدلفة، وكانت قريش لا تخرج من مزدلفة ولا تقف بعرفات، ويقولون: لا نعظّم من الحِلّ ما نعظم من الحرم، وكانوا يهدون الهدايا، ويرمون الجمار، ويعظمون الأشهر الحرم"[٣]، وغير ذلك كانوا

---

[١] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحج، باب يفعل في العمرة ما يفعل في الحج برقم ١٧٩٠.

[٢] ينظر: القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت. ٦٧١هـ)، **الجامع لأحكام القرآن**، ط٢، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٦٤، ج٢-ص٤٠٥.

[٣] البغدادي، **المحبر**، ص٣١١-٣١٩. (بالتصرف)

يقصدون لبيوت الآلهة للحج، وكان الحج بأدعية وبمخاطبة الآلهة وتوسلات لتقبل حج ذلك الشخص، كما كان هناك الحج الصامت، أي أنّ الحاج لا يتكلّم، يَظل صامتاً طيلة أيام حجه[1].

ومن هنا يظهر أن أهل الجاهلية قبل الإسلام كانوا يقومون بعبادات متنوعة وإن اختلفت طريقة اداؤها ومنها الصلاة والصوم والحج.

[1] ينظر: العلي، **المفصل**، ج١١-ص٣٤٨.

## المبحث الثاني: الحياة الأخلاقية في المجتمع الجاهلي

يحاول هذا المبحث أن يكوّن فكرة مختصرة عن الوضع الأخلاقي عند أهل الجاهلية في حياتهم اليومية، ويهدف إلى بيان أهم الخصائص الأخلاقية الجاهلية، وبحث سبب وصف المجتمع قبل الإسلام بالجاهلية على الرغم من وجود القيم الإيجابية المثالية عنده.

### المطلب الأول: الكرم:

الكرم من الفضائل الأساسية في المجتمع الجاهلي، لذلك عُدّت الضيافة فضيلة بارزة لديهم، وبَرزت في الشعر الجاهلي على أنّها الفضيلة الأهم، وهي صفة من الصفات التي تجب في البطل في التصوّر الجاهلي، وبالمقابل فإنّ البخل يمنع النظر إلى الشخص على أنه بطل[١].

والأسباب الرئيسة التي دعت إلى وجود الكرم عند العرب الجاهليين "متعلّقة بالبيئة الخارجية، والبنية الاجتماعية للمجتمع القَبَلِي، والحالة الاقتصادية؛ لأنّ ظروف مجتمعٍ ما هي التي تحدّد فضائله وعيوبه؛ وقد عاش البدو العرب في الصحراء الضنينة المقفرة، حيث يسودُ الجدب والقحط في أغلب أوقات السنة، وهذا يَعني أنّ قسماً كبيرًا من الناس قد أصابته هذه الظروف، ولم يستطع أنْ يكسب غذاءه بنفسه، ولكي يتغلّبوا على هذه الحالة السيئة للناس المحتاجين، نشأ شعور من تضامن بينهم، وعلاوة على ذلك فالعرب -على الرغم من الغزوات المألوفة في الجاهلية- حاولوا أنْ يؤمّنوا حركة سلمية في الصحراء الواسعة بالضيافة، فلا يوجد مطاعم أو استراحات يستطيع المسافرون فيها أنْ يتزوّدوا بحاجتهم"[٢].

ولم تكن هناك قوة مركزية تعتني بالمحتاجين والفقراء في المجتمع الجاهلي، وإنّما سادة القبيلة من الطبقة العليا هم المسؤولون عن مساعدة الفقراء، وهذه المسؤولية نوع من الضرورة؛ لأنّها وسيلة مهمّة من وسائل السيادة، وإلا فإنها تفقد هيبتها وقوتها لقيادة القبيلة[٣]، قال حاتم الطائي:

يقولون لي: أهلكتَ مالك، فاقتصِدْ ... وما كنتُ، لولا ما تقولونَ سيّدا[٤]

---

[١] ينظر: نعناع، محمد فؤاد (١٩٩٤)، **الجود والبخل في الشعر الجاهلي**، ط١، دمشق: دار طلاس، ص٢٠.

[٢] نعناع، **الجود والبخل**، ص٢٠-٢١.

[٣] للمزيد من الأمثلة ينظر: نعناع، **الجود والبخل**، ص٢١.

[٤] الطائي، حاتم، **ديوان حاتم الطائي**، بيروت: دار صادر، ١٩٨١، ص٤١.

وكُتبُ الأدب والتاريخ حوافل بأخبار كرمِ العرب الجاهليّين وقِصصهم، وكثير منها - بلا شكّ- قد تطرّق إليه الخيال والمبالغة، ولكنّها على ما فيها من خيال ومبالغة صورة لأصالة الكرم في نفوسهم، وشيوعه بينهم[١]؛ فمنْ أهمّ مظاهر كرمهم هي: "إيقاد النيران ليلاً على المرتفعات لتمكين الغرباء من الاهتداء إلى الأماكن التي يقطنونها"[٢]، وافتخارهم بكثرة الضيوف، وذبح الإبل وإطعامها للمحتاجين؛ "والكريم في الجاهلية هو من أعطى فحرم نفسه، وبذل من نصاب حاجته الضرورية، وهو الكثير الخير، والجواد المعطي، الذي لا ينفد عطاؤه، الجامع لأنواع الخير والشرف والفضائل"[٣].

كانَ الكرم عند الجاهلية وسيلة للحصول على القوة، والسمعة الطيبة، والمكانة الرفيعة، ولكسب الحمد والشكر، والاحتفاظ بالذكر الحميد، ووقاية العرض والنّسب[٤]، مثلاً: يشير الأعشي الكبير إلى ربح الجواد قائلا:

تَشتَري الحَمدَ بِأَغلى بَيعِهِ ... وَاِشتِراءُ الحَمدِ أَدنى لِلرَبَح[٥]

"إنّ الحصول على الثناء العام من قبل الشعراء كان شرطاً من شروط القيادة في المجتمع قبل الإسلام، ومن أجل ذلك وجب أنْ يتبرع المرء بسخاء؛ لأنّه يعلم أنّ الجود يجلب الثناء والإطراء، وأنّ البخل يثير السخرية والهجاء. وهكذا فقد علموا أنّ من يَجُدْ يُحْمَدْ، ومن يبخلْ يذمّ"[٦]، وهذا ما ذكره علقمة الفحل قائلاً:

والجودُ نافِيةٌ لِلْمَالِ مَهْلِكَةٌ ... والبُخْلُ مبقٍ لِأَهْلِيهِ ومذْمومُ

والمالُ صُوفُ قَرارٍ يَلْعَبُونَ به ... على نِقَادَتِه وَافٍ ومَجْلُومُ[٧]

وصورة هذا الكرم الذي يتعلّق بالشغف للثناء عند الجاهلية كان يجري بتفريق المال فيما لا ينبغي، وإنفاقه على وجه الإسراف، والقرآن الكريم وصفه بالتبذير في قوله تعالى:

---

(١) ينظر: الحوفي، **الحياة العربية**، ص٣٠٨.

(٢) طقوش، محمد سهيل (٢٠٠٩)، **تاريخ العرب قبل الإسلام**، ط١، بيروت: دار النفائس، ص١٩١.

(٣) طقوش، **تاريخ العرب**، ص١٩٠.

(٤) للمزيد من المعلومات والأمثلة انظر: نعناع، **الجود والبخل**، ص٤٤-٤٩. إن جلب الحمد والثناء واحتفاظهما كان من أهم غايات الكرم عند الجاهلية، بجانب ذلك كان وصف الكرم على أنه وسيلة للحصول على المكانة الرفيعة عند الله -على رغم من قلته- موجودا عند الجاهلية كقول حاتم الطائي:
"ولكنما يبغي به الله وحده ... فأعط فقد أربحت في البيعة الكسبا" (المصدر نفسه، ص٤٦.)

(٥) قيس، **ديوان الأعشي الكبير**، ص٢٣٦.

(٦) المصدر نفسه، ص٤٥.

(٧) صقر، السيد أحمد (١٩٣٥)، **شرح ديوان علقمة الفحل**، ط١، القاهرة: مكتبة المحمودية التجارية، ص٦٦.

**﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾** [الإسراء: ٢٦]، يقول الزمخشري في تفسير هذه الآية: "كانت الجاهلية تنحرُ إبلها وتتياسر عليها، وتبذر أموالها في الفخر والسمعة، وتذكر ذلك في أشعارها"[١].

وربما تكون من أسوأ ممارسات الكرم مسابقة العقر، إذ تذكر مصادر التاريخ أنّ هذه الممارسة كانت معروفة وذائعة عند الجاهلية، وهي أنه "كان يتبارى الرجلان في الجود والسخاء، فيعقر هذا إبلاً ويعقر هذا إبلاً حتّى يُعجِزُ أحدهما الآخر، وكانوا يفعلونه رياءً وسمعةً وتفاخراً، ولا يقصدون به وجه الله".[٢]

وخلاصة الكلام كان الكرم شائعاً في المجتمع الجاهلي، حتّى يمكن أنْ يقال إنّه من أهم شعارات المجتمع الجاهلي، ولكنّ هذا الشعار كان شعاراً جاهلياً، فكان مرتبطاً بمنافع دنيوية على وجه الإسراف، وليس المقصود به وجه الله تعالى.

**المطلب الثاني: الشجاعة:**

كانت الشجاعة من أهمّ الفضائل الأساسية في المجتمع الجاهلي مثل الكرم، "فكان يشجّع العربَ فكرةُ أن يُلقي المرء بنفسه في التهلكة راضيًا مختارًا إما دفاعًا عن القبيلة أو عن النساء[٣]"، " وتدرّج هذا السلوك إلى الوفاء والإيثار، والعفو عند المقدرة، وإغاثة الملهوف، والاعتراف بشجاعة العدو؛ وعرب البادية أكثر شجاعة من أهل المدن، ذلكَ أنّ الحياة الرّعوية البسيطة، وقسوة الصحراء، فرَضت عليهم السموّ الخلقي، فصاروا يستهينون بالموت إلا تحت ظلال السيوف[٤]".

إنّ الأسباب الرئيسة التي دعتْ إلى وجود الشجاعة عند العرب الجاهلي متعلّقة بالبيئة الخارجية، والبنية الاجتماعية للمجتمع القَبَلِي، وبسبب تأثير البيئة الخارجية في العرب الجاهليين كانوا يسارعون إلى إغاثة المحتاج من دون أنْ يسألوا المستغيث عن سبب طلب

---

(١) الزمخشري، محمود بن عمرو بن أحمد (ت. ٥٣٨هـ)، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، ط٣، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧، ج٢-ص٦٦١.

(٢) ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد (ت. ٦٠٦هـ)، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩، ج٣-ص٢٧٢.

(٣) الحوفي، **الحياة العربية**، ص٢٥٩.

(٤) طقوش، **تاريخ العرب**، ص١٩٢.

الغوث، وكانوا يهدفون بإغاثة الملهوف إلى تحقيق رغبة إنسانية هي التعاون ضد الطبيعة الصعبة القاسية[١].

وتظهر الشجاعة في البنية الاجتماعية للمجتمع القَبَلِي على شكل الأخذ بالثأر، و"لعلّ ما يميّز حياة العرب في الجاهلية أنّها كانتْ حياةً حربيةً، تقوم على سفكِ الدماءِ، فهم قاتلون مقتولون دائماً، لا يفرغون من دمٍ إلا إلى دم، ولذلك كان أكبر قانون عندهم يخضع له كبيرهم وصغيرهم هو قانون الأخذ بالثأر، فهو شريعتهم المقدسة، إذ كانوا يُحرّمُوْنَ على أنفسهم الخمر والنساء والطيب حتّى يثأروا من غرمائهم[٢]"، وهكذا كان العرب الجاهليون يعيشون حلقةً دائريّة بين الثأر والحرب، وهذه تُلزِمُ العربَ أنْ يكونوا شجعانًا.

والخلاصة أنّ الأخلاقَ في الجاهليّة تقومُ على أساس سيطرة قانون اللّذة والمنْفعة، "فالفضيلة تُعدّ كذلك بمقدار ما تحقّقه من منفعة، والرذيلة تعدّ كذلك بمقدار ما يترتب عليها من أضرار، ويظهر ذلك بشكلٍ بارزٍ في تَخلّي مجتمع الجاهلية عن اعتبار خلق العفّة في علاقة الرجل والمرأة، حيثُ جعلَ من الرّجل والمرأة أداة للإمتاع وإشباع الغريزة، والخطوة الأولى إلى ذلك هي التبرّج (إظهار الزينة والمحاسن ممّا يستدعى به ما يُشْتَهَى من الملذَّات المادّية) فإذا تبرّج الرّجال أو النساء خارج بيتهم، وإذا دخلوا الحياة الاجتماعية متبرّجين فقد تحوّلوا إلى الشخصيات المحوريّة في الملذات المادّية." [٣]

**المطلب الثالث: القانون والتشريع:**

يقوم التشريع الجاهليّ على أسس عدم الاحتكام إلى منهج الله في شؤون الحياة، فلا تتأسس ولا تستند قوانينه إلى تعاليم خالق البشر، ووحيه السماوي؛ "ويتأسّس على عقول البشر وأهوائهم ومصالحهم الذاتية، منحيّاً وغير مستند إلى ما أنزل الله"[٤]؛ كما أشار إليه قوله تعالى: **﴿وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾** [المائدة: ٤٩]. "ومنْ ثمَّ فإنّه ينتفي عنه العدل المطلق كما هو في منهاج الله؛ لأنّ البشر يشرّعون وفقًا للمصالح التي تُدرِكُها عقولهم، والحاجات والمصالح التي يهدفون لتحقيقها في

---

[١] ينظر: مفقوده، صالح(٢٠٠١)، القيم الأخلاقية للعربي من خلال الشعر الجاهلي، **مجلة العلوم الإنسانية**، جامعة محمد خيضر بسكرة، العدد الأول، نوفمبر، ص١٩٢-١٩٤.

[٢] ضيف، **العصر الجاهلي**، ج١-ص٦٢.

[٣] جعفر، **منهج النظر إلى مفهوم الجاهلية**، ص٢٨. (بالتصرف)

[٤] جعفر، هشام، منهج النظر إلى مفهوم الجاهلية، مكتبة الإسكندرية، **مراصد – كراسات علمية**، ٢١، ص٢٥.

وقتهم"[١]، كما يشير إليه في قوله تعالى: **﴿فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾** [المائدة: ٤٨].

والتشريع في أيّام الجاهلية مختلفٌ باختلاف القبائل والأماكن، وطبيعة البيئة، ولعدم وجود حكومات منظمة قوية في معظم أنحاء جزيرة العرب، ولا يمكن تصوّر وجود هيئات قضائية ومؤسّسات حكومية ذوات قوانين مدوّنة[٢]، ولم تكن لأهل الجاهلية سلطة قضائية يترافعون إليها في منازعاتهم، إنّما كان القانون عندهم "قانوناً عرفياً، رسمته الممارسة القديمة، لذلك فهو محافظ بشكل متأصل"[٣].

ويشير إلى ذلك القرآن الكريم، قال الله تعالى: **﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾** [الزخرف: ٢٢، ٢٤] وكان يجتمع كافة الأعضاء الكاملي العضوية، ويُصنع القرار القَبَلِي، ولم تكن الأحكام القضائية تبلّغ في المجالس القَبَلِية فحسب، بل كانت الجُنحُ تسمعُ ويستجوَب مرتكبوها أيضاً[٤].

وإنّ من أبرز سمات حكم الجاهلية أنّه حكم لا يراعى فيه العدل المطلق، فكان "تنويع المركز القانوني بالنسبة إلى الناس حسب طبقاتهم أو حسب مركزهم في المجتمع، من حيث كونهم في قمة الهرم الاجتماعي أو قاعدته، فالقانون في نهاية الأمر سيكون محصلة صراع القوى والطبقات والأشخاص أصحاب النفوذ والمكان[٥]".

---

[١] جعفر، **منهج النظر إلى مفهوم الجاهلية**، ص٢٦.
[٢] ينظر: علي، **المفصل**، ج١٠-ص١٤٢.
[٣] هيلند، **تاريخ العرب**، ص١٥٤.
[٤] ينظر: هيلند، **تاريخ العرب**، ص١٥٥.
[٥] شمس الدين، **بين الجاهلية والإسلام**، ٢٤٩.

## المبحث الثالث: الحياة الاجتماعية في المجتمع الجاهلي

يتناول هذا المبحث من أهم القضايا الاجتماعية لإعطاء الفكرة عن خصائص المجتمع الجاهلي، وهو القبيلة والعصبية وطبقات المجتمع، ومكانة المرأة في المجتمع، والأوضاع الاقتصادية.

### المطلب الأول: القبيلة والعصبية وطبقات المجتمع:

"كان المجتمع الجاهلي في المرحلة القريبة من ظهور الإسلام مجتمعاً قَبَلِيًّا بدائيًّا يتلاءم مع طبيعة البيئة، وينقسم العرب الجاهليون إلى وحدات اجتماعية متعددة تعرف باسم القبيلة[١]"، وفي الحقيقة "إنّ هذا النظام القَبَلِي قد عرفه العرب في باديتهم وحضارتهم منذ أقدم عصورهم، واحتفظوا طويلا بهذا النظام، حتّى وحّدَ الإسلام قبائل العرب وضمّ شتاتهم في دولة عربية واحدة، وظل العرب محتفظين بكثير من خصائص هذا النظام القبلي[٢]".

والفارق الذي يُلاحظ "في حالة القبائل العربية قبل الإسلام وبعده، أنّ القبيلة كانت تمثل قبل الإسلام وحدة سياسية واجتماعية مستقلة، ولم يكن في بلاد العرب آنذاك نظام سياسي شامل يخضع لسلطانه شتّى القبائل العربية،"[٣] فلا يسمح النظام القبليّ بقيام سلطة مركزية محليّة تربط القبائل بعضها ببعض[٤].

ويمكن تعريف القبيلة بأنّها جماعة من الناس تنتسب إلى أَبٍ أو جَدٍّ واحد، وهي عبارة عن أسرة كبيرة مستقلّة لا تعترف بسلطة خارجية عليها،[٥] وكان لكلّ قبيلة مجلس يتشكل من رؤساء العشائر ينظر في شؤونها قوانين العرف والعادة. وتستمد القبيلة وجودها من هذين الأمرين: الاعتقاد بوحدة الدم، والمصلحة القبلية المشتركة. [٦]

---

[١] طقوش، **تاريخ العرب**، ص١٥٩.

[٢] النص، إحسان، **العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي**، دار اليقظة العربية، ص٥٣-٥٤.

[٣] النص، **العصبية القبلية**، ص٥٣-٥٤.

[٤] ينظر: طقوش، **تاريخ العرب**، ص٤٣٤.

[٥] ينظر: طقوش، **تاريخ العرب**، ص١٥٩.

[٦] ينظر: ضيف، **العصر الجاهلي**، ص٥٢.

وتتألف القبيلة من ثلاث طبقات: أبناء القبيلة الذين هم عماد القبيلة وقوامها، والعبيد، والموالي. وقد تنقسم إلى ثلاث طبقات نسبة إلى الحالة الاقتصادية والمكانة الاجتماعية على النحو الآتي:[١]

الطبقة العليا: يدخل فيها أبناء القبيلة الأحرار الذين يجمع بينهم الدم الواحد والنسب والجد المشترك.

الطبقة المتوسطة: التي تتشكل من صغار التجار، وأصحاب الإقطاعيات المحدودة، والخلعاء، والأغربة[٢]، والعتقاء الذين كانوا عبيدًا ثم صاروا بالعتق أحرارًا.

الطبقة الدنيا: وتتشكل من العبيد السود، والرقيق الأبيض، والأسود.

وإذا نظرنا إلى صلة القبائل بعضها ببعض فإنها تقوم على العداوة والغزو والنزاع المتّصل، فقد كان العرب في العصر الجاهلي يعيشون في وحدات متنافرة، وجماعات متعادية، يتربّص بعضها شرًّا ببعض،[٣] كما قال الشاعر عوف بن عطية:

وَنَرعى ما رَعَينا بَينَ عَبسٍ ... وَطَيِّئِها وَبَينَ الحَيِّ بَكرِ

وكُلُّهُمُ عَدُوٌّ غيرُ مُبقٍ ... حَدِيثٌ قُرحة يَسعَى بِوترِ[٤]

أمّا العصبية فتعرّف بأنها حالة "تدعو الرجل إلى نصرة عصبته والتآلب معهم، على من يناوئهم، ظالمين كانوا أو مظلومين"،[٥] وهي "شعور التماسك والتضامن بين من تربطهم رابطة الدم، وعلى هذا النحو تعدُّ العصبية مصدر القوة السياسية والعسكرية التي تربط أفراد القبيلة[٦]".

وكانت العصبية "تهبّ بكل أفرادها لنصرة فرد منها ظالماً كان أو مظلوماً، وترفع عنه الأذى والضرر، وتثأر لقتيلها، وفي المقابل يتوجّب على الفرد أنْ يتقيّد بنظام القبيلة، ويلبّي

---

(١) محمود، محمود عرفة (١٩٩٥)، **العرب قبل الإسلام أحوالهم السياسية والدينية وأهم مظاهر حضارتهم**، ط١، مصر: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ص٢٧١-٢٧٦.

(٢) الأغربة هم السود الذين ورثوا سواد البشرة من أمهاتهم الإماء، فلم يعترف بهم آباؤهم العرب ولم ينسبوهم إليهم؛ لأن دماءهم ليست عربية خالصة. طقوش، **تاريخ العرب**، ص١٧١.

(٣) ينظر: النص، **العصبية القبلية**، ص٨٠.

(٤) الضبي، المفضل بن محمد بن يعلى بن سالم (ت: نحو ١٦٨هـ)، **المفضليات**، ط٦، تحقيق: أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، ص٣٢٨.

(٥) الأزهري، **تهذيب اللغة**، ج٢-ص٣٠.

(٦) طقوش، **تاريخ العرب**، ص١٥٩.

نداءها إذا دعته إلى نصرتها أثناء الشدة، فينصرها ويساعد إخوانه ظالمين كانوا أو مظلومين، كما يقبل تحمّل بعض مسؤوليات أعمال غيره، فيساعدهم في دفع الديّات مثلا، أما إذا خالف أعرافها أو ارتكب جريرة ترفض أن تتحمل نتائجها؛ يطرد منها، ويسمّى الطريد، ويتمّ إعلان الخلع رسميًا على الناس في المواسم والأسواق العامة[١]".

وقد كان من أهم مظاهر العصبية القبلية التماسك الوثيق بين أبناء القبيلة الواحدة، مثل: إيثار أبناء القبيلة مصلحة القبيلة على مصالحهم الفرديّة، أو طاعة أفراد القبيلة سيّدهم لنظام القبيلة، أو اتباع طريقة الآباء دون تمييز، ومن مظاهر العصبية أيضاً الفخر بالأحساب، والطعن في الأنساب، والطبقية، والأخذ بالثأر، والدماء، والحروب، والرغبة في البطش والعدوان تحاكمًا إلى أهواء مشايخ العشائر، والتقليد في الباطل[٢].

لقد تأسّس المجتمع الجاهلي على "العقلية العاطفية الانفعالية التي تستحكم في نفس الإنسان، فتشعل أعصابه، وتدفعه إلى أنْ يعامل الناس بروح العدوان؛ فيحرمهم حقوقهم الطبيعية لمجرد أنّه يختلف معهم في الرأي والهوى، دون أنْ ينظر إلى موقفه نظرة موضوعية ليكتشف أنّه محق أم مبطل، على صواب في موقفه أو على خطأ"[٣].

**المطلب الثاني: المرأة ومكانتها في المجتمع الجاهلي:**

إنّ المصادر ترسم لنا صوراً مختلفة ومتباينة للمرأة في العصر الجاهلي، بينما تذكر أنّ لها مكانة مهمة في المجتمع؛ وأنّها موضع تقدير الرجل وإعزازه، وحظيت بمكانة كبيرة في المجتمع بحيث لم يجد بعض الشعراء -وحتّى القبائل- حرجاً في الانتساب إلى أمهاتهم – فإنها من ناحية أخرى تتحدث عن حرمان المرأة من أبسط حقوقها[٤]؛ وهذا أمر طبيعي؛ لأنّ الناس طبقات وذوي منازع شتّى، ولكن من الحقائق التي لا شكّ فيها أنّ من العرب الجاهليين من يمتهن المرأة ويراها من سقطِ المتاع بحيث دفنوا البنات وهن أحياء.

---

[١] طقوش، **تاريخ العرب**، ص١٥٩ – ١٦٠.

[٢] ينظر: الجريسي، خالد بن عبد الرحمن، **العصبية القبلية من منظور الإسلامي**، ص٣٣-٤٠.

[٣] شمس الدين، **بين الجاهلية والإسلام**، ٢٥١.

[٤] ينظر: طقوش، **تاريخ العرب**، ص١٧٥، والبرزنجي، عماد ســـركول محى الدين، النســـاء في الجاهلية والإسلام في ضوء القرآن الكريم: دراسة موضوعية، **مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية**، المجلد ٨ – العدد ٢، ص٣١٧.

من أهم المشكلات الاجتماعية البارزة في المجتمع الجاهلي للمرأة هي حرمانها من مهرِها، ومن حقِّها في الميراث، وجعل السلطة المطلقة للرجال في الطلاق[١]، خلاف ما تذكره عديد من المصادر أنّ المرأة لم تكن مهملة في الجاهلية، وقد ملكتْ الأموال، ومارستْ التجارة وكانتْ لها حريّة جعلتها بارزة في المجتمع الجاهلي.[٢]

وعلى الرغم من عدم إمكانية الجزم والحكم المطلق في هذه المسألة -يمكن القول: إنّ بعض النساء لم يكنّ يحظين بحقوقهنّ الطبيعية، والدليل القطعي على ذلك تحسين أوضاع وحقوق النساء من قبل القرآن الكريم في حقوق النكاح، والإرث وغير ذلك... إلى جانب ذلك كان هناك مشكلة اجتماعية بارزة متوحشة، تتفق على وجودها في الجاهلية جميع المصادر: وهي الوأد، وتعني أنّ الرجل يحفر حفرة لابنته المولودة ثمّ يضعها فيها؛ ويهيل عليها التراب، فيدفنها حيّة ويحرمها من حقّ الحياة من دون ذنب، وهي جريمة بشعة بطبيعة الحال أيًّا كانت مبرّرات الوأد؛ وأشارت السور المكية إلى هذه المشكلة في قوله تعالى: **﴿وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾** [الأنعام: ١٣٧].

فكان الوأد شائعاً في بعض القبائل مثل بني تميم، وكندة، وقريش؛ وكان الوأد في هذه القبائل متفاوتاً، فكان بعض سادات العرب يعيبون وأد البنات، ويُنقِذونهن من جريمة الوأد القاسية[٣]، وقَبُول الوأد من قبل المجتمع وممارسته -ولو كان قليلاً- يكفي لإظهار مدى تدهور المجتمع الجاهلي.

وقد أشار القرآن الكريم إلى نفسية الجاهليّ حال تبشيره بولادة الأنثى، قال تعالى: **﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾** [النحل: ٥٨]، ولعلّ في هذا دلالة على كراهيّة بعض العرب في ذلك الزمان للبنات.

**المطلب الثالث: الأوضاع الاقتصادية في المجتمع الجاهلي:**

كان اقتصاد الجزيرة العربية قبل الإسلام يعتمد على التجارة بشكل أساسي، وعلى الرعي المنتقل لأنعامهم، وعلى الزراعة، وكان عندهم إلمام بالصناعة أيضاً.[٤] ولكن الأهمّ من

---

[١] ينظر: البرزنجي، **النساء في الجاهلية**، ص٣١٩ – ٣٢٤.

[٢] ينظر: سقال، ديزيره (١٩٩٥)، **العرب في العصر الجاهلي**، ط١، بيروت: دار الصداقة العربية، ص٩٥.

[٣] ينظر: طقوش، **تاريخ العرب**، ص١٨٩.

[٤] ينظر: طقوش، **تاريخ العرب**، ص٣٣.

بين هذه النشاطات الاقتصادية التجارة، بدليل كثرة استعمال التعابير التجارية والمالية في القرآن الكريم، كالحساب، والقسطاط، والمثقال[١].

وقد ترتّب على هذه الحيوية في تجارة شبه الجزيرة العربية ظهور كثير من الأغنياء وأصحاب الثروات، وبقيّة الطبقات الفقيرة على حالها[٢]، يظهر هذا التفاوت في الثروة في شعر الأعشى، قال:

تَبيتونَ في المَشتى مِلاءً بُطونُكُم ... وَجاراتُكُم غَرثَى يَبِتنَ خَمائِصا[٣]

وكان هذا الحال الاجتماعي منتشراً في المجتمع المكي، وكانت الطبقات الغنيّة تحاول أنْ تُرجع مصدر الثروة إلى الحظ، والمصادفة بحجب أصل الثروة في المجتمع قسوةً، وتعسفًا، وسرقةً، وأعمالاً غير مشروعة[٤].

ويمكن القول إنّ أهمّ المشاكل الاقتصادية في المجتمع المكّي قبل الإسلام هي النزعة الفردية السائدة، والتفاوت في الثروة؛ إذ "كان يعيش سادة قريش معيشة مترفة، بحكم ثرائهم واتصالهم بالفرس والروم، ويقال: إنّهم كانوا يصيفون في الطائف ويشتون في جدة،[٥] "ويقال أيضاً إنّ عبد المطلب جدّ الرسول صلى الله عليه وسلم دُفن في حلتين قيمتهما ألف مثقالٍ من الذهب، ومن يقرأ أخبار قوافلهم التجارية يخيّل إليه أنّ مكّة كانت قافلة كبيرة مقيمة، تخرج منها القوافل إلى الجنوب والشمال والشرق، ودعاهم ذلك إلى أنْ يعقدوا معاهدات بينهم وبين القياصرة والنجاشيين والأكاسرة[٦]".

---

[١] ينظر: الشمري، ظاهر ذباح، لمحة عن الأحوال الاقتصادية عند العرب قبل الإسلام، **مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية**، المجلد ٤ – العدد ٢، ص ٣٢٥ - ٣٢٨.

من أسباب ازدهار التجارة هو "استقرار الأوضاع السياسية نسبياً عند العرب قبل الإسلام ... فلقد كان هناك اهتمام بالقوافل التجارية ومراقبة الطرق المؤدية إلى مختلف البلدان وعقد الاتفاقات بين القبائل لسلامة مسير تلك القوافل، ويمكن القول إنّ تشجيع حركة التجارة وتأمين طرق القوافل من أهمّ العوامل التي أدت إلى زيادة الدخل." الشمري، **لمحة عن الأحوال الاقتصادية**، ص٣٢٥.

وإنّ الاكتشافات الحديثة تدلّ على أنَّ طريق الصحراء كان نشيطاً بشكل كبير، فقد "اعتمد البيزنطيون على قوافل البدو التي كانت تحمل لهم البضائع من الهند والصين وفارس واليمن وإفريقيا، وكان ملوك الدول المجاورة يرسلون لطائمهم كل عام إلى عكاظ لبيعها وشراء بضائع أخرى". وكانت مكّة عاصمة هذه الحركة التجارية ومركزها المالي الرئيس. ينظر: الشمري، **لمحة عن الأحوال الاقتصادية**، ص٣٢٧.

[٢] ينظر: الشمري، **لمحة عن الأحوال الاقتصادية**، ص٣٢٧.

[٣] قيس، ميمون بن قيس، **ديوان الأعشى الكبير**، المحقق: محمد حسين، مكتبة الآداب بالجماميز، ١٤٣٧، ص١٤٩.

[٤] ينظر: الشمري، **لمحة عن الأحوال الاقتصادية**، ص٣٢٧.

[٥] ضيف، **العصر الجاهلي**، ص٥١-٥٢.

[٦] ضيف، **العصر الجاهلي**، ص٥١-٥٢.

وما وراء ذلك هو النزعة الفردية السائدة، فقد كان كثير من الناس يعيشون تحت خط الفقر، فكان أغلب المجتمع المكّي يتشكّل من العبيد، والصعاليك، والموالي، وكان أكثرهم من الحبشة، ويظهر أنّهم كانوا كثيرين كثرة مفرطة، ولعلّ ممّا يدل على كثرتهم أنّ هند بنت عبد المطلب أعتقت في يوم واحد أربعين عبداً من عبيدها[١]".

والمشكلة الاقتصادية الأخرى في المجتمع الجاهلي هي الرّبا الذي يُقصد به القَرض بفوائد عالية، ومن الأدلة على وجود هذه المشكلة في المجتمع الجاهلي أنْ تكون بداية تحريمه في العهد المكي، و"قد أنزل الله تعالى في شأنِ الرّبا قرآنا منذ اللّحظة الأولى في مكّة يصفه بأوصاف تُزهد فيه، حيث إنه ضرب من إعطاء المال الذي لا يرضى الله تعالى به[٢]"، فقال الله تعالى: ﴿**وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبًا لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ**﴾ [الروم: ٣٩]، هكذا حذّر القرآن الكريم من التعامل به وأكله، ثمّ حرمه تحريمًا كاملاً في العهد المدني. وكان الرسول صلى الله عليه وسلم حريصًا على وضع الرّبا وتحريمه، ولكي يكون قدوة للناس كان أوّل ربا وضعه ربا عمه العباس بن مطلب[٣].

"ويبدو أنّ الرّبا قد تسرب إلى الحياة العربية عن طريق اليهود الذين وُجِدُوا في المستعمرات الزراعية في الطائف، ولعلّ سبب إقبال سكّان الحجاز على التعامل بالرّبا يرتبط بالبيئة الطبيعية التي لم تمكن أصحاب الثروة من استثمار أموالهم في الزراعة؛ نظرًا لمحدودية الأرض القابلة للزرع، إضافة إلى ضعف الصناعة التي تشجّع على استثمار الأموال فيها، فالتجأ الأثرياء إلى الرّبا بديلاً عنهما بغية زيادة الثروة[٤]".

---

[١] ضيف، **العصر الجاهلي**، ص٥١.

[٢] موسى، نعيم هدهود حسين (٢٠١٦)، علاج مشكلة الربا في القرآن الكريم: دراسة موضوعية مقاصدية، **المؤتمر الدولي القرآني الأول: توظيف الدراسات القرآنية في علاج المشكلات المعاصرة**، ص٤٨٥٨.

[٣] الحسيني، عفاف حسن أحمد (٢٠٠٩)، القيم والمبادئ المتضمنة لخطبة الرسول صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع، **مجلة كلية التربية بالمنصورة**، جامعة المنصورة - كلية التربية، العدد:٦٩-يناير، ص٤٨٨.

[٤] الشمري، **لمحة عن الأحوال الاقتصادية**، ص٣٢٨-٣٢٩.

## الفصل الثاني: عناصر المجتمع المسلم وبناؤها في السُّور المكية

المبحث الأول: الإنسان وبناؤه في السُّور المكّيّة

المطلب الأول: الإنسان على المستوى الفردي

المطلب الثاني: الإنسان على المستوى الجماعي

المبحث الثاني: البيئة وإنشاؤها في السُّور المكّيّة

المطلب الأول: الطبيعة

المطلب الثاني: المدينة

المبحث الثالث: العلاقات وإنشاؤها في السُّور المكّيّة

المطلب الأول: العلاقة بين الإنسان وخالقه سبحانه وتعالى:

المطلب الثاني: العلاقات البشرية

المطلب الثالث: علاقة الإنسان مع البيئة

## الفصل الثاني: عناصر المجتمع المسلم وبناؤها في السُّور المكية

هذا الفصل يهدف إلى بيان العناصر المكوّنة للمجتمع المسلم وتشكلها في ضوء ما جاءت به السُّور المكية، والعناصر هي الإنسان، والبيئة، والعلاقات، ويتناول كلّ عنصر من هذه العناصر بتفاصيله في المباحث الآتية:

المبحث الأول: الإنسان وبناؤه في السُّور المكية. ثم المبحث الثاني: البيئة في السُّور المكيّة، وأخيراً المبحث الثالث: العلاقات وإنشاؤها في السُّور المكية. وتفصيلها على النحو التالي:

## المبحث الأول: الإنسان وبناؤه في السُّور المكّيّة

لا شكّ أنّ الإنسان أهمّ عناصر المجتمع؛ فهو الذي يُقيم المجمع، ويشكّله، ويحفظه، بل إنّ المجتمع القوي المتين يقوم على الفهم الدقيق للشخصية الإنسانية في مواقف الحياة المختلفة؛ إذ تنعكس خصائص شخصية أعضاء المجتمع وسماتهم وكيفية سلوكهم على حياتهم الاجتماعية، ومع الزمن تشكل نظمهم وعلاقاتهم الاجتماعية[١].

بعبارة أخرى، إنّ إنسان اليوم وفكره وتصوّره عن الحياة والكون يشكّل مجتمع الغد، ونظمه، وقيمه، وسلوكه، كما وُصِفَ إبراهيم عليه السلام بأنه أمة في قوله تعالى: **﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾** [النحل: ١٢٠]، فيمكن أن يقال: إنّ في هذه الآية إشارة إلى تحوّل الشخصية الإبراهيمية من فردٍ واحدٍ إلى مجتمع متميّز في المستقبل[٢].

لقد قدّم القرآن الكريم الصورة الواضحة للإنسان الذي هو اللّبنة الأساسية في بناء المجتمع، وقد خاطب القرآن الكريم الإنسان من جانبين: الأوّل: الجانب الفرديّ، والثاني: الجانب الجماعي. ففي الإطار الفرديّ المحدود يستقلّ الإنسان "بوصفه فردًا مستقلاً، مسؤولًا عن ذاته، مسؤولية شخصية، لا يشاركه فيها أحد، ثمّ بوصفه عضوًا في الجماعة الإنسانية، يحمل معها ما تحمل من مسؤوليات، ويشاركها في النتائج المترتبة على سلوكه الذي يسلكه هو معها، في جانب الخير والشرّ على السواء، ويشارك في بناء الجماعة مشاركةً فعالةً مع وجوده المستقل الشخصية؛ والفرد في نظر القرآن الكريم عضو في الجسد الاجتماعي، وإنّ العضو ليسلم بسلامة الجسد، كما أنّ الجسد يسلم ويكمُل بسلامة أعضائه[٣]".

وقد ركّزت السُّور المكّيّة -في المرحلة الأولى خاصة- على بناء الفرد وهدايته إلى ما يُحقِّق الخير له في الدنيا والآخرة، وتضمّنتْ أكثر السُّور المكّيّة الأوامر والتوصيات المتعلقة

---

[١] ينظر: حسنين، **سوسيولوجيا المجتمع**، ص٢٣٢-٢٣٣.

[٢] ينظر: دواق، **الانتماء للأمة في الرؤية التوحيدية**، ص٣٤-٣٥. ويشرح المفسرون الآية المذكورة على النحو الآتي: الأول: أنه كان وحده أمة من الأمم لكماله في صفات الخير. والثاني: أنه كان أمة وحده في الدين لأنه لم يكن في وقت بعثته، موحد لله غيره. قد يقال إن الإشارة التي تستنتج من الآية لا يعارض مع تفسيرها. ينظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٢٠-ص٢٨٤/٢٨٤.

[٣] الخطيب، عبد الكريم (١٩٧٩)، **الإنسان في القرآن الكريم من البداية إلى النهاية**، ط١، دار الفكر العربي، ص١٠٩-١١٠. (بالتصرف)

بالفرد، توجّهُه إلى نفسه وربه، مثل: الإعراض عن المشركين، وقيام الليل، وترتيل كتاب الله تعالى.

وعلى سبيل المثال لا الحصر تضمَّنَ مطلعُ سورة المدّثر توجيهات إلى النبي ﷺ وكذلك مطلع سورة المزمل، فقد طلب الله تعالى فيها من الإنسان أنْ ينظر في ذاته، وأنْ يتوجّه إلى الله بالعبادات بهدف الاستعداد المعنويّ، فقال الله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾** [المزمل: ١-٤]، وفي هذه الآيات مطلوب من النبي ﷺ أنْ يقوم الليل، وأنْ يرتل القرآن فيه، وكِلا العبادتين -خاصة في وقت الليل- يتيحان للإنسان التوجّه إلى نفسه وربّه أكثر من الأوقات الأخرى؛ "لأنّ الليل وقت سكون الأصوات واشتغال الناس، فتكون نفسُ القائم فيه أقوى استعداداً لتلقّي الفيض الرباني[١]".

وهناك آيات وجّهتْ الفرد نحو النظر في ذاته وفيما حوله من مخلوقات الله تعالى، مثل الآيات التي تتحدّث عن الإعراض عن المشركين، ومن هذه الآيات قوله تعالى: **﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾** [المزمل: ١٠] وكما يُعلم أنّ أكثر الناس كانوا مشركين في العهد المكّي، فأراد الله سبحانه وتعالى من النبي ﷺ في كثير من الآيات ترك المجادلة مع المشركين بعد إيفاء التبليغ، فتوجّه هذه الآيات إلى الابتعاد عنهم من ناحية، وتحويل الوجهة إلى الله تعالى من ناحية أخرى.

وحَمّل القرآن الكريم الفرد المسؤولية عن أفعاله وتصرفاته، وأنّه يجني ثمرة عملِه كما في قوله تعالى: **﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ نَارٌ حَامِيَةٌ﴾** [القارعة: ٦-١١]، ومثل قوله تعالى: **﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾** [الأنعام: ١٦٤].

في الوقت نفسه ينظر القرآن الكريم إلى الإنسان على أنه فرد جماعي، ولا يريد من الإنسان عزلةً مطلقًا، بل يُؤكّدُ على أنّ العيش الاجتماعي من أصل خلقته، قال الله تعالى: **﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾** [الفرقان: ٥٤]، "وهذه الآية الكريمة تصرح بأنّ الروابط النسبية والسببية بين البشر -التي هي أساس الارتباط والتعارف- من الأمور التي جُعِلَتْ في خلقة البشر لغاية طبيعية عامة[٢]".

---

[١] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٢٩-ص٢٥٩-٢٦٠.

[٢] المطهري (١٩٧٩)، الشهيد مرتضى، **المجتمع والتأريخ**، ط١، إيران: وزارة الإرشاد الإسلامي، ص١٨.

وقوله تعالى: **﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾** [الزخرف: ٣٢] يُشير إلى أنّ الحياة الاجتماعية أمر فطري طبيعي.

ويوجّه القرآن الكريم إلى الإنسان مجموعة من الأوامر والنواهي التي تسمح له أنْ يشكل مجتمعاً مسلماً[١] وكان هذا منذ المرحلة الأولى من نزول السُّور القرآنية، ومن هذه الأوامر: دعوة الناس إلى الإسلام، وتطهير الثياب، والصبر على أذى المشركين، كما في قوله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾** [المدثر: ١-٧].

والتوجيهات الرّبانية في سُوَرِهِ المكّيّة لم تقتصر على الفرد فقط، بل تضمّنتْ توجيه الأفراد لرعاية غيرهم من الفقراء، والأيتام، فمثلاً عاب على أغنياء مكة الذين لا يُكرمون اليتيم، ولا يحثون غيرهم على إطعام المساكين، فقال تعالى: **﴿كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾** [الفجر:١٧-٢٠].

وبعد هذه المقدمة العامة لخطاب القرآن للإنسان، من الجدير التنويه إلى أنه ليس من شأن هذه الدراسة أنْ تسعى في هذا المقام إلى إعادة طرح موضوع الشخصية الإنسانية في القرآن الكريم من جميع الزوايا، فكثير من الكتب والمراجع قد أنجزت معالجات عميقة وقيّمة في هذا الشأن، وإنما يهدف هذا المبحث إلى توضيح كيف تعامل القرآن الكريم مع الإنسان باعتباره عنصرًا أساسيًا في تكوين المجتمع وبنائه في السُّور المكية، وذلك فيما يلي:

**المطلب الأول: الإنسان على المستوى الفردي:**

أوّل أمرٍ ينبغي على الإنسان معرفته وإدراكه هو فهمه لنفسه -الملازمة له لا تنفك عنه- لأجل الهداية، ولأجل البناء والإعداد، كما أنّ هذا الفهم لازم أساسي في صناعة الإنسان وتكوينه"[٢] فردًا كانَ أم جماعة، فمن هو الإنسان؟

"لقد تعددت الفلسفات، واختلفتْ وجهات النظر في الإجابة على هذا السؤال، وكان هذا التعدد وذلك الاختلاف يعودان دومًا إلى تبنٍّ لمذهبٍ عقائديٍّ معيّنٍ، أو إلى سيادة لنمطٍ حضاريٍّ

---

[١] ينظر، الدقور، **القرآن ومعادلات صناعة الإنسان**، ص٦٥.

[٢] الدقور، **القرآن ومعادلات صناعة الإنسان**، ص٥٥.

دون آخر، وكان سعي الإنسان الدائم لفهم هذه الطبيعة مهمّا للغاية، حيث إنّ تحديد الطبيعة الإنسانية هو السند الحقيقي لكلّ الحركات الاجتماعية في المجتمع الإنساني، وهو المنطلق الصحيح للتنظير التربوي، وبالتالي إعداد الإنسان وتربيته[١]".

ينشأ تصوّر الإنسان في القرآن الكريم "على أساس المعرفة بالتصوّر القرآني لله والكون، فجاء تصورًا شاملًا واقعيًّا للإنسان، يفسّر حقيقة نشأته، ومكانه في هذا الكون، وحقيقة طبيعته، ومقوماته، ورسالته في هذا الحياة، وحقيقة موقفه، ومصيره بعد الموت" [٢] من أجل أن يرشده للأشياء المطلوبة منه والممنوعة عنه[٣].

وقد بيّن القرآن الكريم منزلة الإنسان في الوجود بقصة آدم عليه السلام الذي "أُهبِطَ إلى الأرض راشدًا عاقلًا مسؤولًا وخَلْقًا سويًا، وأنّ الله جعله وذريّته خليفة في الأرض إلى يوم القيامة، وجعله رسولًا إلى ذريته الذين عاصره[٤]".

والإنسان في هذه الدنيا مبتلى، ومهمّته الأساسية التي خُلِق من أجلها هي عبادة الله تعالى: **﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾** [الذاريات: ٥٦]، ومن فضل الله تعالى على هذا الإنسان أنْ جعل له "الإرادة الحرّة، والقدرة على اتخاذ القرار، وهذا يعني أنّ النزعات في الإنسان ليست جبرًا، بل إنّ إرادة الإنسان ذاتها هي التي تحدّد العمل الإنساني في أيّ الاتجاهين، وجعل له القدرة على القراءة واكتساب المعرفة" [٥] كما يتبيّن في أوّل آية نزلت: **﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾** [العلق: ١].

ولم ينظر القرآن الكريم إلى الإنسان باعتباره ملكًا، بل نظر إليه باعتباره بَشرًا، ووصفه بوصفين: أحدهما إيجابيٌّ، والآخر سلبيٌّ. أمّا الوصف الإيجابي فهو أنّه خليفة في الأرض، ومكرّم بالعقل والبيان والحريّة، ومفضّل على أكثر المخلوقات، ومخلوق في أحسن تقويم. ومن أوصافه السلبيّة: إفساده في الأرض، ونسيانه نعمة الخالق، وكونه ظلومًا، وجهولًا، كفورًا،

---

[١] الفرماوي، حمدي علي، **البناء النفسي في الإنسان دراسة من فيض القرآن الكريم**، القاهرة: مكتبة زهراء الشرق، ص١٥.

[٢] عاشور، السعيد (١٩٩٨)، **الإنسان في القرآن الكريم**، القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ص١٠٦.

[٣] ينظر: الدقور، **القرآن ومعادلات صناعة الإنسان**، ص٥٢.

[٤] رمزي، **النظرية الإسلامية**، ص٢١٧.

[٥] بايونس وأحمد، **مقدمة في علم الاجتماع الإسلامي**، ص٤٦-٤٨. (بالاختصار)

هلوعًا، كنودًا وغير ذلك من الصفات السلبية؛ وبشكل أوسع وأدقّ، يمكن تناول طبيعة الإنسان استنادًا إلى بيان السُّور المكّيّة بالنقاط الأربعة الآتية: [١]

أولاً: أنّه مخلوق مكرم ومفضل على أكثر المخلوقات.

ثانياً: أنّه أهل للكمال والنقص على حدّ سواء، ولديه استعداد للخير والشر معًا.

ثالثاً: لديه إرادة حرّة، والقدرة على اتخاذ القرار.

رابعاً: لديه القدرة على اكتساب المعرفة. وتوضيح ذلك على النحو الآتي:

**أولاً: الإنسان مخلوق مكرم ومفضل:**

تقوم مبادئ الفكر الإسلامي وتعاليمه وقيمه على مبدأ حفظ الكرامة الإنسانية واحترامها؛ إذ إنّ الكرامة الإنسانية تعدّ امتداداً لسائر القيم الإنسانية مثل الحرية، والعدل، والحق، والمساواة، وهذا ما يجعل الإنسان متميزًا عن باقي المخلوقات بتفرّده بها.

والإنسان ليس مجرّد بشر يأكل الطعام ويمشي في الأسواق، وهو أيضا ليس إنسًا يقابل دائماً الجن بما تعني من توحّش وخفاء[٢]، بل إنّ الله تعالى خلقه، وكرّمه بالعقل، والإدراك، وحرّيّة التفكير والإرادة لتحقيق إنسانيته والمحافظة عليه، وفضّله على كثير من خلقه حتّى يستطيع أنْ يحقّق رسالته في الأرض، ويرقي فيها بالحياة،[٣] قال تعالى: **﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾** [الإسراء: ٧٠]، والمراد من التكريم في الآية كرامة أبيهم آدم عليه السلام وسائر الناس بالعقل، والمراد من التفضيل هو "تفضيل الإنسان على سائر المخلوقات بأمور خلقية طبيعية ذاتية، مثل: العقل، والنطق، والخط، والصورة الحسنة[٤]". ويتعلق تفضيل الإنسان بتكريمه علاقة مباشرة، فيكون التفضيل بواسطة التكريم.

---

[١] ينظر: بايونس وأحمد، **مقدمة في علم الاجتماع الإسلامي**، ص٤٧-٤٨.

[٢] ينظر: عبد الرحمن، عائشة، **القرآن وقضايا الإنسان**، ط١، دار العلم للملايين، بيروت – ١٩٧٢، ص١٥-٢٥.

[٣] عاشور، الإنسان في القرآن الكريم، ص١١٧.

[٤] الآلوسي، **روح المعاني**، ج٨-ص١١٢.

"والقرآن الكريم يربّي الفرد المسلم على الكرامة وعزّة النفس؛ لأنّها من أهم مميزات الشخصية الناجحة، التي تكون مستعدّة لتحمل مسؤولياتها في الحياة[١]"، ومن صور تكريم الله للإنسان أنّه سبحانه وتعالى خلقه بيده، "قال تعالى مخاطبًا إبليس: **﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾** [ص: ٧٥] فأوّل تكريم لآدم أنْ خلقه الله بيده، وفي هذا تنبيه على أنّ هذا الخلق ليس خلقاً عادياً من قبيل كُنْ فيكون، ولكنَه خلق له خصوصية، هي أنّ الله باشره بيده، فهذا تنويه بنفاسةِ هذا الإنسان وهذا المخلوق[٢]".

والمظهر الآخر من مظاهر التكريم لآدم عليه السلام هو تسوية فطرته، فقد أخبر الله تعالى في أكثر من آية أنّه صوّر الإنسان في أحسن صورة، ومن هذه الآيات قوله تعالى**: ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾** [الانفطار: ٧]. والمظهر الآخر هو النفخ من روح الله تعالى فيه، قال الله تعالى: **﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾** [ص: ٧٢]، وإسجاد الملائكة لآدم عليه السلام كما أشار إليه في قوله تعالى: **﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾** [ص: ٧٣] [٣].

ومن صور تكريم الله للإنسان لا بد الإشارة إليه هو تأهيله بالعلم، قال الله تعالى: **﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنسان مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾** [العلق: ٣ - ٥]، "وهذا التعليم هو الذي ميز الله به آدم عليه السلام عما سواه بأن أودع فيه القابلية للتعلم، وهذا يعني منة أخرى أنه جعل له فؤادا أو قلبا أو عقلا يستقبل به هاته المعلومات ويحصل له به التعلم [٤]".

والصورة الأخرى هي تكريم الإنسان بالعقل، فقد جاء تكريم الإنسان بالعقل والتمييز في قوله تعالى: **﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾** [الإسراء: ٧٠] مقرونًا ومبيّنًا ومفسرًا بقوله تعالى: **﴿وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾**، ومعلوم أنّ ركوب البحر والبر مثله مثل التمتّع بالطيّبات هو

---

[١] عبيد، زينب حكيم (٢٠٢٠)، القيم الإسلامية وإسهامها في تكامل المجتمعات دراسة تحليلية، **مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية**، المجلد ٢٨، العدد ١، ص٣١.

[٢] البو شيخي، الشاهد (٢٠٠٩)، **مظاهر تكريم الإنسان في القرآن الكريم**، فاس: مطبعة آنفو، ص١٣.

[٣] ينظر: عاشور، **الإنسان في القرآن الكريم**، ص١٠٦.

[٤] البو شيخي، **مظاهر تكريم الإنسان**، ص٢٠.

أساس الحضارة البشرية، هكذا تتناول الآية الكريمة الإنسان من بعدين: بعد عقلي، وبعد حضاري، وهو ما يؤسس مفهوم حقوق الإنسان، والقواعد والمفاهيم المتصلة به. [١]

وهذه الكرامة للناس جميعًا، وكلّ فردٍ من بني آدم له كرامته عند الله تعالى، أي جميع البشر رجالا ونساء، مسلمين وغير مسلمين، كلهم سواء في الكرامة الإنسانية، ومعيار التفاضل بينهم هو التقوى كما بين الرسول صلى الله عليه وسلم: كلكم لآدم وآدم من تراب، لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى إن أكرمكم عند الله أتقاكم.[٢]

والكرامة الإنسانية تبيّن مكانة الإنسان في المجتمع كما تبيّن موقع الإنسان في هذا الكون، وتتضمّن المعايير التي تحدّد وجهة النظر للإنسان بعيدًا عن عرقه، ودينه، ولونه. ويتضح من الآيات التي تشير إلى الكرامة الإنسانية أنّ الناس متساوون في القيمة الإنسانية، وفي أصلهم من حيث عنصرهم، وإنشائهم، وإعدادهم، وقدراتهم، وتكريمهم، "وهذه المساواة تعني ألّا يُعبد أحدٌ سواه، فلا ربوبية بين إنسان وإنسان، ولا تفاضل بين شعب وشعب من حيث القيمة الإنسانية،"[٣] والإدراك، والخلّق.

وتستلزم كرامة الإنسان احترام ما يشكل ذاتية ويقترن به، وعدم الازدراء به، سواء من حيث عرقه أو لسانه أو لونه فردًا أو جماعةً. وتتحقق كرامة الإنسان بعدم التعامل معه فرداً أو جماعة بصفته عبداً.[٤] وتصدر عن هذا المبدأ الأساس الحقوق الإسلامية، والمتأمل في الكثير من الأوامر والنواهي القرآنية يجد أنّها تحفظ كرامة الإنسان، فقد حثّ القرآن الكريم

---

[١] ينظر: عبد الله، سليمان التوم دشاش (٢٠٠٩)، الأسس والقواعد الفكرية التي تحكم علاقة المسلمين بغيرهم من أصحاب الديانات، **مجلة العدل**، العدد:٢٧-السنة:١١، ص٢٥٣-٢٥٤.

[٢] أخرج البيهقي عن أبي أمامة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا أبا أُمامةَ! ما أنا وأمَةٌ سفعاءُ الخدَّيْن سفعاءُ المِعصمَيْن آمنَتْ بربِّها وتحنَّنَتْ على ولدِها إلَّا كهاتَيْن، وفرَّق بين السَّبَّابةِ والوُسطَى، واللهُ أذهبُ نَخوةَ الجاهليَّةِ وتكبُّرَها بآبائِها، كلُّكم لآدمِ وحوَّاءَ، كطفِّ الصَّاعِ بالصَّاعِ، وإنَّ أكرمَكم عند اللهِ أتقاكم، فمن أتاكم ترضَوْن دِينَه وأمانتَه فزوِّجوه." البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، **شعب الإيمان**، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٠، ج٤-ص٢٨٨.

[٣] الجراد، محمد عايد (٢٠٠٩)، **كرامة الإنســـان في القرآن الكريم**، ط١، الأردن: عالم الكتب الحديث، ص١٤٤.

[٤] ينظر:

https://www.trtarabi.com/opinion/%D9%81%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%AC%D8%AA%D9%85%D8%B9-%D8%A7%D9%84%D9%84%D8%A7%D8%A6%D9%82-%D8%A7%D9%84%D9%83%D8%B1%D8%A7%D9%85%D8%A9-%D8%A3%D9%88%D9%84%D8%A7-16612 (٠٥,٠٤,٢٠١٩)

على تحرير العبيد من الرّق، وحرّم الغيبة، وأمر بالوفاء بالعهود، ونهى عن قتل النفس الإنسانية والاعتداء عليها بأي شكلٍ من الأشكال.

ومن هنا يمكن القول إنّ كلّ الناس متساوون مطلقًا من حيث الخلق، ومكرّمون بالعقل، ومفضلون على أكثر المخلوقات، وهذه النظرة للإنسان وطبيعته هي نقطة الانطلاق لكلّ نجاح؛ "فالمجتمعات التي تنظر إلى هذه النقاط الثلاثة على أنها حقٌّ وجوديٌّ ومطلقٌ للإنسان - تتصرّف على هذا الأساس في كلّ مناحي الحياة، سواء أكان في البيت مع الأسرة أم في الوسط المحيط به، فكلّ شيء له علاقة بالإنسان المكرّم المساوي ستنعكس عليه تلك النظرة، أمّا المجتمعات التي تعاني من القهر، والإذلال، وتردّي الخدمات، والفقر، والبطالة فهي مجتمعات تعاني في عمقها من سوء النظرة إلى الإنسان عمومًا، ممّا ينعكس ذلك على البيت، والمدرسة، والجامعة، والجامع، والإعلام، والتشريعات." [١]

**ثانياً: أهل الكمال والنقص:**

إنّ الإنسان الذي يتشكّل من الرّوح، والقلب، والعقل، والنفس أهلٌ للكمال، والنقص؛ "فطبيعة الإنسان الأصلية خيّرة، وعلى الرغم من ذلك فقد ينحدر إلى الشر، أيْ أنّ لديه الاستعداد لفعل الخير والشر؛ نظرًا لشخصيته القابلة للاختيار، ولطبيعته التي فيها مناطق ضعف، كما أنّ فيها مناطق قوة، ويعني هذا أنّه لا يفعل خيرًا مطلقًا ولا شرًا مطلقا". [٢]

والقارئ في السُّور المكّيّة يجدُ أنّ الإنسان موصوف في بعض منها بصفات سلبية؛ ليحذر منها، ويحرصَ على عدم الاتصاف بشيء منها، مثلاً:

١. **نسيان النعم:**

تصف السُّور المكّيّة الإنسانَ بأنّه دائم الظلم والكفر، وأنّ هذا الوصف أكثر وصفٌ مستعمل من الصفات المذكورة في هذا المطلب للإنسان الكافر للنعم، قال تعالى: **﴿وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسان لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾** [إبراهيم: ٣٤]، يشرح الرازي لفظ الظلوم: بأنّ الإنسان يظلم النعمة بإغفال شُكرِها. والكفَّارُ: بأنّه شديد الكفران لها، أو بأنّ الظلوم حال الإنسان في الشدة يشكو ويجزع، والكفّار بأنّ حال الإنسان في وقت

---

[١] سلطان، جاسم (٢٠١٨)، **النسق القرآني ومشروع الإنسان قراءة قيمية راشدة**، ط١، بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ص٥٧. (بتصرف).

[٢] عاشور، **الإنسان في القرآن الكريم**، ص١٢٣.

النعمة يجمعها ويمنعها من الآخرين[١]، وعلى أيّة حال "فإنّ الإنسان مجبول على النسيان وعلى المَلَالَة، فإذا وَجَد نعمة نسيها في الحال، وظلمها بترك شكرها، وإنْ لم يَنسها فإنّه يملّها في الحال، ويقع في كفران النعمة، وأنّ نعم الله كثيرة، فمتى حاول التأمل في بعضها غفِل عن الباقي". [٢]

وفي الآية الأخرى، أخبر سبحانه وتعالى "أنّ الناس إذا مسّهم ضرٌّ دعوه منيبين إليه مخلصين له الدّين" [٣]، وعندما أزال الله تعالى الضرّ نسي المنعم والشكر، قال تعالى: **﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنسان كَفُورًا﴾** [الإسراء: ٦٧]، والكفور صيغة مبالغة، يُقصَدُ به كثير الكفر ضد الشكر، "وكثرة كفران الإنسان هو تكرر إعراضه عن الشكر في موضع الشكر ضلالًا أو سهوًا أو غفلةً لإسناده النعم إلى أسبابها المقارنة دون منعمها". [٤] وورود لفظ "كان" يدل على أن الكفران مستقر في طبيعة الإنسان. [٥]

وفي الآية الأخرى وصف سبحانه وتعالى الإنسان بالكند ويقول: **﴿إِنَّ الْإِنسان لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾** [العاديات: ٦]، و"الكنود وصف من أمثلة المبالغة من كَنَدَ، ولغات العرب مختلفة في معناه، فهو في لغة مُضر وربيعة: الكفور بالنعمة، وبلغة كنانة: البخيل، وفي لغة كِندة وحضرموت: العاصي. بشكل عام، فهو يدلّ على شديد الكفران لله، وقد تشير هذه الآية إلى وجود كفران النعمة في طبع الإنسان، وهذا عارض يعرض لكلّ إنسان على تفاوت فيه ولا يسلم منه إلا الأنبياء، وكُمَّلُ أهل الصلاح. والإنسان لا يخلو من أحوال مآلها إلى كفران النعمة، بالقول والقصد، أو بالفعل والغفلة، فالإشراك كُنود، والعصيان كُنود، وقِلّة ملاحظة صرف النعمة فيما أعطيت لأجله كُنود، وهو متفاوت، فهذا خلق متأصل في الإنسان، فلذلك أيقظ الله له الناس ليروّضوا أنفسهم على أمانة هذا الخلق من نفوسهم[٦]".

### ٢. العجلة والتسرع:

---

[١] ينظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج١٩-ص١٠٠.

[٢] الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج١٩-ص١٠٠.

[٣] ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج٥-ص٨٨.

[٤] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١٥-ص١٦٠-١٦١.

[٥] ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١٥-ص١٦١.

[٦] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٣٠-ص٥٠٣.

تصف السُّور المكّيّة الإنسان بأنه دائم العجلة والتسرع. قال تعالى: **﴿خُلِقَ الْإِنسان مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾** [الأنبياء: ٣٧]. تدل هذه الآية على أن العجلة متأصل في النفس الإنسانية، هو العجل دون تفكير عواقب الأمور، حتى ولو كان في هذه العجلة أحيانا الهلاك. فهو مخلوق بالعجلة، يريد أن يكون كل ما يجول في خاطره حاضرًا بأسرع الطريق[١].

ونحوه قوله تعالى: **﴿وَيَدْعُ الْإِنسان بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنسان عَجُولًا﴾** [الإسراء: ١١]، إذ تدلّ الآية على أنّ عجلة الإنسان ليستْ مقصورة على الخير، بلْ إنّه يريد استعجال الشرّ كما يستعجل الخير، ويدعو "في بعض الأحيان على نفسه، أو ولده، أو ماله بالشرّ؛ أي: بالموت، أو الهلاك، أو الدمار، أو اللّعنة، ونحو ذلك"[٢]، والعجلة في الآية "كناية عن عدم تبصره، وأنّ الله أعلم بمقتضى الحكمة في توقيت الأشياء، ولو يعجّل الله للناس الشرّ استعجالهم بالخير لقضي إليهم أجلهم، ولكنّه درَّج لهم وصول الخير والشر لطفًا بهم في الحالين[٣]".

٣. **القنوط**:

تصف السُّور المكّيّة الإنسان بأنّه شديد اليأس، فإذا أنعم الله تعالى بفتح رزق، أو بنصر، أو بعافية وغير ذلك من النعم أعرض عن طاعة الله وعبادته، أي اشتغل بالنعمة ونسي المنعم، وإذا مسه الشرّ إنْ فقرًا أو مرضًا أو خسارةً كان يؤوسًا، أي شديد اليأس من رحمة الله[٤]، قال تعالى: **﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسان أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشرّ كَانَ يَئُوسًا﴾** [الإسراء: ٨٣]، فهو "إنْ فاز بالنعمة والدولة اغترّ بها فنسي ذكر الله، وإن بقي في الحرمان عن الدنيا استولى عليه الأسف والحزن ولم يتفرغ لذكر الله تعالى[٥]".

٤. **الجدل والنقاش:**

---

[١] عدس، محمد عبد الرحيم (١٩٨٥)، **من خصائص النفس البشرية في القرآن الكريم**، ط١، الأردن: مكتبة المنار، ص٩٦-٩٧.

[٢] ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج٥-ص٤٥.

[٣] ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١٥-ص٤٢.

[٤] ينظر: ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج٥-ص١٠٣-١٠٤، ونوفل، **تفسير سورة الإسراء**، ص٤٠٧-٤٠٨.

[٥] الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٢١-ص٣٩١.

تصف السُّور المكّيّة الإنسان بأنّه دائم الجدل والنقاش، وقال تعالى: **﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنسان أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾** [الكهف: ٥٤]، والجدال في الآية خُلُقٌ منه ذميم يصدّ عنه تأديب الإسلام، ويبقى في خلق المشركين، ومنه محمود مثل جدال إبراهيم عليه السلام في أمر قوم لوط مع الملائكة في قوله تعالى: **﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجاءَتْهُ الْبُشْرى يُجادِلُنا فِي قَوْمِ لُوطٍ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾** [هود: ٧٤- ٧٥]، فأشار بالثناء إلى أنّ جدال إبراهيم عليه السلام كان محموداً[١]؛ لأن الله تعالى مدحه عليه السلام عقيب هذه الآية فقال: **﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾**، ولو كان هذا الجدل من المذموم لما ذكر عقيبه ما يدل على المدح العظيم.[٢]

٥. **التقتير والبخل:**

وُصف الإنسان في السور المكّية بأنّه دائم البخل، والتقتير، وهي صفة تشتد كلّما ضعف إيمان الإنسان بخالقه تعالى، وضعف اعتماده عليه في طلب رزقه، وهي صفة تؤثر في سلوك الإنسان، وفي تعامله مع الآخرين[٣]، قال تعالى: **﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنسان قَتُورًا﴾** [الإسراء: ١٠٠]، ولفظ القتور يدلّ على شدة البخل، فهو "مشتق من القتر وهو التضييق في الإنفاق[٤]"، ولو ملك الإنسان التصرف في خزائن الله ما أنفق خشية الإنفاق لشدة تقتيره[٥]؛ لأنه يحبّ التقتير، ويخشى دوماً من الفقر.

"إنّ على الإنسان بوعيه هذه الصفات أنْ يعترف بحقيقة نفسه المخلوقة الضعيفة، وأنْ يسعى ليكون متميزًا بضدّ هذه الصفات التي لدى سائر البشر، فكينونته بعد عدمه تحثّه على الارتقاء بكيانه وتزكية روحه التي كان بها إنسانًا، وبإيمانه ينفي الكفر والجحود، وبالحكمة والسكينة يطرد العجلة، وبأمله بخالقه بعد إيمانه به لا يدخل روحه يأس ولا قنوط، وببذله للخير وكرمه يعالج الشح من نفسه، وبدينه وإسلامه يحافظ على كيانه بعيدًا عن النزاع والجدال الدائر في كون الإنسان[٦]".

---

(١) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١٥-ص٣٤٧.

(٢) ينظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج١٨-ص٣٧٦.

(٣) عدس، **من خصائص النفس البشرية**، ص١٢١.

(٤) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١٥-ص٢٢٤.

(٥) ينظر: ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج٥-ص١١٤.

(٦) الدقور، **القرآن ومعادلات صناعة الإنسان**، ص٥٨.

ولا بُدَّ من الإشارة إلى أنّ المقصود بالإنسان في هذه الآيات المذكورة هو جنس الإنسان، وليس الكافر كما يذكر غير واحدٍ من المفسرين كالرازي وغيره[١]، وأنّ أفراد الناس متفاوتون في هذه الأوصاف على حسب تفاوتهم في عمق النظر والفكر، ولكنهم مع ذلك لا يخلون عنها[٢].

**ثالثاً: بين الإرادة الحرّة والمسؤولية:**

إنّ هذه الصفات الناقصة في النفس الإنسانية، ونزعاتها إلى الخير والشر لا يعني أنّ الإنسان مخلوق مجبور، بل إنّه مخلوق حرّ في إرادته وتفكيره واتجاهه، له إرادة وقدرة في الاتجاه إلى طريق الطاعة أو إلى طريق المعصية، كما أنّه قادر على فعل الخير والشر، [٣] أخبر الله تعالى أنّه مَكّنَ الإنسان لطريق الخير والشر، فقال تعالى: **﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾** [البلد: ١٠].

ويتكرّر في عديد الآيات أنّ الإيمان أو الكفر من أفعال الإنسان، وأنّ الإنسان هو الذي يختار الكفر والإيمان، ومن هذه الآيات قوله تعالى: **﴿يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾** [الأعراف: ٣٥، ٣٦]، وقوله تعالى: **﴿فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى﴾** [الأعلى: ٩، ١١].

ومع ذلك فإنّ للإنسان قوةً واستعداداً لوجود الإله في الكون، ويشار في السُّور المكّيّة إلى أنّه خلق سليمًا من الإيمان الكسبي متصفًا بالإيمان الفطري[٤]، فقد خاطبه الله تعالى في أخذ الميثاق، وَأمره بِالْإِيمَان ونهاه عَن الْكفْر، فأقرّ الإنسان لَهُ بالربوبية، فكان ذلك منهم إيمانًا،

---

[١] ينظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٢١-ص٤١٢، وابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١٥-ص٤٢.

[٢] ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١٧-ص٦٨.

[٣] ينظر: عاشور، **الإنسان في القرآن الكريم**، ص١٢٩-١٣١.

[٤] ينظر: الماتريدي (ت. ٣٣٣)، أبو منصور محمد بن محمد، **شرح الفقه الأكبر المتن المنسوب إلى الإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي**، المراجعة: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، النفقة الشؤون الدينية، قطر، ص١٢٨.

فهم يُولدون على تِلْكَ الْفطْرَة[1] أيْ "على الخِلقَة التي تدلّ وتشهد على وحدانية الله وربوبيته"[2]، فقال تعالى: **﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾** [الأعراف: ١٧٢، ١٧٣][3] و"من هنا نبّه الله المشركين إلى أنّ انحراف آبائهم لا يبرّر مسلكهم؛ لأنّهم ينبغي أنْ يتفكروا بفطرتهم السليمة المخلوقة فيهم بعيداً عن التقليد وتمويهات آبائهم[4]".

وتنبني على الإرادة الحرية للإنسان مسؤوليته، فهو مخلوق مسؤول عن إيمانه، وفعله، وتصرفه، وإرادته؛ لأنه يملك إرادة حرّة، وهذا ما تقرره السُّور المكّيّة في مواضع متعددة، ومنها قوله تعالى: **﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسان أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾** [القيامة: ٣٦]، وقوله تعالى: **﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾** [الزلزلة: ٧، ٨]، وقوله تعالى: **﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى إِنَّمَا تُنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾** [فاطر: ١٨]. وهكذا يتكرّر في كثيراً في الآيات أنّ الإنسان محاسبٌ على أعماله التي عملها في الدنيا إنْ خيرًا فخير وإن شرًا فشرّ.

إنّ المسؤولية في الحياة الدنيا مقصود منها أولاً الجزاء في الآخرة بلا شكّ، ولكن هناك جانباً آخر يتعلق بالدنيا، والشخص الذي تربّي على الإحساس بالمسؤولية شخص مفيد اجتماعيًا، يمكنه أداء مهامّ معيّنة بشكل صحيح؛ وهذا هو المطلب الأساسي لتكوين المجتمع.

---

[1] ينظر: أبو حنيفة النعمان بن ثابت (ت. ١٥٠هـ)، **الفقه الأكبر**، مكتبة الفرقان، الإمارات العربية، ١٩٩٩، ص٣١.

[2] الماتريدي (ت. ٣٣٣هـ)، أبو منصور محمد بن محمد ، **تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)**، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥، ج٨-ص٢٧١.

[3] إنّ أية الفطرة تدلّ على ذلك أيضاً: "فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ" [الروم: ٣٠].

[4] يالجن، مقداد (١٩٩٢)، **علم الأخلاق الإسلامية**، ط١، الرياض: دار عالم الكتب للطباعة والنشر، ص٢٠١.

**رابعاً: القدرة على التقدم:**

إنّ الإنسان قادر على التقدم، فقد منح الله تعالى الإنسان قدرة على اكتساب المعرفة، والتعلّم، وتزكية النفس، وتحمّل الشدائد، وأوّل آية نزلت في القرآن الكريم تضمّنتْ الإشارة إلى قدرة الإنسان على القراءة، والتعلّم، فهو بهذه القدرة يستطيع أنْ يتقوى ويتقدم في إنسانيته ويعرف كلّ ما في الوجود والطبيعة والكون والحياة[١] قال تعالى: **﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾** [العلق: ١]. وقد امتن الله تعالى على الإنسان بأنْ بيّن له ما في نفسه وما في الكون والوجود، فقال تعالى: **﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾** [الرحمن: ٤].

والإنسان مخلوق لديه قدرة على تزكية نفسه وتهذيبها من الصفات الناقصة، قال تعالى: **﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾** [الشمس: ٩ -١٠]، فتشير الآية إلى أنّ مَنْ زَكَّى نَفْسَهُ بِطَاعَةِ اللَّهِ، وَصَالِحِ الْأَعْمَالِ، واتبع ما ألْهمه الله من التقوى أَفْلَحَ، ومن دسّس نفسه في المعاصي، واختار الفجور بعد أنْ أُلهِم التمييز بين الأمرين بالإدراك والإرشاد الإلهي خاب[٢].

**المطلب الثاني: الإنسان على المستوى الجماعي:**

إنّ القرآن الكريم "يتوازن بين الجانب الفردي، والجانب الاجتماعي في الإنسان، وينظر إليهما نظرة شاملة بهدف تكوين الإنسان المتوازن؛ وصولاً إلى مجتمع متوازن"[٣]؛ و"بهذه الصورة ظهر بين الفردية والاجتماعية في الإسلام توافق غريب، بحيث يتيّسر للفرد نماء قوّته، وارتقاء شخصيّته، ثمّ يصبح بقوّته الراقية فيما فيه خير وسعادة للمجتمع[٤]".

ووجّه القرآن الكريم الأفراد إلى منظومة من الضوابط العقدية، والأخلاقية، والاجتماعية لتحقيق الإنسان وظيفته الاجتماعية، وتركز آيات كثيرة من السُّور المكّيّة على أهمية الجانب الاجتماعي: كالإنفاق، والإرشاد، وحسن الخلق، وآداب التعامل مع المسلمين وغير المسلمين، ويمكن تناول بعض التوجيهات المتعلّقة بشخصيّة الإنسان الجماعية كما يلي:

---

[١] ينظر: نزال، عمران سميح (٢٠٠٣)، **المدخل العلمي والمعرفي لفهم القرآن الكريم**، ط١، الأردن: دار القراء، ص٢٥-٢٧.

[٢] ينظر: القرطبي، **الجامع**، ج٢٠-ص٧٧.

[٣] حكيم، عبد الحميد بن عبد المجيد (١٤١٠)، العقيدة في السور المكية وتوجيهاتها التربوية، رسالة الماجستير، جامعة أم القرى، ص٤٢.

[٤] مكرم، عبد العال سالم (١٩٨٨)، **أثر العقيدة في بناء الفرد والمجتمع**، ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ص١٢٦-١٢٧.

**أولاً: التوجيهات العقدية:**

إنّ أول أمر يُذكر في الحديث عن الإنسان على المستوى الجماعي هو الإيمان، وهو العقدة الأولى التي تربط الأفراد المسلمين، والأكثر تواترًا في الخطاب القرآني في وصف جماعة المسلمين، كما في قوله تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾** [البروج: ١١].

و"لا شك في أنّ مفهوم "المؤمنون" الذي يفوق كل الروابط الدموية والطبيعية والواقعية الموضوعية يملك طاقة دلالية هائلة، تمكّنه من اختراق كلّ البنى الاجتماعية، متجاوزًا حدود الجنس والعِرق والجغرافيا، الأمر الذي يؤهّله لتأديةِ دورٍ قويّ في إعادة تشكيل هذه البِنى الاجتماعية ذاتها، أو حتّى في إيجاد بنى اجتماعية جديدة[١]".

ويقترن الإيمان بالأعمال الصالحات والأنظمة الدينية في كثير من الآيات، على الرغم من تضمّن دلالة الإيمان شأناً داخلياً لدى الإنسان، فالسُّور المكّيّة تذكر صفات المؤمنين وأعمالهم التي تشير إلى مضمون إيمانهم، فقال الله تعالى: **﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾** [التين: ٦]، وقال تعالى: **﴿هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾** [النمل: ٢ - ٣].

وتتضمن السُّور المكّيّة مجموعة من الصفات أو الخصائص المتعلقة بالمجتمع المؤمن، لترشد أفراده ليكوّنوا المجتمع المثالي، وتشير إلى أنواع من الجماعات المسلمة بصفات مختلفة، فمن المجتمع المؤمن من يتصف بالتقوى "وهُم الذين يتجنبون معصية الله وعقابه، وهؤلاء يتمتعون بولاية الله لهم، وهم أصحاب النجاة في الآخرة"[٢] قال الله تعالى واصفًا إياهم: **﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ﴾** [المرسلات: ٤١][٣]، وهم بذلك أحقّ من يرث هذه الأرض[٤] قال الله تعالى: **﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾** [الأعراف: ١٢٨].

---

[١] الحاج، عبد الرحمن (٢٠١٢)، **الخطاب السياسي في القرآن السلطة والجماعة ومنظومة القيم**، ط١، بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ص٤٦.

[٢] الحاج، **الخطاب السياسي في القرآن**، ص٥٢.

[٣] وأيضا: "إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ" [الذاريات: ١٥ – ١٩]

[٤] الحاج، **الخطاب السياسي**، ص٥٢.

ويُشرَح لفظ "المتقون" بشكل دقيق في قوله تعالى: **﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾** [ق: ٣١، ٣٣]، فالمتقون هم الأوابون، والحافظون، الذين يخشون الله بالغيب، وأصحاب القلب المنيب، والأواب هو الرجّاع إلى ذكر الله تعالى، والحفيظ هو الحافظ لحدوده تعالى، والخشية بالغيب الإيمان بالأمور الغيبية، والقلب المنيب هو الرَّجُوع إلى الله تعالى، البريء من الشرك[١]، قال الرازي: "والأواب الرَّجَّاع، قيل: هو الذي يرجِع من الذنوب ويستغفر، والحفيظ الحافظ الّذي يحفظ توبته من النقض، ويُحتمل أنْ يقال: الأواب هو الرّجاع إلى الله بفكره، والحفيظ الذي يحفظ الله في ذكره، أي رجع إليه بالفكر فيرى كل شيء واقعاً به وموجودًا منه، ثم إذا انتهى إليه حفظه بحيث لا ينساه عند الرخاء والنعماء، وفيه وجه آخر أدق، وهو أنّ الأواب هو الذي رجع عن متابعة هواه في الإقبال على ما سواه، والحفيظ هو الذي إذا أدركه بأشرفِ قواه لا يتركه، فيكمل بها تقواه، ويكون هذا تفسيرا للمتّقي، لأنّ المتّقي هو الذي اتقى الشرك والتعطيل ولم ينكره ولم يعترف بغيره، والأواب هو الذي لا يعترف بغيره ويرجع عن كل شيء غير الله تعالى، والحفيظ هو الذي لم يرجع عنه إلى شيء مما عداه[٢]".

ومن المجتمع المؤمن من يتصف بالإحسان، أي الذين شعارهم عمل الحسنات [٣] كما يبيّن في قوله تعالى: **﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾** [المرسلات: ٤٤]، وفي قوله تعالى: **﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾** [العنكبوت: ٦٩].

"فهم الفئة من المؤمنين التي تمثّل النموذج الأعلى للمؤمنين في أخلاقهم العملية"[٤]؛ لأنّ "الإحسان أعمّ من الإنعام، وزائد على العدل، وذاك أنّ العدل هو أنْ يعطِي ما عليه، ويأخذ أقلّ ممّا له، والإحسان أن يعطي أكثر ممّا عليه، ويأخذ أقلّ ممّا له، فتحرّي العدل واجب، وتحرّي الإحسان ندب وتطوّع[٥]".

---

[١] ينظر: الزمخشري (ت. ٥٣٨هـ)، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، ط٣، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧، ج٤-ص٣٨٩/٣٩٠.

[٢] الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٢٨-ص١٤٥.

[٣] ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٢١-ص٣٧.

[٤] الحاج، **الخطاب السياسي**، ص٥٢.

[٥] الأصفهاني، **المفردات**، ص٢٣٧.

والإحسان في السُّور المكّيّة مصطلح يتعلق بالحياة العباديّة والاجتماعية: فجاء في سياق الأوامر السياسية والاجتماعية في قوله تعالى: **﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾** [الأعراف: ٥٦]، وجاء في سياق الأوامر العبادية في قوله تعالى: **﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾** [لقمان: ٣ - ٥].

ومن المجتمع المؤمن صالحون، والصالح هو الذي يصدُر عنه من أقوال وأفعال حسنة[١]، قال تعالى: **﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾** [الشعراء: ٨٣] وقال تعالى أيضا: **﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾** [النمل: ١٩].

**ثانياً: التوجيهات الأخلاقية:**

الموضع الآخر الذي ذكر فيه الانسان على المستوى الجماعي هو جانب الاخلاق، وهي الرابط بين المؤمنين، ويمكن القول: إنّ الإيمان رابط بينهم وبين من آمن به، والأخلاق رابط بينهم وبين البشر[٢].

تذكر السُّور المكّيّة بعض الخصائص الأخلاقية وصفاً للمؤمنين، ومنها قوله تعالى: **﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾** [الشورى: ٣٧ - ٤٣]، في هذه الآيات جاء اجتناب الكبائر، والمغفرة عند الغضب، والانتصار عند البغي، والاستشارة، والإنفاق من التوجيهات الأخلاقية.

ومن الآيات التي تشير إلى خصائص المؤمنين أخلاقياً قوله تعال: **﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ**

---

[١] ينظر: الحسني، إسماعيل (٢٠١٧)، **مفهوم الإصلاح في القرآن الكريم دراسة في أسبابه ومظاهره**، ط١، الأردن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ص٢٠.

[٢] ينظر: الحاج، **الخطاب السياسي في القرآن**، ص٤٥.

**وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾** [المؤمنون: ١ - ١١]، ذكرت الآيات عدة خصائص للمؤمنين، مثل: الإعراض عن اللغو، والعِفَّة، ورعاية الأمانة والوعد.

**ثالثاً: التوجيهات الاجتماعية:**

تُبيّن السُّور المكّيّة بعض المسؤوليات الاجتماعية للفرد المسلم، فترشده إلى أنْ يراعيَ الآخرين من الأيتام، والمسافرين، والفقراء، قال تعالى: **﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ فَكُّ رَقَبَةٍ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾** [البلد: ١١ - ١٧]، وتحمّله بعض المسؤوليات الاجتماعية، فيجب أن يكون هناك عدالة اجتماعية تحمي المجتمع المسلم وأفراده، ولهذا أشارتْ السُّور المكّيّة إلى "المشكلات الاجتماعية البارزة، التي كان يشيعها الظلم ويضاعف من بلائها الأنانية والتكالب على المال في المجتمع الجاهلي، ودفعت المسلمين إلى المسارعة في تحقيق التكافل والتراحم في المجتمع، وبناء العدالة الاجتماعية على أسسها الراسخة[١]".

وهكذا يكتسب الأفراد ماهيّة جديدة بالاندراج في المجتمع، وهي الماهية الاجتماعية مثل الروح الجماعية، والشعور، والوجدان، والإرادة الاجتماعية، وهو أمر زائد على الشعور، والوجدان، والإرادة، والفكر الفرديّ للأفراد، وهذه الروح غالبة على الشعور الفردي[٢]، فعلى سبيل المثال، حينما تخاطب بعض الآيات النبي ﷺ أو الإنسان بصفة فرديّة ثم تتحوّل إلى خطاب الجماعة المسلمة مباشرة، فإنّ في ذلك تعزيز للجانب الاجتماعي لدى الإنسان، فمن هذه الآيات قوله تعالى: **﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾** [هود: ١١٢ - ١١٤]، ففي الآية تأكيد لهوية المسلمين اجتماعياً، وتوجيه لهم كأفراد في مجتمع ببعض

---

[١] عبد الواحد، المصدر نفسه، ص١٥.

[٢] ينظر: المرتضي، **المجتمع والتأريخ**، ص٢٣-٢٤.

الأوامر الأخلاقية والاجتماعية مثل: الاستقامة، وعدم الطغيان، وعدم الميل إلى المشركين، والصلاة.

فبإنشاء الفرد الجماعي بالدعوة إلى الخير، يبدأ إنشاء المجتمع المسلم تلقائيًا، ويتشكّل المجتمع مع إنشاء الأفراد على القيم الأخلاقية، والاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، ومع مرور الوقت، يكتسب المجتمع المسلم هويّة خاصة، وبعبارة أخرى يكون للمجتمع وجود حقيقي له واقع خارجي.

والآيات المكّيّة تؤيد وجود نوع من الحياة للمجتمع، قال الله تعالى: **﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾** [الأعراف: ٣٤]، فبيّنت أنّ للأمة – ومن ضمنها المجتمع- أجلٌ لا يمكن التخلّف عنه ولا يتقدّم ولا يتأخّر، وهذه الحياة تتعلّق بالمجتمع، لا بالأفراد[١]، وقوله تعالى: **﴿كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾** [الأنعام: ١٠٨] يشير إلى أنّ كلّ أمة لها مقاييس خاصة في الحكم، وأسلوب خاص للتفكير، وذوق إدراكي خاص؛ وهذا يدلّ على أنّ للمجتمع شخصية خاصة حية به.[٢]

ويطلب من الأفراد المسلمين حماية هذا المجتمع وقيَمه، فعلى سبيل المثال: أمرت السُّور المكّيّة الإنسان باقتحام العقبة، ومنه فك الرقبة، فقال الله تعالى: **﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ فَكُّ رَقَبَةٍ﴾** [البلد: ١١ - ١٣]، وهذا الأمر يتعلّق بحماية قيم المجتمع بإعادة كرامة الإنسان إليه من جهة، ومن جهة أخرى يتعلّق بحماية المجتمع نفسه بتحقيق العدالة الاجتماعية فيه.

وللمجتمع المسلم حقوق على أفراده، وتتضح شخصيّة المجتمع المسلم في تحريم الأمراض الاجتماعية مثل: القتل، أو الزنا مع فرد آخر، ففي "هذه الجرائم اعتداء على المجتمع، كما هي اعتداء مباشر على من وقعتْ عليه من الأفراد، ولو انتشرت لكانت مرضاً يقضي على المجتمع قبل أنْ يقضي على الأفراد المجني عليهم، فينحلّ المجتمع قبل أنْ يفني الأفراد بالمرض أو الوباء به[٣]"، وقد جاء التنديد بجريمتي القتل والزنا وتحريمهما في الآيات المكيّة، قال الله

---

[١] ينظر: المرتضي، **المجتمع والتأريخ**، ص٢٤.

[٢] ينظر: المصدر نفسه، ص٢٥.

[٣] البهي، **منهج القرآن**، ص١١٤.

تعالى: **﴿وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾** [الفرقان: ٦٨].

## المبحث الثاني: البيئة في السُّور المكّيّة

يقصد بالبيئة "جميع الأشياء أو العوامل المنظورة وغير المنظورة التي تحيط بالكائنات الحية في هذا العالم[١]"، والبيئة مفهوم واسع لها استخدامات متعدّدة تختلف باختلاف الزاوية التي ينظر إليها منها؛ فالبيئة هي الوسط الذي يعيش فيه الإنسان، ويشمل ما هو اجتماعي واقتصادي وسياسي وثقافي إضافة إلى الوسط الطبيعي من الأرض والسماء والأشجار والهواء،... فرحم الأم بيئة الإنسان الأولى، والبيت بيئة، والمدينة التي نعيش فيها بيئة، والكون كله بيئة، وعلى ذلك يمكن أنْ يقال: إنّ البيئة هي جملة الموارد المادّية والاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية المتاحة في وقت ما وفي مكان ما لإشباع حاجات الإنسان[٢].

ويمكن تناول البيئة التي تحدثت عنها السُّور المكّيّة على النحو الآتي:

### المطلب الأول: الطبيعة:

الطبيعة في القرآن الكريم هي كلّ ما في الكون من سماوات، وأرض، وبحار، وجبال، وشمس، وقمر...، وينظر إلى الطبيعة فيها بنظرة شمولية أحيانًا، ومن هذه الآيات قوله تعالى: **﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾** [ق: ٦ - ١١]. ومن الآيات التي جمعت مُجمل عناصر البيئة أيضًا قوله تعالى: **﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا﴾** [الشمس: ١ - ٦].

وقد أشارت السُّور المكّيّة إلى بعض عناصر الطبيعة، ومن ذلك على سبيل المثال:

**١. البَرّ والبحر:** وهما جزآن كبيران من أجزاء البيئة، وقد ذكرت السُّور المكّيّة فائدة البرّ والبحر، وأهميتهما، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: **﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي**

---

[١] الصعيدي، عبد الحكم عبد اللطيف (١٩٩٤)، **البيئة في الفكر الإنساني والواقع الإيماني**، ط١، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ص١٧.

[٢] ينظر: البر، محمد موسى محمد أحمد وعلي، ومحمد نور موسى (٢٠١٧)، **قراءة في الحضارة الإسلامية: دراسة في معانيها وآثارها المعنوية والمادية**، ط١، القاهرة: الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، ص١٢٥-١٢٦.

**الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾** [الإسراء: ٧٠]، فالآية تشير إلى تكريم الله تعالى لبني آدم، وحملهم في البرّ على الخيل، والإبل، و في البحر على السفن وغير ذلك من المركبات البرية والبحرية، إضافة إلى الطيّبات، وتفضيل الإنسان على كثير من المخلوقات[١]، عَلّ هذا التفضيل يدفع هذا الإنسان إلى المحافظة على البيئة المحيطة به، هذا من جانب، ويكون دافعًا إلى ذكر الله تعالى وتسبيحه، وشكر آلائه ونِعمِه من جانب آخر.

ومن فوائد البحار مثلاً:

- الصيد، واستخراج الزينة، كما جاء في قوله تعالى: **﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾** [النحل: ١٤].
- والتنقل بالسفن التي تجري فيه كما أشار إليه في قوله تعالى: **﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾** [الإسراء: ٧٠].

- وتوفّر الرزق كما في قوله تعالى: **﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾** [الجاثية: ١٢].

**٢. الجبال**: وهي من أهم عناصر البيئة، وقد جاء ذكرها في عدة سور مكيّة، إذ تعدّ الجبال بمثابة الأوتاد التي تُدقُّ في الأرض لتشدّ بها أطناب الخيمة، ومن ذلك قوله تعالى: **﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾** [النبأ: ٦، ٧]، وقوله تعالى: **﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا﴾** [المرسلات: ٢٧]. ومن فوائد الجبال هي اتخاذها بيوتاً ومساكنَ، قال تعالى: **﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ﴾** [الشعراء: ١٤٩].

**٣. السماوات والأرض**: جاء الحديث عن السماوات والأرض في عدة مواضع من السُّور المكّيّة، وجاءت في الأعم الأغلب في سياقاتِ التذكير بقدرة الله تعالى، ومن ذلك قوله تعالى: **﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا﴾** [الإسراء: ٩٩]، فهذه الآية الكريمة تؤكّد على قدرة الله تعالى في خلق السماوات والأرض، وتشير إلى قدرة الله في خلق الإنسان وإعادته للبعث، كما قال تعالى: **﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا**

---

[١] ينظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٢١-ص٣٧٢-٣٧٥.

**سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾** [الأعراف: ٥٧]، أي "أنّ الذي قدر على إحياء الأرض، وإخراج النبات والثمر بعدما كان ميتًا، لقادر على إحياء الموتى وبعثهم بعد موتهم[١]".

وقد أشار القرآن الكريم إلى ضرورة التفكّر في خلق السماء وما فيها، فقال تعالى: **﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾** [الفرقان: ٦١، ٦٢]؛ وفي إحياء الأرض، فقال الله تعالى: **﴿وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرض الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾** [يس: ٣٣ - ٣٥]. فالسماء والأرض وما فيهما آيات من الآيات الدّالة على قدرة الله تعالى.

والأرض هي مكان صالح للعيش قال تعالى: **﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرض وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾** [الأعراف: ١٠]، و"المعايش جمع معيشة، وهي ما يعيش به الحيّ من الطعام والشراب، مشتقة من العيش وهو الحياة[٢]". كما أشار إلى هذا قوله تعالى: **﴿قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرض مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾** [الأعراف: ٢٤]، وأكدتْ السور المكّية على أنّ الأرض ملكٌ لله تعالى[٣]، فقال تعالى: **﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرض لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾** [الأعراف: ١٢٨]، وهو سبحانه وتعالى الذي "يحفظ نظام السماوات والأرض من الزوال والتحوّل، وهو القيوم على السماوات والأرض لتبقَيا موجودتين"[٤]، قال الله تعالى: **﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرض أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾** [فاطر: ٤١].

أمّا السماوات فمن فوائدها التي ذكرتها السُّور المكّيّة: تعليم عدد السنين والحساب، قال تعالى: **﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾** [يونس: ٥]، ويشير إليه قوله تعالى:

---

[١] الماتريدي، **تأويلات أهل السنة**، ج٤-ص٤٦٤.

[٢] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٨-ص٣٤.

[٣] ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٩-ص٦٠.

[٤] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٢٢-ص٣٢٧.

**﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾** [الأنعام: ٩٦].

**٤. الماء مصدر الحياة:** يعدّ الماء من أهم عناصر النظام البيئي في القرآن الكريم، وقد أخبر الله تعالى أنّ الماء مصدر الحياة، فقال تعالى: **﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرض كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾** [الأنبياء: ٣٠]، تتضمّن الآية "عبرةً للمتأملين في تكوين الحيوان من الرطوبات، وهي تكوين التناسل وتكوين جميع الحيوان فإنّه لا يتكوّن إلا من الرطوبة، ولا يعيش إلا ملابسًا لها، فإذا انعدمت منه الرطوبة فقد الحياة[١]".

ومن فوائد الماء التي جاء ذكرها في قوله تعالى: **﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرض الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾** [السجدة: ٢٧]، وقوله تعالى: **﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرض ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾** [الزمر: ٢١].

هكذا تتحدّث السُّور المكيّة عن الطبيعة، ومن السهولة فهمُ أنّ القرآن الكريم يتضمّن فكرة خاصّة عن الطبيعة، فللطبيعة معنى، وروح، وآيات ومعجزات، وهذا خلاف ما كان عند العرب قبل الإسلام، إذ يعتبرونها وجودًا جامداً بلا روح، فغيّر القرآن الكريم فكرة الطبيعة مثلما غيّر فكرة الخالق والإنسان التي أساسها التوحيد على مدى ثلاثة عشرين عاماً، وقدم لوحة جذابة للكون، تعكس قدرة الخالق، وعلمه، وإرادته وجلاله وجماله، فكل شيء في هذا الكون له معنى، وآية تشير إليه، وهو شهيد عليه[٢] قال الله تعالى: **﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾** [فصلت: ٥٣]، وقال الله تعالى: **﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرض وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾** [الإسراء: ٤٤].

ويمكن عرض فكرة الطبيعة التي أشارت إليها السُّور المكّيّة بإيجاز على النحو الآتي:

**الطبيعة مخلوقة:**

---

[١] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١٧-ص٥٦.

[٢] ينظر: أوزدمير، إبراهيم (٢٠٠٨)، البيئة في القرآن الكريم، **مجلة التنوير**، العدد: ٥-إبريل، ص١٦٥.

"أوّل تثبيت وترسيخ للقرآن الكريم يتعلّق بالكائنات هو حقيقة أنّها خُلقَتْ من عدم، كما هو مبيّن في قوله تعالى: **﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾** [الأنعام: ١][١]" "وأنّ كلّ ما يحيط بنا من أشياء وأحداث، وكلّ ما يحدث في المجالات الطبيعية والاجتماعية والنفسيّة، هو من صنع الله تعالى، وهو نتاج للسنن التي بثها في الكون، ولقدرته وتصريفه لأمره بلا معقب عليه، وتحقيق لغاية ما يريدها الله تعالى[٢]".

وهذا الخلق لم يكن وليد الصدفة أو المصادفة، بل على العكس من ذلك، حيث تحقق في تكامل وتناغم ونظام متكامل، قال الله تعالى: **﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾** [يس: ٣٨ - ٤٠][٣].

وقد خلق الله هذه الطبيعة خلقًا محكماً لا ترى فيه عيباً، ولا تفاوتاً، قال تعالى: **﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾** [الملك: ٣]، ومع الدقة والإتقان فقد خُلقت بتوازن، فقال تعالى: **﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾** [الرحمن: ٧][٤]، وعلى سننٍ لا تغيّر لها ولا تبديل، قال الله تعالى: **﴿سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾** [الإسراء: ٧٧].

**الطبيعة لها غاية:**

والتصوّر الآخر للطبيعة في السُّور المكّيّة هو أنّ لها غاية، فهي تستمد جمالها وبهاءها من الغاية التي خلقتْ من أجلها، وكلّ شيء في الوجود بأصلِ نشأته، ونموّه، وحياته، ومماته يحقّق غاية خَلَقَهُ الله تعالى ليحققها،[٥] قال الله تعالى: **﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾** [الحجر: ٢١]، وقال تعالى: **﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ**

---

[١] المصدر نفسه، ص١٦٧.

[٢] الفاروقي، **التوحيد**، ص١٤٦.

[٣] ينظر: أوزدمير، **البيئة**، ص١٦٧.

[٤] ينظر: أوزدمير، **البيئة**، ص١٦٧.

[٥] ينظر: الفاروقي، **التوحيد**، ص١٥٧.

**سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾** [الملك: ١ - ٤]

"وهذا هو مقتضى التوازن البيئي الذي بات الإنسان المعاصر على وعي به نتيجة الخطر الداهم الناجم عن التلوث الذي أصاب البيئة في هذا العصر، أمّا المسلم فكان على وعيٍ بهذا المفهوم منذ قرون عدّةٍ، وكان ينظر إلى نفسه على أنّه من صميم هذا التوازن، بوصفه جزئاً منه، شأنه شأن أيّ مخلوق آخر[١]".

**الطبيعة مستسلمة:**

والتصور الآخر للبيئة في السُّور المكّيّة هو استسلامها وتسبيحها لخالقها[٢]، ومثال ذلك قوله تعالى: **﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرض وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾** [الإسراء: ٤٤]، أي أنّ السماوات والأرض ومن فيهنّ من الإنس، والجن، والنبات، والحيوان، وغيرها من المخلوقات في هذا الكون - تسبح الله تعالى[٣].

فالرّعد يُسبح بحمد الله، قال تعالى: **﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾** [الرعد: ١٣]، والجبال والطيور تسبح الله تعالى، قال سبحانه: **﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ﴾** [ص: ١٨، ١٩].

وقد أشارت السُّور المكّيّة إلى أنّ الطبيعة خاضعة لنظم خالقها، قال تعالى: **﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرض فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾** [الأعراف: ٥٤]، فتسخير النهار للعمل، والليل للسكون، والشمس للدفء في الشتاء، والظل للتبرّد في الصيف، وتسخير الشجر للأكل من ثماره[٤].

**طبيعة معجزة:**

---

[١] الفاروقي، **التوحيد**، ص١٥٥.

[٢] ينظر: المصدر نفسه، ص١٦٧-١٦٨.

[٣] ينظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٢٠-ص٣٤٧-٣٤٨.

[٤] ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٨-ص١٦٨-١٦٩.

تتناول السُّور المكّيّة الطبيعة بوصفها آيةً دالة على قدرة الله تعالى، ووحدانيّته، ومن ذلك مثلاً قوله تعالى: **﴿إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرض لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾** [يونس: ٦]، وقوله تعالى: **﴿إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرض لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرض بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾** [الجاثية: ٣ - ٥]، ففي الآيات لفت نظر إلى هذه المخلوقات، للتفكر فيها للوصول إلى وحدانية الله تعالى.

**الطبيعة بوصفها مملوكة لله تعالى بالأصالة:**

وكل ما في الطبيعة مملوك لله تعالى، ومن نعمِ الله تعالى على الإنسان تسخير ما فيها له؛ فللإنسان حقّ الانتفاع بهذه الطبيعة على نحو الذي "حدّده سبحانه وتعالى له، وهو مطالب برعاية الأمانة التي وضعها الله تعالى تحت تصرفه، قال الله تعالى: **﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرض وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾** [هود: ٦١]. ومن المقطوع به أنّ حق الانتفاع لا يخوّلُ الإنسان حقَّ تدمير الطبيعة، ولا حقَّ استغلاله على نحوٍ يفسد التوازن البيئي أو يدمره[١]".

وقال تعالى: **﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرض وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾** [لقمان: ٢٠]، "وأخبر الله تعالى أنّ كلّ ما في الطبيعة مسخرٌ له ليستكشفه، وليستفيد منه، ويستمتع به، ويتفكّر فيه، فلقد خلق الله تعالى الطبيعة مطواعة وقابلة لتدخّل الإنسان في عملياتها[٢]".

ولعلّ ممّا تحسن الإشارة إليه هنا أنّ فكرة الطبيعة هذه في السُّور المكّيّة تحتوي على بعض القرائن حول كيفية إنشاء بيئة المجتمع المسلم، ويستنتج منها أنّ من واجب الإنسان حماية الطبيعة من الدمار؛ لأنها آية من آيات الله التي تدلّ عليه سبحانه وتعالى، وأنّ ما ينبغي على الإنسان أن ينشئ بيئة قريبة من الطبيعة؛ لأنّه بقدر ما يكون قريبًا من الطبيعة يكون قريبًا من آية من آيات الله تعالى الدّالة على وجوده، وقدرته، ووحدانيته.

---

[١] الفاروقي، **التوحيد**، ص١٥٧-١٥٨.

[٢] الفاروقي، **التوحيد**، ص١٥٨.

**المطلب الثاني: المدينة**

إنّ المقصود بالمدينة هنا مكان إقامة يعيش السكان فيه، وقد ذكرت السور المكّيّة بعض المدن، وخاصة المدن التي نزل فيها الوحي الإلهي، وعاش فيها الرّسل والأنبياء، مع ذكر بعض خصائصها، وفي مقدمة المدن التي اختصها الله بالذكر هي مكة المكرمة، ففيها أوّل بيت وضع للناس، مثابة للعباد، قال الله تعالى: **﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ وَطُورِ سِينِينَ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾** [التين: ١ - ٣] [١]، وقال تعالى: **﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾** [البلد: ١]؛ والمدينة الأخرى التي تذكرها السُّور المكّيّة هي مدينة يقع فيها المسجد الأقصى، قال الله تعالى: **﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾** [الإسراء: ١].

وذكر بعض الخصائص الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لهذه المدن؛ ومن دون شكّ أنّ هذه الخصائص تحتوي على بعض الإشارات إلى ما ينبغي أنْ تكون عليه مدن المسلمين، فعلى سبيل المثال لا الحصر: يتضمّن دعاء إبراهيم عليه السلام بعد إنشاء الكعبة أهمّ هذه الإشارات، قال تعالى: **﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾** [إبراهيم: ٣٥ - ٣٧]، فهذا الدعاء يشير إلى أنّ المدينة لها جانبان:

الأول: الجانب المعنوي، ويدخل فيه مَيلُ الناس إلى الذهاب إلى تلك البلدة بسبب النّسك والطاعة لله تعالى.

والثاني: الجانب المادي، ويدخل فيه مَيلُ الناس إلى نقل المعاشات إليها بسبب الفعاليات الاقتصادية، فبسبب هذا الميل يتّسع عيشهم، ويكثُر طعامهم ولباسهم[٢]. ومن الجدير النظر إلى هاذين الجانبين عند إنشاء المدن.

ومن الخصائص الأخرى لهذه المدن فيما تذكره السُّور المكّيّة -ولعلها أهمها- هي الأمن، "وهو النعمة العظمى التي في ظلالها، يدركون لذّة السعادة والطمأنينة، كما أنّ أداء

---

[١] ينظر: الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله، **فتح القدير**، ط١، دار ابن كثير، دمشق، ١٤١٤، ج٥-ص٥٦٧.

[٢] ينظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج١٩-ص١٠٥.

الرسالة الإنسانية على الأرض يأخذ بها إلى البُعد الذي يتصل بالعلاقة مع الله، ربّ هذا الوجود ومولاه، والبُعد الذي يتصل بالعلاقة مع الناس والحياة، ولا يتحقق هذا إلا في ظلال الأمن، الذي يوفّر للإنسان الذي خلقه الله في كدّ ومكادّة جوًّا يهيئ له فرصة العمل النافع والإنتاج العزيز، وإذا قمنا بسياحة في رحاب الكتاب الكريم نجد شواهدَ كثيرة تؤكّد أنّ الأمن مطلبٌ إنساني لا يقلّ في أهميته عن المطالب العضوية الأخرى، وأنّه مناط سعادة البشر، ويعدُّ ركيزة مهمة من ركائز الحياة[1]".

وهكذا يواصل القرآن الكريم تقديم الشواهد التي تؤكّد أنّ الأمن مناط المجتمع السعيد، فقد "أنزل الله تعالى سورة كاملة يمتنّ فيها على قريش بالأمن الوارف، والعيش الرغيدة؛ فقال سبحانه وتعالى: **﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾** [قريش: ١ - ٤]. وفي قوله تعالى: **﴿وآمنهم من خوف﴾** تتجلى الأهمية العظمى لمسألة الأمن وضرورتها القصوى لقيام كيان الدولة والمجتمع؛ فقد كان مجتمع قريش يعيش حالة يحسده عليها كلّ من اكتوى بنيران الفتنة ومواقد الخوف، لا سيّما وأنّ كلّ أولئك كانوا على مرمى حجر من البلد الحرام موطن قريش ومعقلها[2]". فقال الله تعلى في الآية الأخرى: **﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾** [العنكبوت: ٦٧]، وأخبر أنّ أهل القريش حين كانوا يعيشوا في الأمان كان الناس من حولهم يقتل بعضهم بعضاً ويسبي بعضهم بعضا[3].

والأمن واحد من أوّل مطالب إبراهيم عليه السلام في دعائه، فقال تعالى: **﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا﴾** [إبراهيم: ٣٥]، يقول الرازي: "والابتداء بطلب نعمة الأمن في هذا الدعاء يدلّ على أنّه أعظم أنواع النعم والخيرات، وأنه لا يتمّ شيء من مصالح الدّين والدّنيا إلا به، وسُئِل بعض العلماء ألأمنُ أفضل أم الصحةُ؟ فقال: الأمن أفضل، والدليل عليه أنّ شاةً لو انكسرتْ رجلها فإنها تصحّ بعد زمانٍ، ثم إنّها تُقبِل على الرعي والأكل، ولو أنّها

---

[1] الطويل، السيد رزق (١٩٩٠)، الأمن والأمانة في القرآن الكريم، **مجلة الأمن**، العدد الأول– جمادى الآخرة، ص٦٨.

[2] المسيميري، رياض بن محمد (١٤٣٧)، أمن البلدان من خلال القرآن دراسة موضوعية، **مجلة تبيان للدراسات القرآنية**، العدد ٢٣، ص١٣٠.

[3] ينظر: القرطبي، **الجامع**، ج١٣–ص٣٦٣.

رُبطتْ في موضع ورُبِطَ بالقرب منها ذئب فإنّها تمسك عن العلف ولا تتناوله إلى أنْ تموت، وذلك يدلّ على أنّ الضرر الحاصل من الخوف أشدّ من الضررِ الحاصل من ألم الجسد[١]".

"وكان الأمن بشارة يوسف عليه السلام لأبويه وأهله حين قدموا مصر، قال الله تعالى: **﴿وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾** [يوسف: ٩٩]. فلا عجب أنْ يسأل إبراهيم ويوسف عليهما السلام ربّهما لأنّ يكون بلدهما بلدًا آمنًا، فإبراهيم عليه السلام هو الذي خَبِرَ ما يصيب الأمة من الخوف والجزع حين يغيب الأمن ويتسلّط الكفرة والفجرة والطواغيت على رقاب العباد، ويوسف عليه السلام هو الذي أدرك أهمية الأمن، لا سيّما لمنْ وفد على أرض غير أرضه، وبلد غير بلده غريبا[٢]".

**مظاهر الأمن:**

إنّ الأمن كما يعرفه الجرجاني هو "عدم توقّع مكروه في الزمان الآتي[٣]"، يُحدث المقاومة ضدّ أي ضررٍ محتملٍ لأهل المدينة من جهتين -كما أخبر الله تعالى في سورة الفيل وسورة القريش- بدفع الضرر عن أهل المدينة، وبجلب النفع إليهم.

ويمكن أن يذكر عدة مجالات سياسية، واقتصادية، واجتماعية التي تتطلب وجود الأمن، ولعلّ لذلك السبب ذكر المفسرون عدّة تأويلات عندما شرحوا قوله تعالى: **﴿وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾**، فذهبوا إلى معان كثيرة منها: أنّ الأمن في قوله تعالى هو أمن الطرق والسفر، والأمن ضد الأعداء، الأمن ضد الأمراض، والأمن بالإسلام... [٤] إلا أنّ لفظ "الخوف" جاء في الآية نكرة، وهذا يعني أنّ لديه معنى عاماً يشمل كلّ أنواع الخوف.[٥]

ومع ذلك ففي المواقع الأخرى يؤكد على مظاهر الأمن الخاصة مثل أمن الطرق، فقد "منح الله تعالى دولة سبأ ذاتِ الحضارة العريقة في اليمن أمنَ الطريق من الجنوب إلى الشمال، فيجدون قرى ظاهرة متقاربة في كلّ منها حاجتهم من الطعام والماء، ويقضون الليالي في رحلتهم إلى الأرض التي بارك الله فيها، ومنحها الخير والثمر في الشام كالأردن وفلسطين

---

[١] الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج١٩-ص١٠٣-١٠٤.

[٢] المسيميري، **أمن البلدان**، ص١٣٤.

[٣] الجرجاني (ت. ٨١٦هـ)، علي بن محمد بن علي، **كتاب التعريفات**، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣، ص٣٧.

[٤] ينظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٣٢-ص٢٩٨.

[٥] ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٣٠-ص٥٦١.

وغيرها، يغمرهم أمن عظيم يحسّون فيها بمتعة الرحلة والسفر، قال تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ**﴾ [سبأ: ١٨]، قال قتادة: "كانوا يسيرون غير جياع ولا ظماء، ولا خائفين، وكانوا يسيرون مسيرة أربعة أشهر في أمان لا يحرك بعضهم بعضاً، ولو لقي الرجل قاتل أبيه لا يحركه[١]".

**الطريق إلى تحصيل الأمن:**

في حديث القرآن الكريم عن الأمن يُظهرُ لنا طريقاً واضحَ المعالم إلى تحصيل الأمن، في آية تتحدث عن أصحاب الحِجْر، قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾ [الحجر: ٨٠ - ٨٤]، يفهم منها أن الطريق المثالي إلى الأمن هو العبودية، فأصحاب الحجر "كانوا في نعمة سابغة، وقدرة بالغة، وحضارة ذات شأن، وأمن ينشر على القوم ظلاله، جاءهم رسول الله فكذبوه، فولّت نعمتهم، وذهب أمنهم[٢]".

وتتحدث السُّور المكّيّة عن قرية كان فيها الأمن والطمأنينة، فقال تعالى: ﴿**وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ**﴾ [النحل: ١١٢، ١١٣]، فسبب تبديل الأمن إلى الخوف هو كفر هذه القرية بنعم الله تعالى، فكان "أهلها في مأمن من السلب والغارة بينما يروّعُ سواهم، والأرزاق تَفِدُ إليهم من كلّ مكان في سهولة ويسر، فجاءهم رسول منهم يصحّح مسيرتهم، ويعالج انحرافهم، فكان ينبغي لهم أنْ يستذكروا ما هم فيه من النعم، وأنْ يحافظوا على ما ورثوه من دين إبراهيم عليه السلام وما فيه من مبادئ وقيم، لكنها جحدتْ النّعم، وكذبتْ الصادق الأمين، فتبدلَ الأمن إلى خوف والرخاء إلى جوع ومذلة[٣]".

ودعوة قريش إلى إخلاص العبودية لله وحده في سورة القريش إشارة إلى أنّ هذه العبودية هي "الطريق الوحيد لاستبقاء الأمن، والحفاظ عليه، لا سيّما وأنّ هذا الأمن وراء

---

[١] الطويل، الأمن والأمانة في القرآن الكريم، ص٦٩.

[٢] المصدر نفسه، ص٧٦.

[٣] المصدر نفسه، ص٧٧.

الرّواج الاقتصادي الذي كانت تتمتّع به قريش دون غيرها، قال تعالى: **﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾**[قريش: ١-٤][1]".

[1] المصدر نفسه، ص٧١.

## المبحث الثالث: العلاقات وبناؤها في السُّور المكّيّة

إنّ العنصر الآخر للمجتمع هو العلاقات، وهي عنصر أساسي يربط أفراد المجتمع، ويتوقف عليها دوام المجتمع وامتداده وقوّته وقدرته، ويمكن تعريف العلاقاتِ الاجتماعية بأنّها نسق التفاؤل المنظّم بين شريكين على أساس خطّة محدّدة، وتحتوي على واجبات ومسؤوليات مستقرة وثابتة[١].

وقبل تناول العلاقات الاجتماعية في السور المكية، وبيان أنواعها بالتفصيل، يحسن ذكر كيفية نشأة الروابط بين الناس؛ فيشير ماكيفر إلى هذه القضية بأنّ المجتمع يربِطُ بعضهم ببعض لتحقيق هدف من الأهداف والوصول إلى المصلحة المشتركة، وتنقسم المصلحة إلى مصلحتين، فقد تكون المصلحة متشابهة ككسب العيش، والثراء، فمثل هذه المصالح لا يترتب عليها بالضرورة قيام أيّة جماعة، أو أيّ علاقة اجتماعية، وقد تكون مصلحة مشتركة كالخير، والنجاح لعمل معين، فهي مصلحة يسعى نفر من الناس كلُّهم إليها، ويحدث بين الناس ارتباط وتنظيم[٢]، وهذه القضية تتضمن بعض التلميحات حول سبب امتداد المجتمع المسلم في العهد المكي، فهو مجتمع تبدأ أكثر العلاقات بين أفراده على أساس المصلحة المشتركة التي تحقّق التوحيد في جميع مجالات الحياة للوصول إلى سعادة الحياة الآخرة.

ويحصر علمُ الاجتماع مفهوم "العلاقات" من حيث كونه واقعًا في العلاقات البشرية، مُنعزلة عن السماء، وهذا ما يضاد تمامًا طبيعة التصور القرآني للعلاقات؛ فالعلاقات في القرآن الكريم يمكن حصرها في ثلاثة أنماط، هي: العلاقة بين الخالق والإنسان، والعلاقات البشرية، والعلاقات البيئية[٣].

### المطلب الأول: العلاقة بين الإنسان وخالقه سبحانه وتعالى:

خلق الله الإنسان، ومقتضى هذا الخلق أنْ تكون هناك صلة بين الإنسان وربه، "وهذه الصلة تنشطر إلى نمطين: علاقة الإنسان بربه، وعلاقة الرب تبارك وتعالى بالإنسان، وإحداهما غير الأخرى بطبيعة الحال، فعلاقة الإنسان بربه تعني: مطالبة الإنسان بأنْ يتعامل

---

[١] ينظر: حسنين، **سوسيولوجيا الإسلام**، ص٩٩.

[٢] ماكيفر (١٩٦٨)، **الجماعة**، دار الفكر العربي، ص١٣١-١٦٦.

[٣] ينظر: البستاني، محمود (١٩٩٤)، **الإسلام وعلم الاجتماع**، ط.١، بيروت: مجمع البحوث الإسلامية للدراسات والنشر، ص٥١-٥٤.

مع الله تعالى وفق صيغ خاصة، أمّا علاقة الله بالإنسان فتعني: أنّ الرّب يتعامل مع الإنسان وفق صيغ خاصة[١]".

**أولاً: علاقة الرّب تبارك وتعالى بالإنسان والمجتمع:**

يمكن تقسيم علاقة الرّب تبارك وتعالى بالإنسان والمجتمع إلى خمسة أقسام، هي: العلاقة الإبداعيّة، والعلاقة العباديّة، والعلاقة الاختباريّة، والعلاقة التوصيليّة، والعلاقة الجزائيّة، [٢] وتوضيح ذلك على النحو الآتي:

**القسم الأول: العلاقة الإبداعية**: يُقصد بهذه العلاقة أنّ الله تعالى هو الذي أبْدَعَ المجتمع البشري، وقد "صاغ الله تعالى مجموعة من الظواهر المرتبطة بنشأة المجتمعات البشرية، وأطوارها، ومصائرها: بغض النظر عن التكييف الطبيعي للحياة التي تغلّف هذه المجتمعات، مثل: تسخير الأرض والماء، حيث تنعكس هذه الظواهر الطبيعية آثارها على العلاقات البشرية، وبغضِّ النظر عن تكييف البشريّ في شتّى حياته الاجتماعية[٣]".

تتحدّث السُّوَر المكّيّة عن ظواهر اجتماعيّة تتحكّم في نشأة المجتمعات وأطوارها ومصائرها، ومن هذه الظواهر: التكيف البنيوي للمجتمع أي "إخضاعه إلى تغييرات بنائية، حيث بدأت أمّة واحدة، ثمّ اختلفتْ عبر رسالات متنوعة ختمت بالرسالة الإسلامية[٤]" كما يبيّن في قوله تعالى: **﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾** [يونس: ١٩].

ومنه أيضاً إخضاع شريعة المجتمعات إلى محطّات تاريخية، كما يبيّن في قوله تعالى: **﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾** [الرعد: ٣٨].

ومنْه إخضاع المجتمع إلى تغيّرات تتأرجح بين الانتصار والهزيمة كما يشِير إليه قوله تعالى: **﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾** [الإسراء: ٦].

---

[١] البستاني، **الإسلام وعلم الاجتماع**، ص٥٤.

[٢] ينظر: البستاني، **الإسلام وعلم الاجتماع**، ص٥٧-٥٩.

[٣] المصدر نفسه، ص٤٨.

[٤] المصدر نفسه، ص٤٨.

**القسم الثاني: العلاقة العبادية**: إنّ الغاية من خلق الإنسان أنْ يمارسَ هذا الجنس البشري السلوك العباديّ، قال تعالى: **﴿وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا﴾** [الإسراء: ٢]، فالمطلوب من المجتمع هو التوجه إلى الله تعالى وحده بالعبادة، وإفراده بالاستعانة والتوكّل.

**القسم الثالث: العلاقة الاختبارية:** إنّ الغاية من تكليف الإنسان بالعبادة أنْ يختبر أفراد المجتمع في هذا المسلك، قال الله تعالى: **﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾** [الملك: ٢].

**رابعاً: العلاقة التوصيلية**: إنّ الله تعالى قد طالب المجتمع بكافة أفراده المكلّفين أنْ يمارسوا العبادة كما أوحى الله بها إلى رسله الكرام عليهم السلام ثم ورثة الأنبياء، وهم العلماء[١]، وهذا ممّا أشار إليه قوله تعالى: **﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾** [سبأ: ٢٨]، وقوله تعالى: **﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾** [الأعراف: ١٥٨]، وقوله تعالى: **﴿وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا﴾** [الإسراء: ٢].

**خامسا: العلاقة الجزائية**: المراد بها ما يترتب على سلوك الإنسان إيجابيًا كان أو سلبيًا من جزاء في الدنيا أو الآخرة، كتسليط الظالم[٢]، ومن الآيات التي أشارت إلى هذا قوله تعالى: **﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا﴾** [الإسراء: ٥]، حيث ذكرت الآية عقوبة الإفساد الأوّل لبني إسرائيل، وقوله تعالى: **﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾** [الإسراء: ١٦، ١٧]، وقوله تعالى: **﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ﴾** [الإسراء: ٥٤]، فالرحمة والعذاب بحسب التزام الإنسان بما أمر الله تعالى، فالرّحمة جزاء للملتزمين بالأمر، والعذاب عقوبة للمبتعدين عن أوامر الله تعالى.

---

[١] ينظر: البستاني، **المصدر نفسه**، ص٥٧-٥٩.

[٢] ينظر: البستاني، **المصدر نفسه**، ص٥٠.

**ثانياً: علاقة الإنسان مع ربه:**

إنّ ما يحكم العلاقة بين الإنسان وربّه هو الإيمان به، ومعناه "أنْ لا إله إلا الله"، فبعد هذا النفي لا يؤمن الإنسان إلا به وحده، ولا يتعلق خوفًا أو طمعا إلا به، ولا يستعين إلا به[١]، وكلمة التوحيد هي التي تقوم عليها علاقات الإنسان كلّها بربه وبالناس الأخرين.

ويمكن تسمية علاقة الإنسان مع ربه "بالعلاقة الوظيفية، بمعني أنّ الإنسان يمارس وظيفة عبادية قد خُلق من أجلها، كما قال تعالى: **﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]**، ممّا يعني أنّ البشر يمارسون سلوكًا وظيفيًا، هو العمل العبادي، المستمدّ من الوحيين؛ الكتاب والسنة النبوية، وهذه العبادة تحدّد سلوك البشر في شتى المستويات، ومن هنا يتعيّن على الإنسان أنْ يحدّد لكل فعل هدفًا عباديّا، بحيث يبتغي به وجه الله تعالى، سواء أكان هذا الفعل ممارسة شعائرية كالصلاة، أم ممارسة اجتماعية كالصدقة على الفقراء والمحتاجين، أم عادة من العادات كالنوم والأكل واللباس وغيرها[٢]".

ومن الآيات التي تضمّنت تنظيم علاقة الإنسان بربّه قوله تعالى: **﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾** [الإسراء: ٧٨، ٧٩] فإقامة الصلاة المفروضة، وغير المفروضة (النافلة) من الطاعات التي تنظّم علاقة الإنسان بربه سبحانه وتعالى، بل الصلاة صلة ما بين العبد وربه.

**المطلب الثاني: العلاقات البشرية:**

إنّ العلاقات الاجتماعية "هي اتصال أو تفاعل يقع بين شخصين أو أكثر من أجل إشباع حاجات الأفراد الذين يكوّنون مثل هذا الاتصال والتفاعل[٣]". وملامح العلاقات البشرية في القرآن الكريم متعدّدة ومتنوعة، فللإنسان علاقة بوالديه، وله علاقة بأقاربه، وله علاقة بجاره، وله علاقة بمجتمعه، وله علاقة بأفراد الأديان الأخرى، وغير ذلك من العلاقات البشرية[٤].

---

[١] ينظر: الجراد، **كرامة الإنسان**، ص٦٥-٦٦.

[٢] البستاني، **المصدر نفسه**، ص٥٤-٥٥.

[٣] جمعة، **دراسات في علم الاجتماع الإسلامي**، ص١٢٩.

[٤] ينظر: عثمان، **نظرية تقويم الفرد**، ص٦٧.

والعلاقات بين الأفراد في المجتمع المسلم تقوم على أساس أنّ الرابط بينهم هو الرابط الإنساني، أي أنْ يحكمها المستوى الإنساني بخصائصها المميّزة فهو: فوق العرق، والقبيلة، والأصل والمال والقوة[١].

وقد أشارت إلى هذه الروابط بداية سورة عبس التي تتحدث عن إعراض النبي ﷺ عن الأعمى الفقير الذي جاءه مسترشدًا أثناء اشتغال النبي ﷺ بإرشاد رجل من زعماء المشركين[٢]: **﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى وَهُوَ يَخْشَى فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى﴾** [عبس: ١ - ١٠]، ويلوح لي أن هذه الآيات تعد جوهر الآيات التي تنظّم العلاقات الإنسانية في القرآن الكريم، فهي تتضمّن أساس العلاقات الإنسانية، وأنّها التقييم فيها ليس للقوّة، والمال، والأصل، والقبيلة، بل "إنّ القيمة الأساسية لكلّ إنسان إنّما هي عمله وسلوكه المنعكس عن تصوراته واعتقاده[٣]".

وبالتالي فإنّ القواعد الكليّة التي يمكن أنْ يؤسّس عليها النظام الاجتماعي هي أنْ يتصل الأفراد ببعضهم، وينشئون مجتمعًا على أساس رؤية اعتقادية أخلاقية مشتركة[٤]، وممّا يشير إلى هذا الأساس ما جاء في قصة نوح عليه السلام مع ابنه في قوله تعالى: **﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾** [هود: ٤٥ - ٤٦]، فنوح عليه السلام لجأ على ربه لنجاة ولده، فنفى الله تعالى أنّ يكون ابنه من أهله بقوله: "إنه ليس من أهلك" أي أنه ليس من المؤمنين برسالتك الدينية، "وبالتالي فهو ليس عضوًا في مجتمعك الإيماني الذي تعمل على تكوينه، ولكنّ هذا القطع لعلاقة الرّحم الديني لا يقطع بحال من الأحوال علاقة الرحم العِرقِي بينهما، وبناءً على هذا، فإنّ الصبِي كان له بنوّة رحمية بنوح عليه السلام أمّا من حيث الصلة الإيمانية فهو لم يكن ابناً له[٥]"؛ واستنادا

---

[١] ينظر: البهي، **منهج القرآن**، ص٦٧.

[٢] ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٣٠-ص١٠٣.

[٣] الدقور، سليمان وبكر، محمد (٢٠١٨)، **سور من القرآن الكريم مقاصد وقيم ودلالات سورة عبس سورة الزمر سورة الطور سورة العنكبوت**، ط١، عمان: جمعية المحافظة على القرآن الكريم، ص٩.

[٤] ينظر: التيجاني، عبد القادر حامد (٢٠١١)، الإصلاح في القرآن استكشاف المفهوم وبناء النظرية، **مجلة إسلامية المعرفة**، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، المجلد ١٧، العدد ٦٦، ص٣٣-٣٤.

[٥] المصدر نفسه، ص٣٣.

إلى ذلك، يمكن القول إنّ الاتفاق في الدين أقوى من الاتفاق بالنسب، وأنّ الأصل فيه نسب الإيمان والعقيدة، وليس نسب الدم والقرابة[١].

ووعد الله تعالى أنْ يجعل للذين آمنوا وعملوا الصالحات وُدًا، فقال تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾** [مريم: ٩٦]، فقد بيّن الزمخشري: أنّه تعالى "سيُحدث لهم في القلوب مودّة، ويزرعها لهم فيها من غير تودّد منهم ولا تعرّض للأسباب التي توجب الود، ويكتسب بها الناس مودّات القلوب، من قرابة أو صداقة أو اصطناع بمبَرَّةٍ أو غير ذلك، وإنّما هو اختراع منه وابتداء واختصاص منه لأوليائه بكرامة خاصة، كما قذف في قلوب أعدائهم الرّعب والهيبة إعظاما لهم وإجلالًا لمكانهم[٢]"؛ انطلاقا من هذا يمكن القول إن الله تعالى يوقع تآلفاً بين أفراد المجتمع المسلم إذا راعوا القواعد الأساسية عند إنشاء مجتمعهم.

وأساس العلاقات البشرية التي تضمنتها السُّور المكّيّة طلب مرضاة الله تعالى؛ لأنّ العلاقات البشرية تنطلق من علاقة الإنسان بربّه، وبما أنّ غاية الإنسان من أقواله وأفعاله نيل رضا الله تعالى فإنّ علاقته بغيره من البشر لا تخرج عن تحقيق هذه الغاية والوصول إلى هذا الهدف.

ولعل في اقتران عبادة الله تعالى ببعض العلاقات البشرية ما يؤكد هذا المعنى، فمثلاً اقترن الأمر بالإحسان إلى الوالدين بعبادة الله تعالى، قال تعالى: **﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾** [الإسراء: ٢٣]، وبعد ذلك جاء الأمر بإيتاء الأقارب والمساكين وأبناء السبيل حقوقهم، فقال تعالى: **﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾** [الإسراء: ٢٦].

فالعلاقات البشرية في السُّور المكّيّة تقوم على التكافل فيما بين الفرد وأقاربه، وبينه وبين أفراد مجتمعه[٣]، وتتضمّن بعض مسؤولياته الشخصية في معاملته مع الآخرين في شتى المجالات، وتوضيح ذلك على النحو الآتي:

---

[١] ينظر، نوفل، أحمد (٢٠١٩)، **تفسير سورة هود دراسة تحليلية موضوعية**، ط١، الأردن: جمعية المحافظة على القرآن الكريم، ص١٨٠-١٨٣.

[٢] الزمخشري، **الكشاف**، ج٣-ص٤٧.

[٣] ينظر: الفوال، **التصور القرآني**، ص٦٥٠.

**أولاً: المسؤولية الفردية في العلاقات البشرية:**

الإنسان مسؤول عن أقواله وأفعاله، وهو مسؤول أيضًا عن جوارحه من السمع والبصر واليد وغيرها، وهذا ما تضمّنه قوله تعالى: **﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾** [الإسراء: ٣٦]، فالإنسان مسؤول عن ذاته وتصرفاته في علاقته مع غيره من البشر، وهو منهيٌّ عن الحكم بما لا يكون معلومًا، وقد يندرج تحت هذه القضية الكليّة عدّة أنواع من السلوكيات السيئة المختلفة: كالكذب، والغيبة، والنميمة، وشهادة الزور، ورمي المحصنين والمحصنات بالأكاذيب، وغيرها[١].

**ثانياً: التكافل بين الفرد وأقاربه:**

وهو التناصر بين الأقارب؛ "ليسد بعضهم حاجات بعض، ويُسنَدَ الضعفاء من قبل الأقوياء، وكذلك التناصر بينهم في القيام بأعباء العمل الصالح[٢]"، وقد حدّد القرآن الكريم التكافل بين الفرد وأقاربه في عدة من المواضع، وهذا التكافل "يمتد من قول المعروف، وحسن المعاشرة، ولين الجانب حتى الإنفاق، ويظلّ هذا التكافل ممتدًا حتى بعد الوفاة بالوصية والتوريث[٣]".

قد يقال إن الأسرة هي اللبنة الأولى في يكوين المجتمع المسلم، وإذا يحسن بناء الأسرة والعلاقات بين أفرادها ينشأ مجتمعا صالحا يتمتع بالأخلاق والتعاون والانسجام. وتأكد عناية السُّور المكّيّة بتنظيم العلاقات بين أفراد الأقارب -خاصة العلاقات بين أفراد الأسرة - على أهميّة العائلة في بناء المجتمع، وأهميّتها في إنشائه، وتنظيمه، وتشكيله، والمحافظة عليه.

وأساس العلاقات مع الأقارب قائم على البرّ، والتصدّق على المحتاجين منهم للمال، قال تعالى: **﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ﴾** [الإسراء: ٢٦]. فللأقارب حق الميراث، وقد حذّر القرآن من أكل نصيبهم في قوله تعالى: **﴿وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا﴾** [الفجر: ١٩].

---

[١] ينظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٢٠-ص٣٣٩.

[٢] النجار، عبد المجيد (١٩٩٧)، **الإيمان بالله وأثره في الحياة**، ط١، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ص٢٠٧.

[٣] الفوال، **التصور القرآني**، ص٦٥٢.

والمتأمّل في السُّور المكّيّة يلحظ أنّ الوالدين أكثر ذكرًا وبيانًا، فقد تضمّنت السور المكيّة التأكيد على برّ الوالدين والإحسان في مواضع كثيرة، وبينت كيفيتهما بشكل دقيق، قال الله تعالى: **﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسان بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا﴾** [الأحقاف: ١٥]، وقال تعالى أيضا: **﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسان بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾** [العنكبوت: ٨]، ووصى الأولاد بالتأدب مع الوالدين، والتذلّل لهما، وخفض الصوت أمامهما، قال الله تعالى: **﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾** [الإسراء: ٢٣، ٢٤].

ومما يؤكد أهمية برّ الوالدين في العلاقات الاجتماعية ما جاء في سورة مريم، حيث ذكرت أنّ برَّ الوالدين كان من صفات بعض الأنبياء، وتوصياتهم وسلوكياتهم، فهو وصف يحيى عليه السلام في قوله تعالى: **﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا﴾** [مريم: ١٤]، وواحد من أوامر عيسى عليه السلام إلى قومه في قوله تعالى: **﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾** [مريم: ٣٢]، وواحد من الخصائص الأخلاقية عند إبراهيم عليه السلام التي تظهر من خلال خطابه إلى أبيه المشرك، قال تعالى: **﴿يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾** [مريم: ٤٥]. فقد استخدم إبراهيم عليه السلام أسلوبًا مهذبًا مفعمًا بالرحمة والشفقة والحكمة مع أبيه.

وطاعة الوالدين التي يأمر الله تعالى بها ليست مطلقة، وإنّما جاءت مقيّدة في غير معصية الله تعالى، وأراد من الإنسان ألّا يطيعهما بمعصية، وقال الله تعالى: **﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسان بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلي الْمَصِيرُ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلي ثُمَّ إِلي مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾** [لقمان: ١٤، ١٥].

ومن العلاقات التي تناولتها السُّور المكّيّة العلاقة بين الزوجين، قال تعالى: **﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾** [الروم: ٢١]، فقد أشارت الآية إلى أنّ جوهر العلاقة بين الزوجين هو السّكون، والمودّة، والرحمة، والمراد من السكون في الآية هو "الأنس وفرح النفس وزوال الاضطراب، والمودة هي المحبة، والرحمة وهي صفة تبعث على حسن المعاملة[١]".

---

[١] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٢١-ص٧٢.

**ثالثاً: التكافل بين الفرد والمجتمع:**

إنّ الدستور الرئيس في علاقة الفرد بمجتمعه هو التواضع، ولين الجانب، قال تعالى آمرًا نبيه ﷺ بالتواضع في علاقته مع المسلمين: **﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾** [الحجر: ٨٨]، وخفض الجناح في الآية كناية عن اللين، والتواضع، والرفق[١]، وقد نهى سبحانه وتعالى عن التكبر على الآخرين، قال تعالى: **﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾** [الإسراء: ٣٧]، فالمشي المرح هو شعور الكبر، وحسّ الاستعلاء على الآخرين، والفرح بما حصل من دنيا، ومال، ومنصب[٢].

وممّا يؤكد ذمّ خصلة التكبر أنّ أوّل معصية عُصِيَ الله تعالى بها كان سببها الكبر، قال تعالى: **﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾** [الإسراء: ٦١]، فهذه الآية تُشير إلى أنّ سبب معصية إبليس لأمر الله تعالى، وعدم سجوده لآدم إنما هو الكبر.

وقد جاء توجيه الفرد إلى استعمال الكلام الأحسن في تعامله مع غيره من أفراد المجتمع، قال تعالى: **﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾** [الإسراء: ٥٣]؛ وطلب من أفراد المجتمع المسلم المغفرة لبعضهم بعضاً عند الغضب، فقال الله تعالى: **﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾** [الشورى: ٣٧].

وقد تضمنت السُّور المكّيّة عدة صور من التكافل بين الفرد ومجتمعه، ومنها:

١. **رعاية المحتاجين**: فالمطلوب من الإنسان أنْ يبذل الأموال لرعاية الفئات المحتاجة من الفقراء، والمساكين، وأبناء السبيل، قال الله تعالى: **﴿فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾** [الروم: ٣٨]. وجاء النهي عن القهر، والزجر بالقول، قال الله تعالى: **﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾** [الضحى: ١٠]، ويحثّ المسلمين على إكرام المحتاجين بأسلوب غير مباشر في قوله تعالى: **﴿وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾** [الفجر: ١٨].

٢. **رعاية الأيتام**: مسألة الأيتام واحدة من المسائل الاجتماعية المهمة التي أشارت إليها السُّور المكية، لإنّها ساهمت مساهمة فعالة في حل مشكلاتهم، وقد أخبرت عن معاملة المشركين

---

[١] ينظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج١٩-ص١٦٢.

[٢] ينظر: نوفل، **تفسير سورة الإسراء**، ص٢٩٣.

غير الأخلاقية للأيتام حتّى لا يسلكَ المسلم تلك الطرائق التي سلكوها في معاملة الأيتام، وفتحتْ الباب أمام اليتيم ليأخذ مكانه في المجتمع، قال الله تعالى: **﴿كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾** [الفجر: ١٧]، وقال تعالى: **﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ﴾** [الماعون: ٢]. ونهى عن قهر اليتيم، قال تعالى: **﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾** [الضحى: ٩]، وبهذه الآيات وجّهتْ المسلمين ببعض التوصيات والنواهي، وحذرتهم وأمرتهم بالاهتمام باليتيم مثل إكرامه، وإطعامه، والإحسان إليه، وعدم التجريح وتحسيسه بالعنف، والقهر.

"وبعد هذه الآيات المؤكِّدَةِ ذاتيةَ الأيتام، والمحقِّقَةِ وجوده ضمن أفراد المجتمع، جاءت الآيات المكّيّة التي تتحدث عن ماله الذي يجب أنْ يصانَ حتّى يبلغ أشده. قال الله تعالى: **﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾** [الأنعام: ١٥٢]، وفي سورة الإسراء: **﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾** [الإسراء: ٣٤]. وبهذه الآيات صار اليتيم ذا مالٍ ينبغي الحفاظ عليه حتّى يبلغ رشده، وتبرز صورة اليتيم في الذهن وقد استوى على سوقه كعضوٍ فعّال، صاحب يدٍ عليا، يمكن أنْ تعطِيَ، وتسهم في بناء المجتمع، وبالقوة التي دعا القرآن بها إلى صون ذاته[١]".

٣. **النهي عن الزنا ومقدماته: "**ولا يتمّ التكافل بين الفرد ومجتمعه بصور البر المختلفة وحدها، وإنما يتمّ ذلك بأداء المسؤوليات التي أنيطت به على وجهها الصحيح[٢]" وقد تتضمّن السُّور المكّيّة بعض المسؤوليات الشخصية في المعاملات مع الآخرين في شتى المجالات، فمنها النهي عن الزنا ومقدماته، فقد حددت السُّور المكّيّة العلاقات بين الجنسين بأنْ يُعطى إليهما بعض التوجيهات، والمسؤوليات الأخلاقية، ويُصحّح نظرهما بعضهما إلى بعضا، مفن المطالبِ القرآنية لحماية نسل المجتمع أخلاقيًا، واجتماعيًا، واقتصاديًا هو عَدم الاقتراب من الزنا، قال الله تعالى: **﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾** [الإسراء: ٣٢]. وهذا النهي لحماية المجتمع من الخلل من ناحية النسل، والنسب؛ لأنّها "مظنة لإضاعة الأنساب ومظنة للتقاتل والتهارج، فكان جديراً بتغليظ التحريم قصدًا وتوسلاً[٣]".

٤. **الأمر بالوفاء بالعهود، والعدل في الكيل والميزان، وما شابهه من المعاملات التجارية:** وهو المجال الاقتصادي والاجتماعي، فطلب من المسلمين الوفاء بالعهود، والعدل

---

[١] عمارة، محمود محمد، **تربية الأولاد في الإسلام من الكتاب والسنة**، المنصورة: مكتبة الإيمان، ص٢٩٨.

[٢] الفوال، **التصور القرآني**، ص٦٥٣.

[٣] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١٥–ص٩١.

في الكيل والميزان، قال الله تعالى: **﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾** [الإسراء: ٣٤، ٣٥]، وقال تعالى: **﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾** [الأنعام: ١٥٢].

٥. **النهي عن قتل النفس التي حرم الله قتلها الا بالحق:** فمن صور تكافل الفرد مع مجتمعه أنْ يرعى حقوق الآخرين، فلا يقتل النفس التي حرّم الله قتلها إلّا بالحق، قال تعالى: **﴿وَلَا تَقْتُلُوا أولاَدَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾** [الأنعام: ١٥١]، وقال سبحانه: **﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾** [الإسراء: ٣٣].

**رابعاً: تكافل المجتمع الإسلامي مع نفسه:**

"يتحقّق هذا التكافل باتباع أوامر الشريعة الإسلامية ونواهيها، وتتّضح صورة ذلك التكافل بقوله تعالى: **﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾** [الإسراء: ١٦]، وتكافل كلّ أعضاء المجتمع الإسلامي أمرٌ ضروري؛ تحقيقًا للصالح العام في المجتمع، وإذا لم يتحقق ذلك التكافل استحق المجتمع كله اللعنة[١]" فتكافل المجتمع مع نفسه، وإشاعة العدل والرحمة، وتنفيذ أوامر الله تعالى يحفظ المجتمع بأسره من الهلاك الشامل، والعقوبة الجماعية.

**خامساً: العلاقة مع المشركين:**

من الظواهر الطبيعية الاجتماعية وجود أفراد ينتسبون إلى شرائع وأديان أخرى منحرفة داخل المجتمع، وتتأسس العلاقات المختلفة بين أفراد هذه الشرائع، وتتشكل وفقاً لموقفهم تجاه بعضهم بعضاً في الاختلافات الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية بينهم، وفي بداية قيام المجتمع المسلم بمكّة، كان أكثر المسلمين من الضعفاء بقلّة عددهم، وقوّتهم، وكانوا يواجهون المشركين الذين يتفوقون عليهم من الناحية المادية، وفي هذه المرحلة جاءت العديد من التوصيات المختلفة التي تحدد علاقات المسلمين مع المشركين وفقاً لمواقفهم.

---

[١] الفوال، **التصور القرآني**، ص٦٥٤-٦٥٥.

يفسر بعض الباحثين[١] هذه التوصيات بأنّها جاءت بسبب ضعف المسلمين مقابل قوة المشركين، وهذا بالطبع تفسير لا يمكن إنكاره، ومع ذلك، فإنّ هذه التوصيات تخبرنا أكثر من ذلك، وقراءة هذه التوصيات في هذا السياق فحسب -إن جاز التعبير- حبسٌ لها في التاريخ وكذا معالجتها من زاوية واحدة. وقبل الانتقال إلى التوصيات، تجدر الإشارة إلى أنّ هذه التوصيات جوهر علاقات المسلمين وأساسها بالأديان الأخرى المنحرفة.

**أولاً: الدعوة إلى الله:** أرسل النبي ﷺ إلى مجتمعه بشيرًا ونذيرًا، وكانت من مهماته الأولى التي تحدّد علاقاته مع المشركين هي التبليغ، قال الله تعالى: **﴿فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾** [الفرقان: ٥٢]، والمراد من الجهاد بذل الجهود في أداء التبليغ[٢]، وفي سبيل التبليغ وتحقيقه طُلِبَ من النبي ﷺ الصبر على جهالة المشركين وسوء أخلاقهم، وترك الانتقام، وترك الالتفات إليهم[٣] قال الله تعالى: **﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾** [فصلت: ٣٤].

وأُمرَ المؤمنين "بأنْ يدعو المشركين من غير تعنّتٍ إلى طرح الشرك والوثنية، والعودة على الوحدة في الألوهية، أي أنه أمرهم أنْ يكونوا إيجابيين معهم في شأن الدعوة[٤]" قال الله تعالى: **﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾** [النحل: ١٢٥].

**ثانياً: الصبر:** إنّ الصبر من أهمّ التوصيات التي تحدّد علاقات المسلمين مع المشركين، وهو يدلّ على "حَبس النفس عن الجزع[٥]" و"ترك الشكوى من ألم البلوى لغير الله لا إلى الله"[٦] وحبس الجوارح عن المعاصي؛ والدلالات العميقة هذه للفظ الصبر تعطي فكرة واضحة حول موقف المسلم أمام المشركين.

---

[١] على سبيل المثال ينظر: البهي، **منهج القرآن**، ص٢٠٥-٢١٠

[٢] ينظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٢٤-ص٥٧٤.

[٣] ينظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٢٧-ص٥٦٥.

[٤] البهي، **منهج القرآن**، ص٢٠٨.

[٥] الجوهري (ت. ٣٩٣هـ)، أبو نصر إسماعيل بن حماد، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧، ج٢-ص٧٠٦.

[٦] الجرجاني، علي بن محمد بن علي، **كتاب التعريفات**، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣، ص١٣١.

وقد أمر الله تعالى نبيه ﷺ بالصبر على إيذاء المشركين، فقال تعالى: **﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾** [ق: ٣٩]، كان "المشركين يستهزئون بالنبي ﷺ والمؤمنين إذا قاموا إلى الصلاة مثل قصة إلقاء عقبة بن أبي معيط سلا الجزور على ظهر النبي ﷺ حين سجد في المسجد الحرام في حِجر الكعبة، وأقبل عقبة بن أبي معيط فوضع ثوبه في عنقه فخنقه خنقًا شديدًا، فأقبل أبو بكر حتّى أخذ بمنكبه ودفعه عن النبي ﷺ [١]" ولعلّ هذا التصرّف من أسوأ التصرّفات ضد المسلمين داخل المجتمع، وعلى الرّغم من ذلك، أمر القرآن الكريم النبي ﷺ والمسلمين معه بالصبر.

ومن الآيات التي "تدعو الرسول ﷺ إلى مزيد من الصبر وتذكّره أنّ الصبر في مواجهة أعداء الدعوة هو السبيل الذي سلكه أولو العزم من الرسل، وهو سبيل النجاح للدعوة[٢]" قال تعالى: **﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾** [الأحقاف: ٣٥]، فتأتي الأمثلة على صبر بعض الأنبياء، مثل داود عليه السلام في قوله تعالى: **﴿اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾** [ص: ١٧]، وموسى عليه السلام في قوله تعالى: **﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرض لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾** [الأعراف: ١٢٨].

**ثالثاً: الإعراض عن المشركين:** لم يُطلبْ من المؤمنين الصبر فحسب، بل طلب منهم الصبر مع الابتعاد عن الأعداء، والإعراض عنهم، وعدم طاعتهم، قال الله تعالى: **﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾** [الذاريات: ٥٤، ٥٥]، وقال تعالى أيضاً: **﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ﴾** [القمر: ٤ - ٦]. ومن الجدير بالذكر أنّ المقصود من المشركين في هذه الآيات فريق خاص منهم، الذين كذبوا بالدّين، ولا ينفع معهم النذير، "ولو أمر الرسول ﷺ بالإعراض عن جميع المكذّبين لتعطّلت الدعوة والتبليغ[٣]". فالمراد من المشركين في هذه الآيات المشركين العنيدين الذين لا يتوقع إيمانهم بسبب عنادهم، كما يتضح في قوله تعالى: **﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ**

---

[١] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٢٦-ص٣٢٦.

[٢] البهي، **منهج القرآن**، ص٢٠٦.

[٣] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٧-ص٢٨٨.

**لَا يُؤْمِنُونَ إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾** [يس: ٩ - ١١].

وفي الآية الأخرى قال الله تعالى: **﴿فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾** [النجم: ٢٩]، "والإعراض والتولّي كلاهما مستعملٌ هنا في مجازه، فأمّا الإعراض فهو مستعار لترك المجادَلة أو لترك الاهتمام بسلامتهم من العذاب وغضب الله، وأمّا التولّي فهو مستعار لعدم الاستماع أو لعدم الامتثال[١]".

وقد جاء النهي عن طاعة المشركين، والاستجابة لعروضهم ومطالبهم، في قول الله تعالى: **﴿فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾** [القلم: ٨ - ١٥]، فنُهِيَ المؤمنون عن طاعة المشركين الذين يتصفون بهذه الأوصاف مثل الإكثار من الأيْمانِ، والكذب، ومنع الخير، وغير ذلك من الصفات غير الأخلاقية، وقد يقال إنّ هذه الصفات تتضمن بعض التلميحات حول سبب إعراض المؤمنين عن المشركين؛ "لأنّ أصحابها ليسوا أهلاً لأنْ يطاعوا؛ إذ لا ثقة بهم، ولا يأمرون إلا بسوء[٢]".

وقد أمر الله تعالى بالإعراض عن مجالس المشركين التي يدور فيها الخوض في آيات الله، والكلام الباطل، والاستهزاء بسبب كفرهم الشديد، قال تعالى: **﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾** [الأنعام: ٦٨]، وطلب من النبي ﷺ والمسلمين الإعراض عن مجادلة مثل هؤلاء المشركين، وقطع الجدال معهم، وترك مجالسهم[٣]، وأمر بترك الذين يُلحدون في أسماء الله الحسنى، قال الله تعالى: **﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾** [الأعراف: ١٨٠].

**رابعاً: العفو والصفح:** من أسباب إعراض المسلمين عن المشركين هو أنّ الجزاء على أعمالهم مُوكَلٌ إلى الله تعالى، لذلك طُلبَ من المؤمنين العفو والصفح عن أعدائهم من المشركين، قال الله تعالى: **﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾** [الأعراف: ١٩٩]، وقال تعالى أيضا: **﴿فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾** [الحجر: ٨٥]، وقال تعالى أيضا: **﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ**

---

[١] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٢٧-ص١١٦.

[٢] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٢٩-ص٧١.

[٣] ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٧-ص٢٨٨/٢٨٩.

**وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾** [الزخرف: ٨٩]، وقال تعالى أيضا: **﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرض هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾** [الفرقان: ٦٣].

"ومع طلب الصفح والصبر في العلاقات مع المشركين، أمر المؤمنين بأمر آخر، وهو الحيطة منهم، وعدم اتخاذهم أصدقاء، أو أولياء[١]" قال الله تعالى: **﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾** [الأعراف: ٣].

ونَهى المسلمين عن سبّ من يستحقّ السبَّ؛ مخافة سبِّ من لا يستحق السبَّ في علاقاتهم مع المشركين[٢] قال الله تعالى: **﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾** [الأنعام: ١٠٨].

يتضح من كل ما تقدم أنّ السُّور المكّيّة وجّهت المسلمين لترى كيفية التعامل مع المشركين؛ سواء من حيث التبليغ، أو الصبر عليهم، أو الإعراض عنهم، وذلك بحسب ما يقتضيه الحال والزمان.

**المطلب الثالث: علاقة الإنسان مع البيئة:**

والعلاقة الأخيرة التي يجدر ذكره هي علاقة الإنسان مع البيئة، فقد تضمّنت السُّور المكّيّة آيات حدّدت العلاقة بين الإنسان والبيئة، وهي ليست مجرد علاقة استمتاع أو منفعة باعتبارها من نعم الله تعالى، وإنّما هي أعمق من ذلك، وتوضيح هذه العلاقة على النحو الآتي:

**أولاً: علاقة تأمليّة في قدرة الله تعالى:**

علاقة الإنسان بالبيئة علاقة تأمل وتفكر فيما خلق الله تعالى؛ ففي كلّ مخلوق، وفي نظام هذا الكون دلائل على قدرة الله تعالى، وعلى استحقاقه للعبادة دون غيره من المخلوقات، ومن الآيات التي تلفتُ الأنظار إلى التأمل والتفكر في مخلوقات الله تعالى قوله تبارك اسمه: **﴿إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرض لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾** [يونس: ٦]؛ ومن الآيات التي تحث على هذه العلاقة التأملية قوله تعالى: **﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرض قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾** [الإسراء: ٩٩] فالآية تحثُّ على

---

[١] البهي، **منهج القرآن**، ص٢٠٨.

[٢] ينظر: الماتريدي، **تأويلات أهل السنة**، ج٤-ص٢٠٧.

التدبر في خلق السماوات والأرض؛ ليتوصّل بذلك إلى قدرة الله تعالى على إعادة الإنسان بعد فنائه.

تُوجّهُ كثيرٌ من الآيات المكّيّة نظر الإنسان إلى الكون؛ ليرى فيه عجائب قدرة الله تعالى، فيستنبطَ من انتظام أمر الكون كلّه في تناسق وتدبير وإحكام - وحدة الخالق، وعظمته، وعنايته، ومن هذه الآيات قوله تعالى الذي يربط فيه بين إحياء الأرض بالمطر والبعث بعد الموت، قال الله تعالى: **﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾** [الأعراف: ٥٧].

وقد قرّرَت السُّور المكّيّة حقائق كثيرةً تتعلق بالكون، أهمها أنّه حادث مخلوق، وكل ما فيه من الكائنات له بداية ونهاية، وليس ثمَّة موجود أزلي أبدي إلا الله، قال الله تعالى: **﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾** [الأنبياء: ١٠٤].

**ثانياً: علاقة تفكريّة في نعم الله تعالى:**

تُذكِّرُ كثير من الآيات القرآنية بنعم الله تعالى على الناس، ومن مقاصد هذا التذكير إرشاد الناس إلى شكر الله تعالى وتسبيحه وتحميده، قال تعالى: **﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾** [الإسراء: ٧٠]، فتكريم الله للإنسان، وحملِه في البَرّ والبحر على ما تيسّر من وسائل، ورزقه من الطيّبات، وتفضيله على كثير من المخلوقات – كلّها نعمٌ من الله تعالى، توجب على هذا الإنسان أنْ يقابلها بحمد الله وشكره، وأن يستعملها في طاعته.

ومن الآيات التي تلفت الأنظار إلى التفكّر في نعم الله تعالى قوله تبارك اسمه: **﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾** [فاطر: ١٢]، وقوله تعالى: **﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾** [النحل: ١٤].

**ثالثاً: علاقة تعليمية:**

يشير في قوله تعالى: **﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا﴾**

[الإسراء: ١٢] إلى أنّ من حِكمِ تعاقب الليل والنهار أنْ يتعلّم الناس حساب الأيام والسنين والتواريخ، وفي قوله تعالى أيضاً: **﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾** [يونس: ٥].

وممّا تقدم يتضح أنّ علاقة الإنسان بالبيئة ليستْ علاقة استعماريّة، بل هي علاقة تأمليّة في خلق الله تعالى، وتفكّريّة في نعمه، وتعليمية ترشد الإنسان إلى ضرورة تنظيم الحياة العامة والخاصة.

# الفصل الثالث: أصول المجتمع المسلم في السُّوَر المكّيّة

المبحث الأول: الأصول العقديّة في السُّوَر المكّيّة

المبحث الثاني: الأصول العبادية في السُّوَر المكّيّة

المبحث الثالث: الأصول الأخلاقية في السُّوَر المكّيّة

المبحث الرابع: الأصول الاجتماعية في السُّوَر المكّيّة

# الفصل الثالث: أصول المجتمع المسلم في السُّوَر المكّيّة

إنّ لكلّ مجتمعٍ أصوله الخاصّة به التي تشكّله وتميّزه عن غيره من المجتمعات، وأصول المجتمع المسلم هي أصول قرآنية إلهية تمثل صميم الإسلام، وقد تتعدّد أصول المجتمع؛ فمنها ما يتعلق بالعقيدة التي يبنى عليها المجتمع، ومنها ما يتعلق بسلوكيات أفراد المجتمع، ومنها ما يتعلق بكيان المجتمع نفسه. وتأتي أهميّة أصول المجتمع من كونها تمثّل المعيار الذي يحدّد سلوك الفرد والمجتمع ويعصمه من الوقوع في الانحراف والضياع وفقدان الهوية.

وقد وجّهت السُّوَر المكّيّة الإنسان نحو الخير، وبيّنت له ما يجب أنْ يكون عليه من الالتزام لأوامر الله تعالى واجتناب نواهيه، والإنسان المثالي يبدأ إنشاؤه على أصلين: الإيمان، والأخلاق كما أشار إليه في قوله تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ﴾** [فاطر: ٢٩]، وقوله تعالى: **﴿طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾** [النمل: ١ - ٣]، وقوله تعالى: **﴿وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾** [الأعراف: ١٥٦]. كما أنّهما أساسان حدّدهما القرآن الكريم بشكل يكفل بناء مجتمع يخلو من الانحرافات، وتندرج تحت هذين الأصلين القيم الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية لاستكمال إنشاء الفرد، وإنشاء مجتمعه على حدٍّ سواء.

## المبحث الأول: الأصول العقديّة في السُّوَر المكّيّة

إنّ العقيدة هي الأساس الفكريّ التصوّري عن الكون والإنسان والحياة، وتصدر عنها الأنظمة التي تحكم تصرفات أفراده، وهي ما يقوم عليه بناء المجتمع[١] فلا يمكن الحديث عن مجتمع على وجه الأرض بدون عقيدة وثيقة الصلة ببنائه الاجتماعي[٢].

وعقيدة الفرد "هي أساس سلوكه الخلقي وسعيه ومنهاجه في الحياة، فهي التي تحدّد له الهدف من وجوده، وحسب الهدف والغاية تنتظم الخطوات وتتعيّن الأساليب، وكذلك الحال بالنسبة للمجتمع البشري حيث يؤمن معظم أفراده بأيديولوجية مشتركة هي الأساس الفكري أو الفلسفي للنظم الاجتماعية المختلفة[٣]."

ومن هنا كانت العقيدة حجر الأساس في إصلاح حال الأفراد، وإنشائهم، وهي أول طريقة لبناء المجتمع، وكان فهم التوحيد فهمًا دقيقًا أوّل خطوات إنشاء الفرد المسلم والمجتمع المسلم على حدٍ سواء.

وقد ظهر اهتمام القرآن الكريم بقضية الإيمان الصحيح منذ بداية الدّعوة؛ وقد ركّزت السُّوَر المكّيّة على قضية الإيمان، بل إنها المحور الذي تدور حوله السُّوَر المكّيّة، والقضية المبثوثة في كلِّ جُملها وآياتها، فهي ليستْ موضوعًا مستقلًا متفردًا معزولًا، وإنّما يتخلّل الإيمان كلّ جزئية في السُّوَر من أولها: **﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾** [العلق: ١، ٢] وإلى ختامها.

وحين تُبنى القيم الفكريّة للمجتمع المسلم على أساس العقيدة القرآنية في السُّوَر المكّيّة، فإنه من الطبيعي أنْ يكون بناء الهوية الخاصّة لأفراد هذا المجتمع وفقاً لهذه الهويّة أيضاً، ليصبح إيمان الأفراد المسلمين وعملهم الصالح لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ خالصاً لوجهه، قال الله تعالى: **﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾** [الأنعام: ١٦٢]، ولتكون استقامتهم على الدين الإلهي فحسب، قال الله تعالى: **﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾** [الروم: ٣٠].

---

[١] الخياط، **المجتمع المتكافل في الإسلام**، ص١١.

[٢] انظر إلى: دسوقي، **مقومات المجتمع المسلم**، ص٢٠٧.

[٣] دسوقي، **مقومات المجتمع المسلم**، ص٢٠٧.

والمتأمل في السُّوَر المكّيّة يجد الحثّ على تطهير النفس من العقائد الفاسدة، وحفظها منها، وتقوية إيمانها بالأذكار والأعمال الصالحة، وثباتها في الطريق المستقيم. وفيما يلي تفصيل لما ورد في السُّوَر المكّيّة من توجيه وإرشاد للفرد والمجتمع:

**أولاً: تطهير النفس**: إنّ الخطوة الأولى لتحقيق الإيمان هي "إزالة العقائد الفاسدة عن القلب" والنفس،[١] ويعبّر عن ذلك بتزكية النفس والإصلاح في السُّوَر المكّيّة؛

أمّا التزكية فتأتي في اللغة بمعنى الإصلاح، والتطهير، والتنمية، وتتضمن ببناء السلوك الفاضل، وتنميته وإحداث تغيير في السلوك غير المستقيم لجعله سلوكًا مستقيمًا[٢]، وهي بذل استطاعة الإنسان وجهده في تطهير نفسه، وأنْ يسعى دائمًا إلى زيادة الخير؛ وتتحقق بالإيمان والأعمال الصالحة التي جاء بها الإسلام،[٣] "وبِزَكَاءِ النّفس وطهارتها يصير الإنسان بحيث يستحقّ في الدّنيا الأوصاف المحمودة، وفي الآخرة الأجر والمثوبة"[٤]، ومن الآيات التي توجه إلى تزكية النفس قوله تعالى: **﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾** [الأعلى: ١٤]، وقوله تعالى: **﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾** [الشمس: ٩]، وقوله تعالى: **﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾** [الليل: ١٧ - ١٨].

أمّا الإصلاح فهو إزالة ما في النفس من الفساد، ومن الآيات التي تأمر بإصلاح النفس والأعمال قوله تعالى: **﴿يَابَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾** [الأعراف: ٣٥]، وقوله تعالى: **﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾** [الأعراف: ١٧٠].

ومن الجدير بالذكر "أنّ التزكية ليستْ عمليّة باطنيّة منعزلة، بل إنّها عمليّة تفاعل في باطن النفس ومفاعلة في داخل المجتمع؛ ومن خلال المفاعلة مع الآخرين يكافح الفرد المؤمن ويأمل أنْ يطهّر نفسه، ويتخلّص من أمراضه الشخصيّة التي تثقل قلبه، ويغلق في الوقت ذاته مسالك الشر والفساد، ويصد الآخرين عنها"[٥].

---

[١] الرازي، مفاتيح الغيب، ج٣١-ص١٣٥.

[٢] ينظر: السمالوطي (١٩٩٨)، نبيل، **بناء المجتمع الإسلامي ونظمه دراسة في علم الاجتماع الإسلامي**، ط٣، جدة: دار الشروق، ص١٢٤.

[٣] ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٣٠-ص٢٨٧-٢٨٨.

[٤] الأصفهانى (ت. ٥٠٢هـ)، أبو القاسم الحسين بن محمد، **المفردات في غريب القرآن**، ط١، دار القلم، دمشق، ١٤١٢، ص٣٨١.

[٥] التيجاني، الإصلاح في القرآن، ص٤١.

**ثانياً: حفظ النفس:** ويكون ذلك بالذكر، والتقوى؛

أمّا الذكر فهو "استحضار معرفة الله تعالى بذاته وصفاته وأسمائه"[١]، ويتحقق ذلك بتسبيح الله تعالى، واتباع منهجه الهادي[٢] كما أمر في قوله تعالى: **﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾** [الأعلى: ١٥].

أمّا التقوى فهي جعل النفس في وقاية ممّا يُخاف، لذا يسمّى الخوف تارة تقوى، وفي تعارف الشرع حفظ النفس عمّا يُؤثِم، وذلك بترك المحظور، ويتمّ ذلك بترك بعض المباحات،[٣] قال الله تعالى: **﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى﴾** [الليل: ٥]، وقال تعالى: **﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾** [الليل:١٧-٢١]، وقال تعالى: **﴿يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾** [الأعراف: ٣٥]، وقال تعالى: **﴿وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾** [الأعراف: ١٥٦].

**ثالثاً: الاشتغال بالعبادات:**[٤] يكون ذلك بأداء العبادات التي جاء بها الإسلام على الوجه المحدد لها؛ ومن أهمها الصلاة التي فيها "قرّة عين المسلم، وراحتها، وقضاء حاجته، وفيها قُربة من ربه، وبعده عن الفحشاء والمنكر[٥]"، وقد أمر بها في قوله تعالى: **﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾** [الأعلى: ١٥]، وفي قوله تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ﴾** [فاطر: ٢٩].

ويُطلَبُ من الإنسان أنْ يعبد الله مخلصاً له الدين، والإخلاص: هو إفراد الله تعالى بالإلهية، والعبادة براءةً من الشرك والتشبيه والتثليث، قال الله تعالى: **﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾** [الزمر: ٢]، وقال تعالى: **﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ**

---

(١) الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٣١-ص١٣٥.

(٢) ينظر: الدقور، **القرآن ومعادلات صناعة الإنسان**، ص٤٧.

(٣) ينظر: الأصفهاني، **المفردات**، ص٨٨١.

(٤) ينظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٣١-ص١٣٥.

(٥) الدقور، **القرآن ومعادلات صناعة الإنسان**، ص٤٧.

**يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾** [الزمر: ٣]، وقال تعالى: **﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾** [الزمر: ١١].

وقد جاء حديث السُّوَر المكّيّة عن العقيدة والعبادة على النحو الآتي:

**المطلب الأول: الإيمان بالله تعالى:**

لقد أنشأتْ السُّوَر المكّيّة المجتمع المسلم، وجعلت في مركزه الفكري الإيمان بالخالق الواحد؛ فهو سبحانه وتعالى الخالق الموجد لكل الأشياء؛ الإنسانية وغير الإنسانية،[١] قال تعالى: **﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى﴾** [الأعلى: ١ - ٥]، ويتأكد في عديد من الآيات "بأنّ الله هو الرّبّ المتفرّد بالخلق والرزق والتدبير الذي ربّى جميع الخلق بالنعم، وربّى خواص خلقه-وهم الأنبياء وأتباعهم- بالعقائد الصحيحة، والأخلاق الجميلة، والعلوم النافعة، والأعمال الصالحة، وهذه هي التربية النافعة للقلوب والأرواح المثمرة لسعادة الدارين"[٢].

وحديث السُّوَر المكّيّة عن الخالق بشكل عام جاء كما يلي[٣]:

**الله خالق:** أي أنّ الله تعالى بوصفه أساس الوجود، أو واجب الوجود، وهو سبب الوجود، قال تعالى: **﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾** [الزمر: ٦٢]، وهو من أبدع الكون، وما فيه، قال تعالى: **﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾** [الأنعام: ١٠١]، وربّ الخلق والكون، قال تعالى: **﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾** [يونس: ١٠]، وبالتالي لا يخفى عليه شيء، قال تعالى: **﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾** [غافر: ١٩]، ويعرفُ الجهر والخفيّ، قال تعالى: **﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى﴾** [الأعلى: ٧]، يعلم ما توسوس به نفس الإنسان، قال تعالى: **﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾** [ق: ١٦]، لذلك كلّه كانت علاقة الله بمخلوقاته متمثّلة في كلمة من حرفين، قال تعالى: **﴿إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾**

---

[١] انظر إلى: إيزوتسو، توشيهيكو (٢٠٠٧)، **الله والإنسان في القرآن علم دلالة الرؤية القرآنية للعالم**، ط١، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ص١٢٧.

[٢] آل سعدي، **القول السديد**، ص١٧.

[٣] انظر إلى: الفوال، **التصور القرآني**، ص٦٣٢-٦٥١.

[مريم: ٣٥]، وبعلاقة (كن فيكون) تبرز قدرة الله تعالى، قال تعالى: ﴿**تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ [الملك: ١].[١]

**الله إله واحد**: إنّ الله تعالى خالق واحد، فقال تعالى: ﴿**قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ**﴾ [الرعد: ١٦]، لا إله غيره، قال تعالى: ﴿**رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا**﴾ [المزمل: ٩]، ولا شريك له، قال تعالى: ﴿**قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا**﴾ [الكهف: ٢٦]، ولا ولد له، قال تعالى: ﴿**لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ**﴾ [الإخلاص: ٣]. يفعل ما يشاء، قال تعالى: ﴿**يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ**﴾ [إبراهيم: ٢٧]، يحيي ويميت، قال تعالى: ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ**﴾ [الأعراف: ١٥٨]، ويُضحك ويُبكي، قال تعالى: ﴿**وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى**﴾ [النجم: ٤٣]، ويشفي المريض، قال تعالى: ﴿**وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ**﴾ [الشعراء: ٨٠].

ووحدانية الله تعالى تقتضي أنْ يكون وحده المعبود من دون مخلوقاته جميعًا، قال تعالى: ﴿**قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ**﴾ [الزمر: ١١]، وعبادة الله الواحد الأحد هي الغاية من خلق الإنس والجن، قال تعالى: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾ [الذاريات: ٥٦]. "وإفراد الألوهية لله تعالى ليس من باب حمد الله والإخلاص له وحده، وإنّما كذلك ضمان لصلاح الحياة البشريّة، ولانتظام مسيرة الكون، وبعدٌ بالحياة الدنيا عن الفساد، قال تعالى: ﴿**لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ**﴾ [الأنبياء: ٢٢]."[٢]

**الله مالك**: إنّ الله تعالى مالك كلّ شيء، قال تعالى: ﴿**لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى**﴾ [طه: ٦]، وهو وارث الأرض، والناس مهما تملّكوا من أرض الله تعالى، فهم مستخلفون في مال الله تعالى، فيجب أنْ ينفَقَ المال في مصارفه التي أرادها الله تعالى، قال تعالى: ﴿**وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا**﴾ [الإسراء: ٢٦ - ٢٧].

**الله حاكم**: الله تعالى صاحب السلطة المطلقة والوحيدة للتشريع، وحاكم منزّه عن الجور والميل والحيف، وأنّ كلّ ما في الكون رهن بأمره، قال تعالى: ﴿**وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ**

---

[١] انظر إلى: الفوال، **التصور القرآني**، ٦٣٢-٦٣٤.

[٢] الفوال، **التصور القرآني**، ٦٣٦.

**وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾** [الرعد: ٤١]، ولا يُسأل عمّا يفعل، قال تعالى: **﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾** [الأنبياء: ٢٣]، يظهر حكم الله تعالى في الدنيا، فإنْ لم يظهر في الدنيا فلا بدّ من ظهورها في الآخرة[١]، قال تعالى: **﴿وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾** [الأعراف: ٨٧]، وحاكمية الله تعالى هذه تتمثل في الالتزام بشريعته[٢]، قال تعالى: **﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾** [ص: ٢٦][٣].

**الله عادل**: إنّ الله تعالى عادل، وعدله مطلق، فهو سبحانه وتعالى لا يظلم مثقال ذرة، قال تعالى: **﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾** [يونس: ٤٤]، وأمر سبحانه وتعالى بالعدل، فقال تعالى: **﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾** [الشورى: ١٥].

**الله رزاق**: إنّ الله تعالى رزاق، قال تعالى: **﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾** [الذاريات: ٥٨]، فهو سبحانه يرزق من يشاء، ويمسك الرزق عمّن يشاء، قال تعالى: **﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى﴾** [النجم: ٤٨]، ورزق الله تعالى الممتد والمتنوّع يوجب الشكر، قال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾** [فاطر: ٣].

هذه بعض التصوّرات حول خالق الإنسان التي قدّمتها السُّوَر المكّيّة، وعلى أفراد المجتمع أنْ تتشكّل حياتهم الفكرية والعمليّة على هذه الأساسيّات، وهي أنّ الله تعالى هو إله واحد، وربّ واحد خلق الإنسان، ورزقه، وهو يميته، ويحييه بعد موته، قال تعالى: **﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾** [الروم: ٤٠].

"مفهوم الله هذا يمثل رؤية كونيّة شاملة، سيكون لها انعكاساتها في تأسيس المنظومات الأخلاقية والاجتماعية أيضًا، وبقدر ما يبدو مفهوم الله واضحًا وبسيطًا في الإسلام، بقدر ما يخلّف تأثيراتٍ عميقةً في نفوس معتنقيه، غير أنّ المفهوم ليس فقط وصفًا للذّات الإلهية العليّة -الله- وإنّما هو ما يقتضيه التوحيد، وإرجاع كلّ شيء إلى علّة واحدة أولى منها أنبثق الوجود،

---

[١] انظر إلى: الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج١٤-ص٣١٥.

[٢] انظر إلى: **مفاتيح الغيب**، ج٢٦-ص٣٨٦.

[٣] انظر إلى: الفوال، **التصور القرآني**، ص٦٣٩-٦٤٠.

إنّه ليس مجرد نفي للشريك أو الولد أو المثيل، بل هو دعوة لجعل الواحد هو العامل المحرّك في حياة الفرد والمجتمع"[1].

**المطلب الثاني: الإيمان بالكتب الإلهية**

وهذا جزء من أجزاء العقيدة الإسلامية، والإيمان بها بوصفها مصدراً رئيساً لإنشاء الفرد والمجتمع، وهو أحد القضايا التي تناولتها آيات السُّوَر المكّيّة، فقد جاء فيها الحديث عن القرآن الكريم، والكتب الأخرى، وكونها هداية لكافة الناس، وعلى سبيل المثال: تتحدّث عن الغاية التي أنزلت من أجلها الكتب على الأنبياء قال تعالى: **﴿وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾** [الإسراء: ٢]، يتضح هنا التركيز على مبدأ الهداية. ويسمّى القرآن الكريم نوراً، والنور من لوازمه الهداية إلى الطريق المستقيم، قال تعالى: **﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾** [الأعراف: ١٥٧].

وعند تناول الآيات التي تتحدّث عن الكتب السماويّة من ناحية إنشائها المجتمع المسلم، يُكتَشَفُ أنّها تركز على أمرين:

**الأول:** "أنّ مقتضى الإيمان أنْ لا يبتغى غير الله حَكَمًا، قال تعالى: **﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ﴾** [الرعد: ١]، وذلك في صيغة حثٍّ وأمرٍ للنبي ﷺ بالعمل على تحكيم الكتاب[2] قال تعالى: **﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾** [الأنعام: ١١٤]. كما يأمر بالعمل بما في الكتاب، قال تعالى: **﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾** [الأنعام: ١٥٥]، وبالرجوع إليه في حالة اختلاف الناس خاصة في المباحث الفكرية، قال تعالى: **﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾** [النحل: ٦٤].

---

[1] الحاج، **الخطاب السياسي**، ص١٤٤.

[2] الحاج، **الخطاب السياسي**، ص١٩٩.

**الثاني**: إنّ على المؤمنين أن يتبعوا ما في الكتاب؛ لأنّه هداية، ورحمة، وشفاء لكل المشاكل، بما فيها المشاكل الاجتماعية، والأخلاقية كما أشارت إليه الآيات القرآنية، مثل قوله تعالى: **﴿تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾** [النمل: ١، ٢]، وقوله تعالى: **﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾** [الإسراء: ٩]، وقوله تعالى: **﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾** [الإسراء: ٨٢].

**المطلب الثالث: الإيمان بالرسل:**

ورد هذا الرّكن -وهو من أركان الإيمان- في الآيات المكّيّة، مع بيان أهمية الإيمان بالرسل، فمنه قوله في رسالة النبي صلى الله عليه وسلم: **﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾** [فاطر: ٢٤]، وقوله تعالى في رسالة الأنبياء كلّهم: **﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾** [غافر: ٧٨].

"وإذا كان النبي ﷺ الذي أوكلت إليه مهمّة وضع الرسالة الخاتمة في مجرى التاريخ، لم يُنسب إليه الملك، ولا هو حتّى صرّح بزعامة سياسية، فقد فعل ذلك لأنّ دوره كان فوق الملك وفوق السياسة"[١]، إلّا أنّه في سياق إعادة بناء مفهوم الجماعة وتنظيمه مارس دور الحاكم والمؤسس.[٢]

وفي هذا المقام وجّه القرآن الكريم النبيَّ صلى الله عليه وسلم بوصفه مؤسّساً للمجتمع ببعض التوصيات والأوامر والنواهي، وتكرر هذا في غير ما آية بأنّ وظيفة التبليغ ليست سهلة؛ لأنّها تتضمن شيئا من التغيير الفردي والاجتماعي، فعلى الرسول ﷺ بوصفه مؤسّساً للمجتمع- المصابرة، وعدم الاستعجال[٣]، قال الله تعالى: **﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾** [القلم: ٤٨]، وما يعين على الصبر التسبيح، والعبادة، قال الله تعالى: **﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾** [ق: ٣٩]، والاستمرار على الهدي، قال الله تعالى: **﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ**

---

(١) الحاج، **الخطاب السياسي**، ص١٩٥.

٢ ينظر: المصدر نفسه، ص١٩٥.

(٣) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٢٩-ص١٠٤.

**بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾** [ق: ٤٥]، وقال الله تعالى: **﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ﴾** [الشرح: ٧]، بذل الجهود للجميع دون الحكم على نتائج مواقفهم وأعمالهم، قال الله تعالى: **﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى﴾** [عبس: ١ - ٤]، والمعاملة باللّين والتواضع مع المؤمنين[١]، قال الله تعالى: **﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾** [الشعراء: ٢١٥].

وهكذا "كان القرآن هو محور الحركة الاجتماعية، وكان النبي ﷺ هو الرّمز البشري الذي يحمل مِشعل الدعوة، ويجسّد قيم الإسلام بخُلُقه وسلوكه، وكان الوحي هو أداة التواصل بين السماء والأرض، وهو أداة انتقال الرسالة من مصدرها الإلهي إلى قلب النبي ﷺ[٢]".

**المطلب الرابع: الإيمان باليوم الآخر:**

أمر القرآن الكريم الإيمان باليوم الآخر في غير آية من آياته، واستعمل في ذلك أساليب متعددة، ومن الآيات المكّيّة التي تتحدث عن أهمية الإيمان باليوم الآخر قوله تعالى: **﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾** [الأنعام: ٩٢]، فقد أشارت الآية بشكل صريح إلى أنّ الإيمان باليوم الآخر يحمل الفرد على الإيمان بالنبوة، وعلى المحافظة على أهمّ العبادات: وهي الصلاة؛ وقد ذكر الرازي في تفسير هذه الآية أقوال العلماء في بيان كون الإيمان باليوم الآخر سبباً للإيمان بالرسول ﷺ فقال ما نصه: "والعلماء ذكروا في تقرير هذه السببيّة وجوهًا: **الأول:** أنّ الذي يؤمن بالآخرة هو الذي يؤمن بالوعد والوعيد والثواب والعقاب، ومن كان كذلك فإنّه يعظّم رغبته في تحصيل الثواب، ورهبته عن حلول العقاب، ويبالغ في النظر والتأمّل في دلائل التوحيد والنبوة، فيصل إلى العلم والإيمان. **والثاني:** أنّ دين محمد عليه الصلاة والسلام مبنيٌّ على الإيمان بالبعث والقيامة، وليس لأحد من الأنبياء مبالغة في تقرير هذه القاعدة مثل ما في شريعة محمد عليه الصلاة والسلام فلهذا السبب كان الإيمان بنبوّة محمد عليه الصلاة والسلام وبصحة الآخرة أمرين متلازمين[٣]، و**الثالث:** يحتمل أنْ يكون المراد من هذا الكلام التنبيه على إخراج أهل مكة من قبول هذا الدّين، لأنّ الحامل على تحمل مشقة النظر والاستدلال، وترك رئاسة الدنيا، وترك الحقد والحسد ليس إلا الرغبة في الثواب،

---

[١] انظر إلى: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١٩-ص٢٠٣.

[٢] النبهان، المصدر نفسه، ص٩١.

[٣] لا بد من الإشارة هنا إلى أن كل نبي كان يقرر الإيمان باليوم الآخر، إلا قد يكون مقصود الرازي الإشارة إلى مبالغة رسالة النبي ﷺ في تقرير هذا الركن.

والرهبة عن العقاب، وكفار مكة لمّا لم يعتقدوا في البعث والقيامة، امتنع منهم ترك الحسد وترك الرياسة، فلا جَرمَ يبعدُ قبولهم لهذا الدين واعترافهم بنبوة محمد عليه الصلاة والسلام"[1] وهذه الأقوال مهمّة للغاية من حيث الكشف عن أهمية الإيمان باليوم الآخر.

والإيمان بالآخرة يصحح وجهة نظر المسلم إلى الدنيا، وهذه النقطة نقطة البداية لمشروع الدين في حياة الإنسان، والسور المكّيّة تدقّ أجراس الخطر للبشرية الغافلة عن المعنى الأكبر للحياة: إنّها ليست حياة واحدة، بل هناك حياة آخرة لا نهاية لها، وهي خير وأبقى من حياة الدنيا![2] قال تعالى: **﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾** [الأعلى: ١٦، ١٧]" وقال تعالى: **﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى﴾** [الضحى: ٤]، وقال تعالى: **﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾** [القصص: ٦٠].

وحديث السُّوَر المكّيّة عن المشركين يرتكز على حبهم الحياة الدنيا، ورضاهم واطمئنانهم إليها، ويفهم من هذا أنّ حبّ الدنيا من أوصاف غير المؤمنين، قال تعالى: **﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ﴾** [القيامة: ٢٠، ٢١]، وقال تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾** [يونس: ٧ - ٨].

وعلى عكس ذلك، تُخبر الآيات عن شكر المؤمنين وحمدهم ربَّهم في الآخرة على أن أذهب عنهم حزن الدنيا، قال تعالى: **﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾** [فاطر: ٣٤، ٣٥]، ففي كلام أهل الجنة إشارة توضح وجهة نظر المؤمنين للدّنيا: وهي أنّها دار الحزن والصبر والإعياء، والمشقة.

وتحذّر الآيات من الإعجاب بما يتنعم به المشركين من أموال وبنين مع كفرهم بالله قال تعالى: **﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾** [طه: ١٣١]، وتُذكِّر بأنّ هذا زائل، وأن هذه الدنيا كلها زائلة، قال تعالى: **﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾** [الزمر: ٣٠]، وتنذر الناس من الاغترار بمظاهر الحياة، قال

---

[1] الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج١٣-ص٦٦.

[2] ينظر: سلطان، **النسق القرآني**، ص٢٦.

تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ**﴾ [فاطر: ٥].

ولكنّ التحذير من الدنيا لا يعني ترك الدنيا بالكليّة، بل المقصود اتخاذها طريقاً للآخرة، قال الله تعالى: ﴿**وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ**﴾ [القصص: ٧٧]، فبيّنت الآية أنّ ما ينبغي أنْ يفعله المؤمن في الدنيا هو: "ابتغاؤه فِيما آتاه اللَّهُ من الغنى والثروة الدَّارَ الْآخِرَةَ، بأنْ يفعل فيها أفعال الخير من أصناف الواجب والمندوب إليه، ويجعله زاده إلى الآخرة، وعدم تركه نَصِيبَه، وهو أن يأخذ منه ما يكفيه ويُصلِحه، وَأنْ يحْسِنْ إلى عباد الله كَما أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْه، أو أن يحسن بشكره وطاعته لله كما أحسن إليه[١]".

وعليه فالمؤمن هو الذي يطلب الفوز في الدارين، وهو الذي يريد أحسن ما في الدنيا وأفضل ما في الآخرة، ولكنّ إرادة الفوز في الدنيا ليست هدفاً مطلقاً للمؤمن، بل هي وسيلة للحصول على أعظم الأجر في الآخرة[٢].

ولا شكّ بأنّ الإيمان باليوم الآخر ينظّم سلوك الفرد، وله آثار إيجابية تعود على المجتمع، ولذا ربطت كثير من السُّوَر المكّيّة بين الإيمان باليوم الآخر أو الغفلة عنه والفساد الاجتماعي، والأخلاقي، والاقتصادي في الأرض، ومن هذه السُّوَر سورة المدثر، فهي تتحدّث عن بعض أهوال يوم القيامة، وما يلقاه الكافرون عمومًا، وتحدّثت عن الوليد بن المغيرة الذي لديه المال والقوة خصوصاً ما يلقاه من العذاب الأليم في سقر[٣]، قال الله تعالى: ﴿**فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا وَبَنِينَ شُهُودًا وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ نَظَرَ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ**﴾ [المدثر: ٨ - ٣١].

---

[١] الزمخشري، **الكشاف**، ج٣-ص٤٣١.

[٢] ينظر: سلطان، جاسم (٢٠١٥)، **أنا والقرآن محاولة فهم**، ط١، بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ص٢١٥.

[٣] انظر إلى: الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٣٠-ص٧٠٤/٧٠٥.

ثم تنتقل لتذكر سبب دخول الكافرين إلى جهنم، وهو فسادهم الاعتقادي، والاجتماعي، والأخلاقي، قال الله تعالى: **﴿قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ﴾** [المدثر: ٤٣ - ٤٧]، فبيّنت الآية أنّ سبب دخول الكافرين إلى جهنم هو عدم كونهم من أهل الصلاة (المسلمين) ومنع الضعفاء حقهم من المال، والخوض في الباطل، والتكذيب بيوم الدين، هكذا ربطت الآية بين التكذيب بيوم الدِّين وترك الصلاة وترك الإطعام، شرح الماتريدي سبب ذلك بقوله: "إنّ الذي يقرّ بالصلاة والإطعام وإيتاء الزكاة هو الذي يقرّ بيوم الدِّين؛ لأنّ المرء إنّما يرغب في فعل هذه الأشياء؛ لِما يطمع من المنافع في العواقب، ويتّقي بتركها مخافة التبعة في العواقب؛ فإذا لم يقرّ بيوم الدِّين، لم يرج المنافع، ولا خاف المضارّ؛ فيحمله ذلك على ترك الإطعام وتضييع الصلاة، فلذلك جمع في الذكر بين التكذيب بيوم الدِّين وترك الصلاة، وإيتاء الزكاة وترك الإطعام[1]".

والإيمان باليوم الآخر يمنح المسلم حقوقًا على الآخرين، ويرتّب عليه واجبات ومسؤوليات دينية واجتماعية واقتصادية، ومن هنا يذكر فساد الكافرين الاجتماعي والأخلاقي والاقتصادي في سياق إنذارهم بأنّ لهم عذابًا أليمًا، قال الله تعالى: **﴿كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾** [الفجر: ١٧ - ٢٢]. وجاء قوله تعالى بالسياق نفسه: **﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ﴾** [العاديات: ٨، ٩].

ويذكر في كثير من الآيات مؤشرات عملية فاسدة لمن يُنكِر الحياة الآخرة، ومنها عدم الإنفاق، وعدم رعاية المحتاجين والأيتام، والفقراء، قال الله تعالى: **﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾** [الماعون: ١ - ٧]، وقوله تعالى: **﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى﴾** [القيامة: ٢٠ - ٣٣]، وقوله تعالى: **﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ﴾** [الهمزة: ١ - ٤]، وقوله تعالى: **﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا**

---

[1] الماتريدي، **تأويلات أهل السنة**، ج١٠-ص٣٢٦.

**مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾** [يس: ٤٧، ٤٨].

إنّ "الإيمان بالآخرة يزيد المؤمن حرصاً على الأعمال الصالحات والاستزادة منها، والابتعاد عن الأعمال السيئة، فيستعدّ لهذا اليوم بما يحبّه الله تعالى[١]" قال سبحانه: **﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾** [النازعات: ٣٧ - ٤١]، وهذا الإيمان يعطي للفرد الشعور بالمسؤولية، قال الله تعالى: **﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾** [الإسراء: ١٣، ١٤]، فأخبرت الآيات أنّ "عمل الإنسان صغيرًا أو كبيرًا مسجلٌ عليه في كتاب عمله، وسيلقاه منشورًا يوم القيامة[٢]".

**المطلب الخامس: الأصول العبادية في السُّوَر المكّيّة**

إذا كانت العقيدة هي الخطوة الأولى التي تشكّل الحياة الفكريّة للمجتمع الإسلامي، فالعبادة حالة فعليّة لهذه القيم العقدية، والعقيدة والعبادة في المجتمع الإسلامي مفهومان مهمّان، لا يمكن النظر فيهما بشكل منفصل، بل يعزز كلٌّ منهما الآخر.

والعبودية ثمرة من ثمار العقيدة، فقد "شرع الله تعالى ضروبًا معينة من العبادات هي أركان العقيدة، لتنعكس آثارها من الفرد إلى المجتمع، وهي ليست غاية في ذاتها، ولكنّها وسيلة لطهارة النفس، وسلامة القلب، ونظافة الضمير، وإشراق الروح؛ لينعم بذلك كله المجتمع؛ لأنّ هذه الآثار تتحول في النهاية إليه، وبذلك يصبح المجتمع المثالي الذي يفهم رسالته في الحياة، ومكانته في الوجود[٣].

وعلى سبيل المثال: إنّ الصلاة -وهي أوضح العبادات الشخصية بالنسبة إلى أولئك الذين يؤدونها بروحها – لها وظيفتان: فهي تجعلهم روحيًا على اتصال بالمنبع الشامل لجميع الكمالات، قال الله تعالى: **﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾** [العنكبوت: ٤٥]، إيمانا به والتماسًا للعون منه، ثمّ

---

[١] نعمان، دور العقيدة الإسلامية في تعزيز الانتماء للمجتمع، ص١٤٧.

[٢] نوفل، **تفسير سورة الإسراء**، ص٢٢٣.

[٣] مكرم، عبد العال سالم، **أثر العقيدة في بناء الفرد والمجتمع**، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت – ١٩٨٨، ص٧٧.

هي تنهى عن الفحشاء والمنكر، قال تعالى: **﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾** [العنكبوت: ٤٥] و بذلك ظهر بشكل أبرز انعكاس آثارها من الفرد إلى المجتمع.[١]

وكذلك الصدقة، "فلها أثر مزدوج الفائدة؛ لأنها تطهر النفس، فتصرفها عن حرصها الزائد على الكسب، ثم هي أسمى تعبير عن التعاون الاجتماعي الذي يجعل للفقير حقًا معلومًا في أموال الغنى، فلا يذل الفقير ولا يجعل الغنى يشعر بعزّته وقوته.[٢]

ومن المعروف أنّ التشريع الإسلامي نزل متدرجًا، "وكانت الآيات القرآنية تنزل على النبي الكريم ﷺ مواكبة لمسيرة المجتمع الإسلامي، محتضنةً ذلك المجتمع الوليد، مصحّحة مسيرته، ومؤكّدة سداد طريقه، حاضّة إياه على الصبر والتضحية، راسمة له معالم الطريق، مشرّعة أحكامًا ضرورية لاستقامة أمره، ناصحةً له أنْ يتكافل ويتعاون ويتناصر في سبيل الدفاع عن عقيدته[٣]".

والله تعالى أراد من الناس إفراده وحده بالعبادة كلّها وإخلاص الدين لله وحده، من آيات السُّوَر المكّيّة التي تقرّر توحيد العبودية مباشرة قوله تعالى: **﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾** [الإسراء: ٢٣] فقد أمر الله تعالى بعبادته وحده لا شريك له، وبعد هذا الأمر جاء ذكر بعض الأحكام المتعلقة بإصلاح المجتمع[٤]، وقد جاءت هذه الآية بعد النهي عن الإشراك بالله تعالى، وتذكير الإنسان بما أعدّ الله تعالى لمن خالف أمره وأشرك معه غيره، فقال تعالى: **﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا﴾** [الإسراء: ٢٢]، فالغاية من خلق الإنسان هي عبادة الله تعالى وحده لا شريك له، وهذا "مبدأ الإقبال على العمل الصالح، وهو أوّل خطوات السعي لمريد الآخرة، أمّا الشرك فهو قاعدة اختلال التفكير وتضليل العقول[٥]".

ومن صور العبادة التي أمر الله تعالى بها المسلم في السُّوَر المكّيّة كما يأتي:

---

(١) ينظر: رضوان، **النظرية الاجتماعية**، ص١٨٧.

(٢) المصدر نفسه، ص١٨٧-١٨٨.

(٣) النبهان، محمد فاروق، ***المدخل إلى علوم القرآن الكريم***، دار عالم القرآن، حلب – ٢٠٠٥، ص٩١.

(٤) انظر إلى: ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج٥-ص٥٩، وابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١٥-ص٦٥.

(٥) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١٥-ص٦٤.

**أولا: الصلاة:**

إنّ الصلاة منهج متكامل لبناء المجتمع بالنسبة للإنسان؛ إذ "تطهره ظاهرًا وباطنًا، وتروى فيه شجرة الأخلاق بماء الوضوء، ونور الذكر، وروعة التجرد لله، فإذا ما تنشده الإنسانية من مساواة وعفة ومحبة ورحمة وقوة وأدب واقع حيّ ملموس تراه في أصوات المصلين لربهم"[1]، وتشير السنة النبويّة إلى أنّ الصلاة فُرضت ليلة الإسراء، بمعنى أنها كانت في آخر العهد المكي، وفي حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَفَرَضَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى أُمَّتِي خَمْسِينَ صَلاَةً، فَرَجَعْتُ بِذَلِكَ، حَتَّى مَرَرْتُ عَلَى مُوسَى، فَقَالَ: مَا فَرَضَ اللَّهُ لَكَ عَلَى أُمَّتِكَ؟ قُلْتُ: فَرَضَ خَمْسِينَ صَلاَةً، قَالَ: فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لاَ تُطِيقُ ذَلِكَ، فَرَاجَعْتُ، فَوَضَعَ شَطْرَهَا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، قُلْتُ: وَضَعَ شَطْرَهَا، فَقَالَ: رَاجِعْ رَبَّكَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لاَ تُطِيقُ، فَرَاجَعْتُ فَوَضَعَ شَطْرَهَا، فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لاَ تُطِيقُ ذَلِكَ، فَرَاجَعْتُهُ، فَقَالَ: هِيَ خَمْسٌ، وَهِيَ خَمْسُونَ، لاَ يُبَدَّلُ القَوْلُ لَدَيَّ، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، فَقَالَ: رَاجِعْ رَبَّكَ، فَقُلْتُ: اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَبِّي..."[2].

---

[1] عاشور، **منهج القرآن**، ص١٩١.

[2] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب كيف فرضت الصلاة في الإسراء برقم ٣٤٩. ومتن الحديث الكامل هكذا: "حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ يُونُسَ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: كَانَ أَبُو ذَرٍّ يُحَدِّثُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " فُرِجَ عَنْ سَقْفِ بَيْتِي وَأَنَا بِمَكَّةَ، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَفَرَجَ صَدْرِي، ثُمَّ غَسَلَهُ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ جَاءَ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُمْتَلِئٍ حِكْمَةً وَإِيمَانًا، فَأَفْرَغَهُ فِي صَدْرِي، ثُمَّ أَطْبَقَهُ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي، فَعَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَلَمَّا جِئْتُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، قَالَ جِبْرِيلُ: لِخَازِنِ السَّمَاءِ افْتَحْ، قَالَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ هَذَا جِبْرِيلُ، قَالَ: هَلْ مَعَكَ أَحَدٌ؟ قَالَ: نَعَمْ مَعِي مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَلَمَّا فَتَحَ عَلَوْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا، فَإِذَا رَجُلٌ قَاعِدٌ عَلَى يَمِينِهِ أَسْوِدَةٌ، وَعَلَى يَسَارِهِ أَسْوِدَةٌ، إِذَا نَظَرَ قِبَلَ يَمِينِهِ ضَحِكَ، وَإِذَا نَظَرَ قِبَلَ يَسَارِهِ بَكَى، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالِابْنِ الصَّالِحِ، قُلْتُ لِجِبْرِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا آدَمُ، وَهَذِهِ الأَسْوِدَةُ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ نَسَمُ بَنِيهِ، فَأَهْلُ اليَمِينِ مِنْهُمْ أَهْلُ الجَنَّةِ، وَالأَسْوِدَةُ الَّتِي عَنْ شِمَالِهِ أَهْلُ النَّارِ، فَإِذَا نَظَرَ عَنْ يَمِينِهِ ضَحِكَ، وَإِذَا نَظَرَ قِبَلَ شِمَالِهِ بَكَى حَتَّى عَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ، فَقَالَ لِخَازِنِهَا: افْتَحْ، فَقَالَ لَهُ خَازِنُهَا مِثْلَ مَا قَالَ الأَوَّلُ: فَفَتَحَ، - قَالَ أَنَسٌ: فَذَكَرَ أَنَّهُ [ص:٧٩] وَجَدَ فِي السَّمَوَاتِ آدَمَ، وَإِدْرِيسَ، وَمُوسَى، وَعِيسَى، وَإِبْرَاهِيمَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يُثْبِتْ كَيْفَ مَنَازِلُهُمْ غَيْرَ أَنَّهُ ذَكَرَ أَنَّهُ وَجَدَ آدَمَ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَإِبْرَاهِيمَ فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، قَالَ أَنَسٌ - فَلَمَّا مَرَّ جِبْرِيلُ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِإِدْرِيسَ قَالَ: مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالأَخِ الصَّالِحِ، فَقُلْتُ مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا إِدْرِيسُ، ثُمَّ مَرَرْتُ بِمُوسَى فَقَالَ: مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالأَخِ الصَّالِحِ، قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا مُوسَى، ثُمَّ مَرَرْتُ بِعِيسَى فَقَالَ: مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا عِيسَى، ثُمَّ مَرَرْتُ بِإِبْرَاهِيمَ، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالِابْنِ الصَّالِحِ، قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا إِبْرَاهِيمُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "، قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: فَأَخْبَرَنِي ابْنُ حَزْمٍ، أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ، وَأَبَا حَبَّةَ الأَنْصَارِيَّ، كَانَا يَقُولاَنِ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ثُمَّ عُرِجَ بِي حَتَّى ظَهَرْتُ لِمُسْتَوَى أَسْمَعُ فِيهِ صَرِيفَ الأَقْلاَمِ»، قَالَ ابْنُ حَزْمٍ، وَأَنَسُ بْنُ مَالِكٍ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " فَفَرَضَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى أُمَّتِي خَمْسِينَ صَلاَةً، فَرَجَعْتُ بِذَلِكَ، حَتَّى مَرَرْتُ عَلَى مُوسَى، فَقَالَ: مَا فَرَضَ اللَّهُ لَكَ عَلَى أُمَّتِكَ؟ قُلْتُ: فَرَضَ خَمْسِينَ صَلاَةً، قَالَ: فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لاَ تُطِيقُ ذَلِكَ، فَرَاجَعْتُ، فَوَضَعَ شَطْرَهَا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، قُلْتُ: وَضَعَ شَطْرَهَا، فَقَالَ: رَاجِعْ رَبَّكَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لاَ تُطِيقُ، فَرَاجَعْتُ فَوَضَعَ شَطْرَهَا، فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لاَ تُطِيقُ ذَلِكَ، فَرَاجَعْتُهُ، فَقَالَ: هِيَ خَمْسٌ، وَهِيَ خَمْسُونَ، لاَ يُبَدَّلُ القَوْلُ لَدَيَّ، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، فَقَالَ: رَاجِعْ رَبَّكَ، فَقُلْتُ: اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَبِّي، ثُمَّ انْطَلَقَ بِي، حَتَّى انْتَهَى بِي إِلَى سِدْرَةِ المُنْتَهَى، وَغَشِيَهَا أَلْوَانٌ لاَ أَدْرِي مَا هِيَ؟ ثُمَّ أُدْخِلْتُ الجَنَّةَ، فَإِذَا فِيهَا حَبَايِلُ اللُّؤْلُؤِ وَإِذَا تُرَابُهَا المِسْكُ".

إلّا أنّ النبي ﷺ والمسلمين معه كانوا يصلّون قبل فرض الصلاة، و"هناك كثير من الآيات المكّيّة نزلتْ قبل الإسراء، وفيها ذكر الصلاة وأهميّتها، والحثّ على إقامتها، والثناء على أهلها"[1]، يمكن تجميعها على النحو الآتي:

**الآيات التي تتضمن ذكر الصلاة وأهميتها:**

من الآيات التي يتحدّث فيها عن صلاة النبي ﷺ والمؤمنين قوله تعالى: **﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾** [الكوثر: ٢]، أراد الله تعالى فيها من النبي ﷺ أنْ يشكره بإقامة الصلاة[2]، وقوله تعالى: **﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾** [الشعراء: ٢١٨، ٢١٩] فتشير إلى أنّ النبي ﷺ والمؤمنين كانوا يَصلّون جماعة[3].

قبل فرض الصلوات الخمس تتأكد أهميّة الصلاة في أكثر من موضع، وعلى سبيل المثال، أنّ دعاء إبراهيم عليه السلام يشير إليها في قوله تعالى: **﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾** [إبراهيم: ٤٠]، ويتضمّن قوله تعالى الذي يتحدث عن سبب إسكان إبراهيم عليه سلام أهلَه في وادٍ غير ذي زرع إشارة إلى أهميّة الصلاة، قال الله تعالى: **﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾** [إبراهيم: ٣٧].

**الصلاة من خصائص المسلم:**

تتحدث بعض الآيات عن الصلاة بوصفها واحدة من خصائص المسلم، بل أهمها، قال الله تعالى: **﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى إِنَّمَا تُنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾** [فاطر: ١٨].

**الحثّ على إقامتها والثناء على أهلها:**

تحث بعض الآيات على إقامة الصلاة، وتخبر أنّ لأهل الصلاة نِعَمًا في دار الآخرة، قال الله تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ﴾** [فاطر: ٢٩]، وقال تعالى أيضاً: **﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا**

---

[1] الرومي، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان، **الصلاة في القرآن الكريم مفهومها وفقهها**، ط٧، مكتبة العبيكة، الرياض – ١٩٩٦، ص١٩.

[2] ينظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٣٢-ص٣١٧.

[3] ينظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٢٤-ص٥٣٦.

**الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ﴾** [إبراهيم: ٣١]، وقال تعالى أيضاً: **﴿هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾** [النمل: ٢، ٣].

علاوة على هذا "ورد في آيات نَزَلَتْ قبل الإسراء تحديدُ أوقات الصلوات، ففي سورة ق قوله تعالى: **﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ﴾** [ق: ٣٩-٤٠]، وفي سورة هود قوله تعالى: **﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾** [هود: ١١٤] وبيّن الله تعالى في سورة الإسراء أيضاً: **﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾** [الإسراء: ٧٨، ٧٩][١].

الشيء اللافت للانتباه هو أنّه كان النبي ﷺ والمسلمون يتهجدون قبل نزول الأمر عليه بالصلوات الخمس في بداية بناء المجتمع المسلم، أمر الله تعال بقيام الليل في سورة المزمل، وهي سورة من أوائل السُّوَر التي نزلت في العهد المكّي، قال الله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾**[المزمل:١-٤].[٢] ومن المعروف أنّ قيام الليل أمرٌ ليس سهلاً؛ لأنّ القيام عندما ينام الناس أشدّ وطأً، وأجهد للبدن، ولكنّه تقوية للجسم على تحمّل صعوبات الحياة، وإعلان لسيطرة الروح، وبيان أنّ الأصل استجابة لدعوة الله تعالى في كل حال[٣].

وطلب من النبي ﷺ الصبر مع الصلاة على ما يقول ويفعل مشركو مكة، قال الله تعالى: **﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾** [طه: ١٣٠]، وقال أيضاً في آية أخرى: **﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ﴾** [الطور: ٤٨، ٤٩]، وقوله الآخر: **﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾** [الإنسان: ٢٤، ٢٦].

---

[١] الرومي، **الصلاة في القرآن**، ص١٩-٢٠.

[٢] انظر: علي، جواد، **تاريخ الصلاة في الإسلام**، مطبعة ضياء، بغداد، ص٢٤.

[٣] قطب، **في ظلال القرآن**، ج٦-ص٣٧٤٦.

وإضافة إلى أمر الله تعالى بالصلاة، وقيام الليل، تأتي الآية المكّيّة تطلب من النبي ﷺ أنْ يأمر أهله بالصلاة، قال الله تعالى: **﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾** [طه: ١٣٢].

وأخيراً، يمكن القول: إنّ الصلاة هي عبادة تؤدّى منذ بداية تأسيس المجتمع الإسلامي، فقد طُلب من النبي ﷺ والمسلمين أنّ يقاوموا جميع الصعوبات بالصلاة، ولا شك أنّ سبب ذلك هو الحِكَمُ التي لا تُعدّ ولا تحصى للصلاة، وتتحدّث هذه الآية عن أهمّ حِكَمِها اللانهائية بشكلٍ وجيز، قال تعالى: **﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾** [العنكبوت: ٤٥]، يدل قوله تعالى على أنّ في الصلاة الصلاح النفسي، وأنّها تيسّر للمصلّي ترك الفحشاء والمنكر[١]؛ لأنّها عبادة تتضمن استمرارية فعل الأعمال الصالحة، على عكس الإيمان النظري فلا يشكل أيَّ ضمانة للحفاظ على استمرارية عمل الصالحات، وهذا يعني أنّ المجتمع الذي يتشكّل من الأفراد المصلّين قد يكون أكثر التزامًا بالأسس الأخلاقية[٢].

**ثانيا: الإنفاق:**

إنّ الإنفاق "علاج ناجح لفساد المجتمع من الناحية الاقتصادية؛ فالناس مختلفون في قدراتهم ومواهبهم، فهناك الصبي اليتيم، والأرملة، والأم العجوز، والشيخ المسنّ، والمريض، وذو العاهة، والأعمى، والمُقعَدُ... إلخ، وكُلّ هذه الأصناف في حاجة ماسّة إلى الحياة الكريمة، ولا يخلو مجتمعٌ من المجتمعات من هذه الأنواع التي تكوّن طبقة من طبقاته، وعنصراً من عناصر وجوده وحياته، فإنّ الهدف من الإنفاق أنْ يغتني الفقراء بها، وباغتنائهم يغلق باب الفتنة في المجتمع[٣]".

"والإنفاق أيضاً علاج لمشكلة الأضرار الناتجة عن الانحراف في استخدام المال، وسوء التعامل به، وعلاج غير مباشرٍ لمشكلة سوء توزيع الثروة القوميّة، والعدالة الاجتماعية، ولكنْ ليس عن طريق انتزاع الملكية الخاصّة ممن ينحرفون في المال، ولا عن طريق فرض

---

(١) انظر إلى: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٢٠-ص٢٥٨.

(٢) انظر إلى: حلاق، **القرآن والشريعة**، ص١١٢.

(٣) مكرم، **أثر العقيدة في بناء الفرد والمجتمع**، ص٨١.

ضرائب تصاعدية على ملكية المال، وإنما بدافع الإرادة الحرّة في الإنسان، إلى أنْ يسلك الطريق السليم لاستغلال المال والتعامل به[1]".

والإنفاق يُظهر شخصية الإنسان الاجتماعية بشكل أبرز، والقرآن -كما أشير إليه في البداية- أراد من الإنسان أنْ يتوجّه وجهُهُ إلى المجتمع الذي يعيش فيه، بينما يتوجه قلبه إلى ربه، قال تعالى: **﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى﴾** [الليل: ٥]، وقال تعالى أيضاً: **﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى﴾** [الليل: ٨].

وإذا كان الإيمان والصلاة يتعلقان بشكل أكبر ببناء ذات الفرد، فإن الإنفاق يجعل من هذا الفرد فردًا اجتماعيًا، ويُنشئ فرديّة الإنسان واجتماعيّة شخصيّته بشكل سويٍّ، ولذلك جاء الربط بين إقامة الصلاة والإنفاق، قال تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ﴾** [فاطر:٢٩]، وكذا الربط بين التقوى والإنفاق، قال تعالى: **﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾** [الليل: ١٧-١٨].

وقد جاء طلب الإنفاق في السُّوَر المكّيّة قبل تعيين الزكاة ولكن بصورة غير مباشرة، فتضرب المثل، أو تقرب له الصورة بالتشبيه والتمثيل، فذكرتْ مثلاً: أنّ الذي لا ينفق على المحتاجين في أمّته هم الوثنيون، وهم غير المسلمين، إذ المشرك هو الأنانيّ الذي لا يتأثر بالعلاقة الاجتماعية في نظرته إلى غيره[2]، فيقول الله تعالى: **﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾** [الماعون: ١ - ٧].

على عكس صفة المشرك الذي يكذب بالدين ولا يحض على طعام المسكين تأتي "صفة المؤمن في معونته ونجدته للآخرين معه في جماعته وأمته[3]"، فقال الله تعالى وصفًا لأفراد المسلمين: **﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾** [المعارج: ٢٤، ٢٥]، وقال تعالى: **﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾** [الفرقان: ٦٧]، وبيّن أنّ للمحتاجين نصيبًا في أموال المسلمين، كما في قوله تعالى: **﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾** [الذاريات: ١٩].

---

[1] البهي، **منهج القرآن**، ص١٣٥.

[2] ينظر: البهي، **منهج القرآن**، ص١٢.

[3] البهي، **منهج القرآن**، ص١٣.

ثم طلب من الرسول ﷺ والمؤمنين مباشرة أنْ ينفقوا من غير تحديد، فقال الله تعالى: **﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾** [الإسراء:٢٦-٣٠]، وحَدَّدَ مصرَفَ الإنفاق العام قبل جعل الزكاة حدًّا أدنى له: الأقارب، والفقراء، والمسافرين.

وفي آية أخرى "جعل الإنفاق في سبيل المصلحة العامّة أو الخير العام حقًا لأصحاب الحاجة في الجماعة والأمة، كما جعله حقًّا يقترن أداؤه بحصاد الثمار والزرع، أيْ لا يتأخر عنه، ممّا كان يمثل الاقتصاد الإسلامي، فقال الله تعالى: **﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾** [الأنعام: ١٤١]، فطلبَ مشاركة أصحاب الحاجة للمالكين في ثمرات ما يملكون، من غير تحديد لحدٍّ أدنى، أو لحدٍّ أعلى للإنفاق. ولكنّه جعل المشاركة حقًا لأصحاب الحاجة، وواجبًا على من يملكون المال[١]".

وقبل هذه الآية أنْكر على المشركين جَعلهم الإنفاق لآلهتهم، فقال الله تعالى: **﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾** [الأنعام: ١٣٦]، وبيّن مع هذه الآية بشكل غير مباشر أنّ الإنفاق لا بُدَّ أنْ يكون لله تعالى على المحتاجين فحسب[٢].

علاوة على طلب الإنفاق من المسلمين، جاءت أوّل إشارة في السُّوَر المكّيّة إلى تحريم الربا الذي يقوّض العدالة الاقتصادية، ويسبّبُ دمارًا كبيرًا في المجتمع، قال الله تعالى: **﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبًا لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾** [الروم: ٣٩]، وبين أن ما أعطي "قرضًا من المال بقصد الربا، وطلب زيادة ذلك القرض ليزيد وينمو في أموال الناس، فلا يزيد عند الله، بل يمحقه ويبطله. وما

---

[١] البهي، **منهج القرآن**، ص١٣-١٤.

[٢] ينظر: البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ)، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت – ١٤١٨، ج٢-ص١٨٤.

أعطي من زكاة وصدقة للمستحقين ابتغاء مرضاة الله وطلبًا لثوابه، فهذا هو الذي يقبله الله ويضاعفه أضعافًا كثيرة".[1]

**ثالثا: المأكولات:**

الحديث هنا عن مؤشر عمليّ آخر للإيمان الفاعل وهو تحريم بعض المأكولات في السُّوَر المكّيّة، فالله سبحانه وتعالى أراد من المسلمين أنْ يكون اعتقادهم التوحيد في التطبيق أيضًا، وأنْ يؤثر إيمانهم على سلوكهم وتصرّفاتهم؛ لذلك أراد الله تعالى من المسلمين أنْ يجعلوا أكْلهم مقصورًا على ما ذُكِرَ اسم الله عليه، قال الله تعالى: **﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾** [الأنعام: ١١٨ - ١١٩].

بعد هذه الآيات التي تُحِلّ أكلَ ما ذكر عليه اسم الله، جاء تحريم ما لم يذكر عليه اسم الله عليه، ويدخل فيه الميتة، وما ذبح على ذكر الأصنام، قال الله تعالى: **﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾** [الأنعام: ١٢١][2]

ثم بعدها جاء الشرح بشكل أدق لما يحرُم من المأكولات، مثل: الميتة، والدم المسفوح، ولحم الخنزير، وما أُهلَّ به لغير الله تعالى، قال الله تعالى: **﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾** [الأنعام: ١٤٥]، وأكّد ذلك بما جاء في سورة النحل، قال الله تعالى: **﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾** [النحل: ١١٥].[3]

---

[1] نخبة من أساتذة التفسير، **التفسير الميسر**، ص٤٠٨.

[2] ينظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج١٣-ص١٣٠.

[3] ينظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج١٣-ص١٦٨.

## المبحث الثاني: الأصول الأخلاقية في السُّوَر المكّيّة

إنّ العقيدة "ليست سوى أفكار وتصوراتٍ ومبادئ، ولكنّها أخطر ما يؤثر في حياة الأفراد وتماسك المجتمعات وتاريخ الأمم"[١] وهي أساسٌ ميتافيزيقي أو فلسفة اجتماعية، يقوم عليها نظام اجتماعي أو نظرية اجتماعية[٢]، وفيما عدا ذلك "يتأسس البناء الاجتماعي على عقيدة المجتمع، ويقوم عليها كما تقوم الشجرة على جذورها، وتتماسك النُّظم الاجتماعية التي تكوّن في مجموعها البناء الاجتماعي فيما بينها من ناحية، وترتبط كبناء متكامل مع العقيدة من ناحية أخرى بالقيم"[٣].

ويتأسس على العقيدة الإسلامية أخلاق المجتمع الذي يُنظِّم العلاقات البشرية، لأنّ الإيمان هو رَبطٌ بين الفكر بالفعل، والنيّة بالسلوك، وهذا ما أكّده القرآن الكريم في تدرّج التوجيهات الأخلاقية تحت الإيمان بالله تعالى وتوحيده، قال تعالى: ﴿**وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا**﴾ [الإسراء: ٢٣]، ففي اقتران برّ الوالدين بالعقيدة دلالة على أنّ العلاقات البشرية والسلوكيات الأخلاقية تستند إلى العقيدة.

وقد تعرّف الأخلاق بأنّها "المبادئ والقواعد والقيم المنظّمة للسلوك الإنساني، والتي يحدّدها الوحي لتنظيم حياة الإنسان، وتحديد علاقته بغيره على نحو يحقِّق الغاية من وجوده في هذا العالم، وهي عبادة الله تعالى المؤدّية إلى سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة"[٤]، وتعدّ الأخلاق أساسُ قيام المجتمع المسلم، حيثُ شهِد القرآن الكريم "وِلادة دستور أخلاقيٍّ مع ولادة دستور الدّين المبين، وأجرى تعديلاتٍ على القيم الجاهليّة في الشّكل والمَضمونِ، وصاغ أفكارًا ومفاهيمَ أخلاقيةً شكّلتْ دستورًا جديدًا.[٥]

تحتوي السُّوَر المكّيّة العديد من التوجيهات الأخلاقية، وتوضيح ذلك في المطالب الآتية:

---

[١] دسوقي، **مقومات المجتمع المسلم**، ص٧٦.

[٢] ينظر: دسوقي، **المصدر نفسه**، ص٩١.

[٣] دسوقي، **المصدر نفسه**، ص٧٥.

[٤] يالجن (١٩٧٧)، مقداد، **التربية الأخلاقية الإسلامية**، مصر: مكتبة الخانجي، ص٧٥.

[٥] الخطيب، معتز (٢٠١٧)، آيات الأخلاق: سؤال الأخلاق عند المفسرين، **Journal of Islamic Ethics**، Volume I، ص٩٩.

**المطلب الأول: أصول الأخلاق الفردية:**

"القرآن الكريم في نَهجه البنائي يحثّ الإنسان على السعي في سبيل الله هادفًا إلى تحقيق حياة مستقيمة مليئة بالخير والسعادة، ويقرّر أنّ بناء المجتمع وتقدّم أفراده وازدهار حضارته مرتبط بالأخلاق، وانهدام المجتمع وتقاعس أفراده وتدهور حضارته مرتبط كذلك بالأخلاق، ويؤكد المنهاج القرآني على ضرورة التمسّك بالقيم الأخلاقية التي تعدّ مقياساً لبناء الإنسان والمجتمع، ويتّضح ذلك في العديد من الآيات القرآنية التي تبيّن عناية القرآن الكريم ببناء السلوك الأخلاقي في سائر حركة حياة الإنسان"[١].

ويمكن تناول بعض أصول الأخلاق الفردية المتعلقة بالحياة الاجتماعية[٢] على النحو الآتي:

**أولاً: العدل:**

العدل هو ما قام في النفوس أنه مستقيم، وهو ضد الجور، وأصله التوسّط بين الإفراط والتفريط[٣]. "والإنسان المسلم مأمور بأنْ يعدِل مع نفسه ومع غيره، والعَدل مع الغير، فهو من أوجب الأمور التي جاء الإسلام ليدعو لها، فالمحافظة على حقوق الآخرين وإيصالها لهم، وإقامة الحق، ونصرة المظلوم، وعدم اتباع الهوى، وتقديم شرع الله على ما سواه، كُلُّ ذلك من العدل مع الآخرين."[٤]

ولقد عُنيَتْ الآيات المكّيّة بالدعوة إلى هذا الخلق، والأمر به في أكثر من آية، ومن هذه الآيات قوله تعالى: **﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾** [النحل: ٩٠] والعدل في هذه الآية يشمل معانٍ عدة، منها: أنّه شهادة أنْ لا إله الله وحده لا شريك له، أو هو أداء الواجبات والابتعاد عن سائر المحرّمات التي حرّمها الله تعالى في كتابه[٥].

---

[١] السادة (٢٠١٧)، مريم حسين علي محمد، المنهاج القرآني في البناء الأخلاقي للإنسان وأثره في رواد مراكز القرآن الكريم وعلومه في دولة قطر، رسالة الماجستير غير منشورة، جامعة قطر، ص٢٠.

[٢] للمزيد من المعلومات ينظر: دراز، **دستور الأخلاق في القرآن**، ص٦٩١-٧٠٧.

[٣] ينظر: ابن منظر، **لسان العرب**، ج١١-ص٤٣٠.

[٤] الميمنى (١٤١١)، عدنان عبد الرحمن، التربية الأخلاقية في الآيات المكية والمدنية نمازج مقارنة، رسالة الماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، ص١٦٥-١٦٦.

[٥] ينظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٢٠- ص٢٥٩-٢٦١.

إنّ العدل "عبارة عن الأمر المتوسط بين طرفي الإفراط والتفريط، وذلك أمر واجب الرّعاية في جميع الأشياء"[١] "وبالعدل أمن المجتمع واستقراره، إذ به تُصانُ الدماء، وتحفظ الأنفس والأعراض والأموال[٢]".

**ثانياً: العفة:**

"يسعى القرآن الكريم إلى إقامة مجتمع سليم هادئ بعيدٍ عن الإثارة والفجور، يتحلى بأعظم الأخلاق والصفات، ولن يتم ذلك إلا إذا نظّم القرآن الكريم سلوكَ الأفراد وأخلاقهم تنظيماً يكفل له الوصول إلى ما يصبو إليه من أهداف، وإحدى وسائل الإسلام إلى إنشاء مجتمع نظيف خالٍ من الأمراض الاجتماعية -هي الحيلولة دون الاستثارة، وإبقاء الدوافع الفطرية العميقة بين الجنسين سليمة، وبقوّته الطبيعية دون استثارة مصطنعة، وتصريفها في موضعها المأمون النظيف [٣]".

لذلك أثنى الله تعالى في السُّوَر المكّيّة على الحافظين فروجهم والحافظات، وجعل حفظ الفرج صفة من صفات المسلمين، فقال الله تعالى: **﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ إيمانهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾** [المعارج: ٢٩، ٣٠]، وقال تعالى: **﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ إيمانهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾** [المؤمنون: ٥ - ٧]، أي لا يقترب المؤمنون إلى الزنا، "إذ في اقتراف جريمة الزنا اعتداء على المجتمع، وانتهاك لحرمة المرأة، وضياع لشرف الرّجولة، الذي يتمثل في المسؤولية الفردية عن الولد[٤]".

**ثالثاً: التواضع:**

يعرف الأصفهاني الكِبْر بأنّه "الحالة التي يتخصّص بها الإنسان من إعجابه بنفسه، وذلك أنْ يرى الإنسان نفسه أكبَر من غيره، وأعظم التّكبّر التكبّر على الله بالامتناع من قَبُول

---

[١] الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٢٠- ص٢٥٩-٢٦١.

[٢] الصمادي، النظام الأخلاقي في الآيات المكية، ص٩٠.

[٣] الميمنى، التربية الأخلاقية، ص١٧٠.

[٤] البهي، **منهج القرآن**، ص٩٦.

الحقّ والإذعان له بالعبادة"[١]، والكبر أنواع، منه ما هو التكبّر على الله وعلى رسوله ﷺ ومنه ما هو على المؤمنين.[٢]

وقد جاءت في العديد من الآيات المكّيّة إشارات إلى استكبار الناس أمام خالقهم سبحانه وتعالى، وأمام دعوة رسله، قال تعالى: **﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾** [الأعراف: ٧٥]، فكانت عاقبة المستكبرين على ربهم كما بيّن تعالى: **﴿قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾** [الزمر: ٧٢].

ونُهي المسلم عن التكبر، وعن احتقار الناس، وعن الفخر عليهم في معاملتهم، فقال تعالى: **﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾** [لقمان: ١٨، ١٩]، وبيّنت الآية أنّ الله سبحانه لا يرضى عمّن يكون مفتخراً بنفسه، وأمر بالمشي بين طرف التبختر وطرف الدبيب، وبجعل الصوت دون الجهر[٣].

وبيّنتْ الآيات صفات المؤمنين في المشي في قوله تعالى: **﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾** [الفرقان: ٦٣]، فتدلّ الآية على "أنّ مشيهم يكون في لين وسكينة ووقار وتواضع، ولا يضربون بأقدامهم أشراً وبطراً، ولا يتبخترون لأجل الخُيلاء، ولا يتكبّرون، ولا يتجبّرون، ولا يريدون علوًّا في الأرض"[٤] كما قال تعالى: **﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾** [الإسراء: ٣٧].

وقد بيّنت السُّوَر المكّيّة "الأسباب التي تدعو الإنسان للتكبّر والاعتزاز والاغترار بالنفس، ومنها: المال، والقوة، والكثرة، ففرعون قد اغترَّ بملكه وقوَّتِه، وقومُ عادٍ وثمود اغترّوا بقوّتهم، وقارون قد اغترَّ بماله، وقريش اغترَّتْ بمالها ورجالها، فعلى المسلِم أنْ يعِيَ صفات المتكبّرين ويتجنّبها ويدرِكَ صفاتِ المؤمنين المتواضعين فيتبعها[٥]".

---

(١) الأصفهاني، **المفردات**، ص٦٩٧.

٢ ينظر: المصدر نفسه، ص٦٩٧.

(٣) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٢١-ص١٦٨.

(٤) الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٢٤-ص٤٨٠-٤٨١.

(٥) الميمنى، التربية الأخلاقية، ص١٧٧.

**المطلب الثاني: أصول الأخلاق الأسرية:**

يعيش الإنسان في دوائر اجتماعية عديدة ومتفاوتة في الحجم، ومن أبرزه: دائرة الأخلاق بين المرء وعائلته، ودائرة الأخلاق بين المرء ومجتمعه، وتفصيل التوجيهات الأخلاقية المذكورة في السور المكية المتعلقة بهاتين الدائرتين كما يلي:

**أولاً: الأخلاق بين المرء ووالديه:**

السور المكّيّة أَوْلَتْ موضوع الأخلاق الأسرية عناية كبيرة، حيث قرنتها بعبادة الله تعالى وتوحيده، قال الله تعالى: **﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾** [الأنعام: ١٥١]، وأنشأتْ الأخلاق بين المرء ووالديه على أساس الإحسان إليهما، وهو ضد الإساءة، "والمراد به فعل ما هو حَسَن، والحسن وصف مشتق من الحُسنِ، وهو -كما يقول صاحب التعريفات- "ما يكون متعلَّق المدح في العاجل والثواب في الآجل،"[١] وهو بهذا المعنى العام تتسع دائرته لتشمل جوانب متعدّدة، منها الإحسان للوالدين، الذي أمر الله به في أكثر من موضع في القرآن الكريم، قال الله تعالى: **﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾** [الأنعام: ١٥١]، والمعنى: أحسنوا بالوالدين إحساناً؛ وهو شامل للإحسان بالقول، والفعل، والمال، والجاه، وجميع طُرُقِ الإحسان؛ لأنّ الله أطلق، فكل ما يسمّى إحساناً فهو داخل في الآية"[٢] وشرحَ القرطبيّ كيفيّة الإحسان إليهما، فقال: هو "بِرّهما، وحِفظهما، وصيانتهما، وامتثال أمرهما، وإزالة الرّق عنهما، وترك السلطنة عليهما[٣]".

"ومن صور الإحسان إليهما، ألّا يقول لهما ما يكون فيه أدنى تبرّم، وألّا ينهرهما، وأنْ يتلطّف معهما بالقول الحسن والكلام الطيّب الذي يحمِلُ كلّ عبارات التأدّب والاحترام والتبجيل[٤]"، قال سبحانه: **﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾** [الإسراء: ٢٣]، و(أُفْ) اسم فعل مضارع بمعنى أتضجر، "وليس المقصود من النهي عن قول "أف" خاصة،

---

(١) الجرجاني، **التعريفات**، ص٨٧.

(٢) الفريح، حامد بن يعقوب بن يوسف (٢٠١١)، بر الوالدين في القرآن الكريم: دراسة موضوعية، **مجلة تبيان للدراسات القرآنية**، العدد ٩- ١٤٣٢هـ، ص١٩٦-١٩٧.

(٣) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج٧-ص١٣٢.

(٤) الفريح، بر الوالدين في القرآن الكريم، ص١٩٨-١٩٩.

وإنّما المقصود النهي عن الأذى الذي أقلّه الأذى باللسان بأوجز كلمة، وبأنّها غير دالة على أكثر من حصول التضجّر لقائلها دون شتم أو ذم، فيُفهم منه النهي عمّا هو أشدّ أذى بطريق فحوى الخطاب بالأولى[1]".

ومن صور الإحسان إلى الوالدين أنْ يتواضع لهما تواضعًا يصل إلى درجة الذلّ لهما، والترحّم عليهما والدعاء لهما، قال تعالى: **﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾** [الإسراء: ٢٤]، "وصيغ التعبير عن التواضع بتصويره في هيئة تذلّل الطائر عندما يعتريه خوف من طائر أشدّ منه؛ إذ يخفض جناحه متذللا[2]".

ومن صور البرّ في السُّوَر المكّيّة: شُكر الوالدين، جاءت هذه الصورة باقتران شكر الله وشكر الوالدين في الأمر، قال الله تعالى: **﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾** [لقمان: ١٤].

**ثانياً: أخلاق بين المرء وأولاده:**

يوجّه القرآن الكريم الأبوين إلى أخلاق مع أولادهم، فمن تلك الأخلاق:

**العدل بين الأولاد**: من التوجيهات الأخلاقية التي توجه السُّوَر المكّيّة الأبوين في حقوق أولادهم هي النهي عن بغض البنات، فقد دعت أهل الجاهلية إلى تصحيح النظرة إلى بناتهم، قال تعالى: **﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾** [النحل: ٥٧ - ٥٩]، وبيّنت أنّ تفضيل الذكور على الإناث، وكراهية إنجاب البنات، والوأد ظلم عظيم للمخلوقات.

**عَدم قتل الأولاد خشية الفقر**: والتوجيه الآخر في حقوق الأولاد هو النهي عن قتل الأولاد، فقد "نزل القرآن المكّي على قوم سادتْ عندهم عادة قتل الأولاد خوفاً من الفقر أنْ ينزلَ بهم؛ فلا يستطيعون إطعامهم والنفقة عليهم، وخوفًا من العار بسبب ما عندهم من البنات، ولقد أنْكر القرآن المكّي تلك العادة القبيحة، بل شدّد النكير عليها"[3] قال الله تعالى: **﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾** [الأنعام:

---

[1] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١٥-ص٧٠.

[2] المصدر نفسه، ج١٥-ص٧٠.

[3] الميمني، النظم الأخلاقي في الآيات المكية، ص١٣٨.

١٥١]، قال الرازي: "والمراد من النّهي عن قتل الأولاد هو النهي عن الوأد، إذ كان أهل الجاهلية يدفنون البنات أحياء، بعضهم للغيرة، وبعضهم خوف الفقر، وهو السبب الغالب؛ فبيّن تعالى فساد هذه العِلّة بقوله: **﴿نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾**؛ لأنّه تعالى إذا كان متكفِّلاً برزق الوالد والولد فوجب على الوالدين تبقية النفس والاتكال في رزقها على الله[١]"

**المطلب الثاني: أصول الأخلاق الاجتماعية**

كانت السُّوَر المكّيّة في مختلف مراحل نزولها تعالج أمورًا أخلاقيّة؛ ممّا تطلب قيام مجتمع إسلاميٍّ، وهذه التوجيهات الأخلاقية لها أهمية في بناء شخصيّة الفرد المسلم، وتأثيرٌ كبير في إنشاء المجتمع الإسلامي. وفيما يلي بيان لمضمون هذه التوجيهات الأخلاقيّة التي تتعلّق بالحياة الاجتماعية في السُّوَر المكّيّة:

**أولاً: الوفاء بالعهد:**

"دَعَتْ السُّوَر المكّيّة إلى وحدة المُجْتمع المسلم، وحضَّت على تماسكه وتعاضده بشتّى السّبل والوسائل، بل قد أوجبت ذلك على أفراد المجتمع وألزمتهم به، ولعلّ من أهم أسباب الوحدة والتآلف والتضامن في المجتمع الإسلامي هو الوفاء بالعهود، والمقصود مِنْه أنْ يحقِّق المرء ما عاهد على أنْ يعمله[٢]".

والوفاء بالعهد من مكارم الأخلاق التي أكّدَتْ السُّوَر المكّيّة عليها وشددتْ؛ لِما له من أهميّة وأثر بالغٍ في "بقاء عنصر الثقة في التعامل بين الناس، ومن دون هذه الثقة لا يقوم مجتمع ولا تقوم إنسانية"[٣]، قال الله تعالى: **﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾** [المؤمنون: ٨]، فالوفاء بالعهد من صفات المؤمنين، وأشار ابن عاشور إلى أهميّة هذا الخلق في تفسير هذه الآية بقوله: "والوفاء بالعهد من أعظم الخلق الكريم؛ لدلالته على شرف النفس وقوة العزيمة، فإنّ المرأيْنِ قد يلتزم كلّ منهما للآخر عملاً عظيماً فيصادف أنْ يتوجّه الوفاء بذلك الالتزام على أحدهما، فيصعب عليه أن يتجشّم عملاً لنفع غيره من دون مقابل ينتفع به هو، فتسوّل له نفسه الختر بالعهد شُحًّا أو خورًا في العزيمة، فلِذلك كان الوفاء بالعهد علامة على عظم النفس[٤]".

---

[١] الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج١٣-ص١٧٨.

[٢] الميمني، النظام الأخلاقي في الآيات المكية، ص١٤٤-١٤٥.

[٣] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج١٤-ص٢١٩١.

[٤] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١٨-ص١٧.

**ثانياً: إيفاء الكيل والميزان:**

من التوجيهات الأخلاقية التي جاءت بها السُّوَر المكّيّة إيفاء الكيل والميزان في البيع والشراء، والهدف منه "إدارة المعاملات بين المسلمين، بما ينمّي بينهم أواصر التعاون والمحبة والتراحم ليكونون كالجسد الواحد؛"[١] لأن للتطفيف آثار على المجتمع مثل نشر الفساد، والغش، والخيانة، وزعزعة ثقة أفراد المجتمع بعضهم مع بعض.[٢]

"يوجّه الخالق سبحانه وتعالى في السُّوَر المكّيّة أوامره إلى التجار بإعطاء المشترين حقوقهم من حيث الكيل والميزان"[٣] قال الله تعالى: **﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾** [الرحمن: ٩]، وقال تعالى: **﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾** [الأنعام: ١٥٢]، وأمرَ عباده بالوفاء بالكيل والوزن والعدل فيه من غير تنقيص أو زيادة في البيع والشراء.

كما توعّد الله تعالى -في السُّوَر المكّيّة- من لا يلتزم بهذا الأمر بالعذاب الشديد، وإعلان الحرب عليهم، قال الله تعالى: **﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾** [المطففين: ١-٦]، والمراد من التطفيف "الخروج عن سواء السبيل في الكَيْلِ والميزان زيادةً ونقصاً، فهؤلاء هم المطففون قد توعدهم الله تعالى بالويل والعذاب الشديد في الآخرة؛ لأنّهم يأكلون أموال الناس بالباطل، فيأخذون أكثر من مالهم إذا كالوا أو وزنوا يأخذونه كاملاً وافيًا، ويستوفون في حين يُعطون أقلَّ ممّا عليهم إذا كانوا لغيرهم[٤]".

وقد رَكّزَتْ قصة شعيب عليه السلام على القواعد الرشيدة في التصرّفات الماليّة في البيع والشراء، قال الله تعالى: **﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾** [الأعراف: ٨٥]، وقال الله تعالى: **﴿وَيَاقَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾** [هود: ٨٥]، وقال الله تعالى: **﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ وَزِنُوا**

---

[١] صالح (٢٠١٥)، محمود عبد الحميد محمود، حماية المستهلك في الإسلام، **مجلة البحوث الإسلامية**، العدد ٢- إبريل، ص١٣٠.

[٢] الميمني، التربية الأخلاقية، ص٩٣.

[٣] المصدر نفسه، ص١٣٧.

[٤] التكية (١٩٩٩)، عثمان أحمد عبد الجليل، تفسير لسورة المطففين: دراسة موضوعية، رسالة الماجستير غير منشورة، جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، ص٤-٥.

**بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾** [الشعراء: ١٨١ - ١٨٣] "وقدْ جاءت إرشادات سيدنا شعيب –عليه السلام- لقومه لتقويم الخلل الاقتصادي من جهتين؛ الأولى: إرشادهم إلى الوفاء بالكيل والميزان وعدم إنقاصهما، وحفظ حقوق المشتري، والثانية: الإرشاد إلى الابتعاد عن البخس، وحفظ حقوق البائع"[١] ويشمل البخسُ في قوله تعالى **﴿ولا تبخسوا الناس أشياءهم﴾** البخسَ بأشكاله وصوره المتعددة، "فيدخل فيه المنع من الغصب والسّرقة، وأخذ الرشوة، وقطع الطريق، وانتزاع الأموال بطريق الحيل[٢]".

**ثالثاً: حفظ مال اليتيم:**

اعتنى الإسلام "عناية كبيرة بأصحاب الحالات القاهرة والظروف الخاصة، وفي مقدمتهم الأيتام الذين فقدوا من يعولهم ويرعاهم ويعتني بشأنهم، والإسلام في اعتنائه الفريد باليتامى لم يظهرهم على أنّهم من بقايا المجتمع، أو من ضحايا الظروف، وإنّما رسم لهم صورة إيمانية تسمُو على كلّ الارتباطات المادّية، فجَعل القرآن الكريم اليتامى فردًا أساسيًا من المجتمع، يختلطون بغيرهم، ويرتبطون بهم برباط الأخوة الإيمانية، فتناولت الآيات شأن اليتامى من جهة الاهتمام بهم وإكرامهم والإحسان إليهم، وحذّرَتْ أشدَّ التحذير من أكل أموالهم والإساءة إليهم، ومن جهة الحثّ والترغيب في إيتائهم حقوقهم بعد حفظها وتنميتها، والأمر للأوصياء والأولياء وغيرهم من أفراد المجتمع بالعدل مع اليتامى، والنّهي عن بخسهم وقهرهم، ومراعاة أوضاعهم النفسية[٣]"

رَغَّبتْ السُّوَر المكّيّة على إكرام اليتامى، والإحسان إليهم بدون أن يشترط الفقر، فقال تعالى: **﴿أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾** [البلد: ١٤-١٦]، وشنّعَتْ على من أهانهم وأَكلَ حقَّهم، وأساءَ إليهم، فأخبر الله تعالى عن المحتقرين لليتيم التاركين لإكرامه بقوله: **﴿كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾** [الفجر: ١٧].

وحذَّرت السُّوَر المَكّيّة "من الاقتراب من مال اليتيم إلا في حالة الإحسان إلى هذا المال بإثرائه وتنميته[٤]" فقال تعالى: **﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾**

---

[١] الخضر (٢٠١٦)، زكريا علي، القيم الحضرية في قصة سيدنا شعيب عليه السلام دراسة قرآنية، **مجلة الدراسات علوم الشريعة والقانون**، المجلد ٤٣، ملحق ١، ص٤٣٥.

[٢] الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج١٤ص٣١٤.

[٣] الحواس، عبد المنعم بن حواس بن محمد (٢٠١٧)، حقوق اليتيم في القرآن الكريم: دراسة موضوعية تحليلية، **مجلة تبيان للدراسات القرآنية**، العدد ٢٩ – ١٤٣٨هـ، ص٢٣.

[٤] المصدر نفسه، ص٤٧.

[الأنعام: ١٥٢]، وحرّمَتْ وجوه التصرّف في مال اليتيم ولو بالحزنِ والحفظ إلّا في الحالة النافعة التي لا ضَرَرَ فيها لليتيم ولا لماله،[١] قال أبو السعود: "توجيهُ النّهي إلى قُربانه لِما مَرَّ من المبالغةُ في النَّهي عن أكله، ولإخراج القُربان النافعِ عن حكم النّهي بطريق الاستثناء أيْ لا تتعرّضوا له بوجهٍ من الوجوه **﴿إِلاَّ بالتى هِىَ أَحْسَنُ﴾** إي إلّا بالخصلة التي هي أحسنُ ما يكونُ من الحِفظ والتثمير ونحو ذلك[٢]".

**رابعًا: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو الأمر بكلّ فعلٍ أو قولٍ يُعرَفُ حُسْنُه بالعقل أو الشرع، والنّهي عن كلّ ما يُنكِرُه العقل أو الشرع، وهو إرشاد إلى دين الإسلام المتضمّن للأمر بكل خير والنهي عن كل شرّ،[٣] و"دعوة إلى بناء الرّوابط والعلاقات الإنسانية الطيّبة التي تحقّق السكِينة والسعادة للناس؛ لأنّ المعروف هو كلّ بناء نافع من التعاون المادّي والأدبي، والمنكر هو كل ما يؤذي العلاقات ويهدمها، ويدفع إلى الخصومات، أو هو كلّ اعتداء على حُرمات الله أو حقوق عباده[٤]".

من الآيات التي تُشير إلى أهميّة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في السُّوَر المكّيّة قوله تعالى: **﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾** [لقمان: ١٧]، "أي إذا كَمُلتَ في نفسِكَ بعبادة الله فكَمِّلْ غيرَك، فإنْ شغل الأنبياء وورثتُهم من العلماء هو أنْ يكمِّلُوا في أنفسِهم ويكمّلوا غيرهم"[٥]؛ ويستَنتَجُ من هذه الآية أنّ أفراد المجتمع المُسلم مسؤولون عن سلامة مجتمعهم، وصلاح بنيانهم، واستقامة عمدهم.

ومِنَ الآيات التي تشير إلى أنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عمقٌ حضاريٌ مهم للمجتمع المسلم قوله تعالى: **﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾** [الحج: ٤١]، بيّن الله تعالى أنّ الأمر

---

(١) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٨-ص١٦٣.

(٢) أبو السعود، **إرشاد العقل السليم**، ج٣-ص١٩٩.

(٣) ينظر: انويجي، فطيمة محمد (٢٠١٧)، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، **مجلة الجامعي**، العدد ٢٥، ص٦٩-٧٠.

(٤) المصدر نفسه، ص٧٢.

(٥) الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٢٥-ص٢١.

بالمعروف والنهي عن المنكر من آساس النجاح في الدنيا، ووسيلة إقامة المجتمع المسلم المستحقّة للتمكين، وقاعدة عامّة لاستمراره[١].

"وكذلك في قوله تعالى: **﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾** [النحل: ٩٠] وهذا إجمالٌ لتفصيل كلِّ أمرٍ بالمعروف وكلّ نهيٍ عن المنكر، إجمالاً تبيّن الآية أنّ الله أمر بالمعروف كلِّه؛ ولا يخرج عن كونه عدلًا أو إحسانًا أو صلة رحم، ونهى عن المنكر كلّه، الفواحش والبغي، وهذا أمر يوجب على الأمة التي تؤمن بهذا الكتاب إتيان ما أمرَ به واجتناب ما نهى عنه[٢]".

وللأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر أثرٌ في تحقيق أمنِ المجتمع وحمايته من الفساد والهلاك، قال الله تعالى: **﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾** [هود: ١١٦]، قال رشيد رضا: "جاءتْ هذه الآية بعد بيان إهلاك الأمم بظلمهم وإفسادهم في الأرض؛ للإعلام بأنّه لو كان فيهم جماعات وأحزاب أولوا بقيّة من أحلام وفضائل وقوة في الحق ينهونهم عن ذلك لَمَا فشا فيهم، وأفسدهم، ولَمَا هلكوا، فإنّ الصالحين المصلحين في الأرض هم الذين يحفظ الله بهم الأمَمَ من الهلاك ما داموا يطاعون فيها بحسب سنّة الله، كما أنّ الأطباء هم الذين يحفظ الله بهم الأمَمَ من فشوّ الأمراض والأوبئة فيها."[٣]

**خامسًا: المحافظة على الاعتبار البشري**

نهى القرآن الكريم عن السلوكيات التي تضرّ بالاعتبار البشري، وبكرامة الإنسان، ومن هذه السلوكيات الاستهزاء والسخرية، والطعن، وإظهار العيوب، ومن الآيات التي تشير إلى هذه الأخلاق السيّئة قوله تعالى: **﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾** [الهمزة:١]، "ولفظ (همزة) وصفٌ مشتق من الهمْزِ، وهو أنْ يعيب أحدٌ أحدًا بالإشارة بالعين أو بالشدق أو بالرأس بحضرته أو عند توليه، ويقال: هامز وهماز، وصيغة فعلة يدل على تمكن الوصف من الموصوف. أما لفظ "لمزة" وصفٌ مشتقٌّ من اللّمْزِ، وهو المواجهة بالعيب، وصيغته دالّة على أنّ ذلك الوصف مَلَكَةٌ لصاحبه كما في هُمَزَةٍ. وهذان الوصفان من معاملة أهل الشرك للمؤمنين يومئذ، ومن

---

[١] ينظر: الميمني، **التربية الأخلاقية**، ص١٧٩.

[٢] انويجي، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ص٧٦.

[٣] رشيد رضا، محمد رشيد بن علي رضا، **تفسير القرآن الحكيم (المنار)**، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠، ج١٢-ص٢٠١.

اتصف بشيء من هذا الخلق الذميم من المسلمين مع أهل دينه فإنّها خِصلَة من خصال أهل الشرك[١]"

"ولقد نهى الله تعالى عباده المؤمنين من التخلّق بهذا الخلق السيّء من سخْرِية واستهزاء بعضهم ببعض، فتلك صفة لا تنطبق على المجتمع الإسلامي؛ لأنها صفة الجاحدين الضالين، والمسلمون إخوة، فيهم الفقير والغني، والقويّ والضعيف، وهذه الفروقات ليس لها مكانٌ في المجتمع الإسلامي؛ لأن مقياس التفضيل والتفاضل بينهم عند الله هو التقوى[٢]".

ومن الآيات التي تتحدث عن الطّعّان والهمّاز، وسوء هذين الخُلقين قوله تعالى: **﴿هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾** [القلم: ١١]، والمقصود من الهمّاز هو الذي يهمِزُ الناس، أي يذكُرُهم بمكروه، وأثر ذلك يُظهر العيب، أمّا المقصود بـالمشّاء بنميم هو الذي يمشي بالنميمة بين الناس ليفسد بينهم[٣].

**سادساً: النّهي عن ارتكاب الفحشاء:**

"الفحشاء اسم مشتقٌّ من فَحُش، إذا تجاوز الحدّ المعروف في فعله أو قوله، وهي مشتمِلَة على مفاسد كثيرة، واختصت في كلام العرب بما تجاوز حدّ الآداب، وعظُم إنكاره؛ لأنّ وساوس النفس تؤول إلى مضرّة، كشرب الخمر والقتل المفضي للثأر، أو إلى سوأة وعارٍ كالزّنا والكذب[٤]".

وقد نُهي المسلمون عن هذا السلوك الذميم في السُّوَر المكّيّة، قال تعالى: **﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾** [الأنعام: ١٥١]، والمراد من لفظ "ما ظهر منها" ما يُظهِرونه، ولا يستخفون به ممّا عظم قبحُه من الأفعال والخِصال كالغضَبِ والقذْفِ، وأمّا المراد من لفظ "وما بطن" ما يستخفون به، وأكثره الزّنا والسّرقة، وكلّ منْها سمّي في التنزيل فاحشة، فهي ممّا ثبتت شدة قبحها شرعًا وعقلًا[٥].

---

(١) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٣٠-ص٥٣٧.

(٢) الميمني، التربية الأخلاقية، ص١٩٦.

(٣) الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٣٠-ص٦٠٤.

(٤) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٢-ص١٠٥.

(٥) ينظر: رشيد رضا، **المنار**، ج٨-ص١٦٤، وابن عاشر، **التحرير والتنوير**، ج٨-ص١٦٠.

ولا شكّ أنّ الفحشاء لها آثار تؤدّي إلى تمزيق المجتمع المُسلم، وتفسد كيانه، ومن الأخلاقيات والسلوكيات التي ترفض السُّوَر المكّيّة أنْ تكون أخلاقاً وسِمَةً لأفراد المجتمع المُسلم كما يلي:

- **النهي عن قتل النفس إلا بالحق**

إنّ الإنسان من المنظور الإسلامي مخلوقٌ مكرّم ومفضّل على أكثر المخلوقات كما أُشيرَ إليْه في الفصل الثاني، بناءً على هذا المبدأ عنيتْ السُّوَر المكّيّة بحفظ النفس أيّما عناية، وعدّت الاعتداء على النفس جريمةً عظمى، وكرَّرَتْ النّهي عَنْها، وشدّدَتْ التنفير منها والنكير عليها، فقال الله تعالى: **﴿ولا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾** [الأنعام: ١٥١]، ونهى الله تعالى عن قتل النفس المحرّمة، مؤمنة كانت أو معاهدة إلا بالحق الذي يوجب قتلها[١].

ووصف الله تعالى عباد الرحمن بعدم قتل النفس إلا بالحق في قوله تعالى: **﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾** [الفرقان: ٦٨].

- **النهي عن الزنا:**

نهى الله تعالى عن قربه في قوله تعالى: **﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾** [الإسراء: ٣٢]، والقرب المنهي عنه في الآية كناية عن شدّة النّهي عن ملابسة الزنا؛ "لأنّ فيه إضاعة النّسب، وتعريْض النّسل للإهمال إنْ كانَ الزّنى بغير متزوجة، وهو خلل عظيم في المجتمع، ولأنّ فيه إفساد النساء على أزواجهن والأبكار على أوليائِهن، ولأنّ فيه تعريض المرأة إلى الإهمال بإعراض الناس عن تزوّجها، وطلاق زوجها إياها، ولِمَا ينشأ عن الغيرة من الهرج والتقاتل[٢]".

ووصِفَ عباد الرحمن بعدم ارتكابهم الزّنا في قوله تعالى: **﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾** [الفرقان: ٦٨].

---

[١] القرطبي، **الجامع**، ج٧-ص١٣٣.

[٢] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١٥-ص٩٠.

والزنا اعتداء على المجتمع، لِمَا يؤدّى إليه من اختلاط الأنساب الذي فيه ضياع للمسؤولية الفرديّة بالنسبة للطفل في جانب رعايته وتوجيهه، وهو فوق ذلك قضاء على المجتمع لكثرة الأطفال غير الشرعيين[1].

[1] البهي، **منهج القرآن**، ص١١٦.

## المبحث الثالث: الأصول الاجتماعية في السُّوَر المكّيّة

إنّ المجتمع له وجود حقيقي، وقانون يتّبعه، وسنّة مطبوع عليها، ومصير يرتبط به، ويُستنتج من القرآن الكريم -خاصة من القصص القرآنية- أنّ للمجتمعات مصيرًا، وإدراكًا، وشعورًا، وعملاً، وطاعةً، وعصيانًا، وموتًا، غير أنّه ليس من السهل تحديد قوانينَ المجتمع وسننَه، ورسم حدودهما بخطوطٍ دقيقة؛ لأنّ المجتمع -على الرغم من كونه موجودًا حقيقيًا- مركّبٌ، يتركّب من النفسيّات، والأفكار، والعواطف، والميول، والإرادات، دون الأجسام والظواهر(١).

ومع ذلك يمكن أنْ يُتَحدَّث عن بعض المفاهيم التي تُعطِي الفكْرَة حول مصير المجتمع، وعن بعض الأوامر التي يُمكن أنْ تساعد في إعادة صياغة السّلُوك الاجتماعي، وتوجيه الظواهر الاجتماعية، ويمكِنُ تفصيل هذه المفاهيم والأوامر الاجتماعية التي تُستنتج من السُّوَر المكّيّة على النحو يلي:

### المطلب الأول: المفاهيم المتعلّقة بالظواهر الاجتماعية

#### أولاً: الفساد الاجتماعي:

"يعد الفساد الاجتماعي من أبرز المشكلات التي تعاني منها المجتمعات على مر العصور؛ فهي سِمَة البشريّة التي جاء ذكرها في القرآن الكريم(٢)" قال تعالى: **﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾** [البقرة: ٣٠]، فكما كان هو سبب هلاك الأمم السابقة، قال تعالى: **﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾** [هود: ١١٦].

ويُعرّفُ الفَسَاد بأنّه "خروج الشيء عن الاعتدال، قليلاً كان الخروج عنه أو كثيرًا، ويضادّه الصّلاح، ويستعمل ذلك في النّفس، والبدن، والأشياء الخارجة عن الاستقامة(٣)" كما يعرّف بأنّه حالة التحوّل من الاعتدال والاستقامة إلى الضّرر في جميع المجالات الحياتيّة

---

(١) ينظر: المطهري، **المجتمع والتأريخ**، ص٢١-٢٢.

(٢) رجب، منهج القرآن والسنة في معالجة الفساد الاجتماعي، ص٢٣٥.

(٣) الأصفهاني، **المفردات**، ص٦٣٦.

بانحراف القيم والأعراف عن الأنماط السلوكية المقبولة[١] أما الفساد الاجتماعي فالمقصود منه "خروج حالة المجتمع في جميع مجالاته عن الاعتدال والصلّاح إلى الانحراف والميل عن منهج الشرع الإسلامي"[٢].

ووردتْ مـادّة "فَسَدَ" في السّياق القرآني تسعاً وأربعين مرّة، ثلاث وثلاثون في السُّوَر المكّيّة، وسـت عشـرة فـي السُّوَر المدنية،[٣] فعدد الآيات المدنية التي تناولتْ الفَساد نصف الآيات المكّيّة، "ولعـلّ ذلـك يرجِع إلى طبيعة المجتمع المكّي الذي كانت فيه روح الجاهلية وتعاليمها الفاسدة، ويـتزعم قـيادة المجتمع أهل الفساد، لذا فقد أولى القرآن الكريم ظاهرة الفساد اهتماماً كبيراً، بهدف استئصال هذه الآفة من جذورها، وتطهير المجتمع من أرجاسها"[٤].

والقرآن الكريم نهى عن الفساد بكلّ أشكاله وأنواعه، فقال الله تعالى: **﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾** [الأعراف: ٥٦]، والمراد من الفساد في الآية هو الفسادُ بجميع أنواعه وأصنافه، قال الرازي: إنّ المراد فساد الكليّات الخمسة، وهي: النفوس والأموال والأنساب والأديان والعقول، وقال: "يدخل فيه المَنْع من إفساد النفوس بالقتل وبقطع الأعضاء، وإفساد الأموال بالغصب والسرقة، ووجوه الحيل، وإفساد الأديان بالكفر والبدعة، وإفساد الأنساب بسبب الإقدام على الزّنا واللواطة وسبب القذف، وإفساد العقول بسبب شرب المسكرات، وذلك لأنّ المصالح المعتبرة في الدنيا هي هذه الخمسة: النفوس والأموال والأنساب والأديان والعقول"[٥].

---

[١] ينظر: رجب (٢٠١٨)، عبد الرزاق أحمد أسعد، ومخاترة، جيانا محمد علي، منهج القرآن والسنة في معالجة الفساد الاجتماعي، **مجلة جامعة القدس المفتوحة للبحوث الإنسانية والاجتماعية**، العدد ٤٤، ص٢٣٨.

[٢] رجب، منهج القرآن والسنة في معالجة الفساد الاجتماعي، ص٢٣٨.

[٣] وجاء لفظ الفساد في السّور المكّيّة بدلالات مختلفة ضمن السّياق الذي وردتْ فيه، فجاء الفساد بمعنى السحر في قوله تعالى: **﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾** [يونس: ٨١]، وجاء مقابل للصلاح في قوله تعالى: **﴿الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾** [الشعراء: ١٥٢]، وجاء بمعنى القطيعة، قال الله تعالى: **﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾** [الرعد: ٢٥]، وجاء بمعنى سفك الدماء وانتهاك العرض، قال تعالى: **﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾** [القصص: ٤]، وغير ذلك من الدلالات.

[٤] اللوح (٢٠٠٧)، عبد السلام حمدان عودة و السوسي، ضيائي نعمان، الفساد وأسبابه: دراسة قرآنية موضوعية، **مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الإسلامية**، المجلد ١٥، العدد ٢، ص١٧٣-١٧٤.

[٥] الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج١٤-ص٢٨٣.

وجاء النّهي عن الإفساد بكلّ أشكاله في قوله تعالى: **﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾** [الأعراف: ٨٦]، أي الذين عُرِفُوا بالإفساد، وهم "الذين أفسدوا أنفسهم بعقيدة الشرك وبأعمال الضلال، وأفسدوا المجتمع بمخالفة الشرائع، وأفسدوا الناس بإمدادهم بالضلال وصدهم عن الهدى"[١]، ومن المفيد أنْ يُذكَرَ أنّ لفظـة المفسدين وردتْ في القرآن الكريم عشرين مرة، بينما لم ترِد لفظة المفسد إلا مرة واحدة، ولعلّ سبب ذلك أنّ القرآن الكريم "يُولِي فساد الجماعة وإفسادها من الاهتمام ما لم يولِ فساد الفرد[٢]".

ويفهم من السُّوَر المكّيّة العلاقة بين الإفساد الباطني والإفساد في الأرض، إذ يؤدّي أولهما لآخرهما، قال الله تعالى: **﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ﴾** [المؤمنون: ٧١]، وقد يقال: "إنّ الفساد الظاهري الذي يتبدّى في الأرض والمجتمع، ما هو إلا مظهرٌ خارجيٌّ لفساد آخر أشدَّ خطورة يصيب القلب فيقطعه عن مصدر الطاقة والنور، ويعطّل وظائفه؛ فهناك تلازم بين المرض القلبي والفساد في الأرض، ولا يزول أحدهما إلا بزوال الآخر"[٣].

والفساد القلبي هو أساس كلّ فساد وبدايتها، فسعي الإنسان تبع لمعتقده؛ فإذا كان المعتقد فاسدًا كان السعي فاسدًا، وإذا كان المعتقد صحيحًا كان سعيه صحيحاً، قال الله تعال: **﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾** [الإسراء: ١٩]. وربّما لهذا سُمّي الذين يُصرّون على كفرهم بالمفسدين[٤] في قوله تعالى: **﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ﴾** [يونس: ٤٠]، واستُعمل الإفساد بمعنى الكفر والمعصية[٥] في قوله تعالى: **﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾** [النحل: ٨٨]، واستخدم الملأ من قوم فرعون لفظ "الإفساد" بمعنى إفساد دين الناس وما ينشأ عن ذلك من السلوكيات السلبيّة في قوله تعالى: **﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ**

---

[١] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٨-ص٢٤٩.

[٢] اللوح، الفساد وأسبابه: دراسة قرآنية موضوعية، ص١٨٠.

[٣] التيجاني، الإصلاح في القرآن، ص٤٥.

[٤] ينظر: القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج٨-ص٣٤٥.

[٥] ينظر: القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج١٠-ص١٦٤.

**وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾** [الأعراف: ١٢٧]، "والإفساد عندهم هو إبطال أصول ديانتهم وما ينشأ عن ذلك من تفريق الجماعة، وحثّ بني إسرائيل على الحريّة، ومغادرة أرض الاستعباد"[١].

ويُشير القرآن الكريم إلى بعض أشكال الفساد الخاصة في إطار السِّمَة الاجتماعية التي تدور حولها. ويمكن تلخيص وصف المفسدين الشخصيّ، واعتقاداتهم، وأنواع الأفعال التي يقومون بها في الحياة على النحو الآتي:

- مجافاة العمل الصالح: قال الله تعالى: **﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾** [الشعراء: ١٥١، ١٥٢].

- قَطع الطريق، وترويع الناس في السفر، والصد عن سبيل الله تعالى: قال الله تعالى: **﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾** [الأعراف: ٨٦]، وقال الله تعالى: **﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾** [النحل: ٨٨].

-التطفيف: قال الله تعالى: **﴿وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾** [هود: ٨٥].

- انحراف الفطرة الجنسية: قال الله تعالى: **﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾** [العنكبوت: ٢٨ - ٣٠]، ووُصِفَ قوم لوط عليه السلام بالإفساد؛ لأنّهم يُفسِدون أنفسهم بشناعات أعمالهم ويفسِدون الناس بحملهم على الفواحش وتدريبهم عليها[٢].

- قهر الشعوب: قال الله تعالى: **﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾** [النمل: ٣٤].

- سفك الدماء والقهر: قال الله تعالى: **﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾** [القصص: ٤].

---

[١] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٩-ص٥٨.

[٢] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٢٠-ص٢٤١.

- العمل بالسحر: قال الله تعالى: **﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾** [يونس: ٨١].

"ولا يكتفي القرآن الكريم بمدِّنا بهذه القائمة الطويلة من أوصاف جمهور المفسدين، لكنّه يذهب خطوة أبعدَ في اتجاه التعريف والتعيين، ليقدّم "فرعون" في نحو من أربعة وسبعين موضعًا في القرآن بوصفه شخصيَّة نموذجيَّة في الفساد الاجتماعي، يجتمع فيها ضلال الاعتقاد، والطغيان السياسي، والغرور العِرقِي، والتنكيل الإجرامي، قال الله تعالى: **﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾** [القصص: ٤]، وبيّن أنّ أخطر أشكال الفساد الاجتماعي في ذات فرعون هو الكبر والاستعلاء بغير حقّ، وتقسيم الناس إلى فرق، واستضعاف طائفةٍ من أهل المملكة، والقتل وسفك الدماء[١].

**ثانياً: التغيّر الاجتماعي وضرورته**

يقصد بالتغيّر الاجتماعي التغيّر الذي يحدث داخل المجتمع، أو التحوّل أو التبدّل الذي يطرأ في جوانب المجتمع، وبمعنى آخر هو التحوّل الذي يطرأ على البناء الاجتماعي خلال فترة من الزمان، ويعرّف بأنّه كلّ تغيّر يطرأ على البناء الاجتماعي في الوظائف، والقِيَم، والعلاقات، والأدوار الاجتماعية التي تؤثّر في سلوك الأفراد، والتي تحدّد مكانتهم وأدوارهم في مختلف التنظيمات الاجتماعية التي ينتمون إليها خلال فترة محدودة من الزمان، وقد يكون هذا التغيّر إيجابيا أيْ تقدمًا، وقد يكون سلبيًّا أي تخلفًا، فليس هناك من اتجاه محدد للتغيّر[٢].

"ويعدّ الدّين أحدَ أهمّ عوامل التغيير في المجتمعات، بل هو من العوامل الرئيسة في تكوين الحضارات، حيثُ لا توجد دعوة دينية إلا وكان لها أتباع يؤمنون بها، ويتبعون قواعدها الصالحة والمعمّرة، وأنّ غاية وأثر الدين الصحيح هي إصلاح القوم الذين خوطبوا به، وساروا بطريقه على أسس مهمة في البناء والاكتمال للمجتمع."[٣]

---

[١] ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٢٠-ص٦٨/٧٠.

[٢] ينظر: الدقس، **التغير الاجتماعي**، ص١٥-١٩.

[٣] علي (٢٠١٨)، هيثم عبد الرحمن عبد القادر، خطاب الاعتدال والتسامح الإسلامي وأثره في استقرار المجتمع وتنميته، **مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإسلامية**، المجلد ٩، العدد ٣٧، عدد خاص بالمؤتمر الدولي الأول لجامعة الأنبار الموسوم الاعتدال في الخطاب الديني والسياسي وأثره في تعزيز التنمية المجتمعية، ص٥٦٥.

وقد يقال إنّ "أهمّ شيء يحثّ عليه القرآن الكريم ومن أجله أَنزلَ الله الكُتب وأرسل الرّسل هو تغيير المجتمعات"[١]، وبما أنّ أكثر القصص القرآنية تتضمن اقتراح النظام الاجتماعي الجديد، وثورة الفرد على مجتمعه الفاسد، كقصة نوح عليه السلام وقصّة إبراهيم عليه السلام وقِصّة أصحاب الكهف، وقصة لوط عليه السلام وكذا قصة الرسول ﷺ لذلك بدأت السور والآيات المكية بالتشديد على ضرورة التغيير الدينيّ والأخلاقيّ والاجتماعيّ، وبإنزال الوحي الإلهي على النبي ﷺ طرأت سلسلة من التغييرات على الأنساق الاجتماعية الجاهليّة في علاقتها بين الأفراد ونظمها وتركيب جماعتها، والمجتمع الجاهلي باصطحاب النبي ﷺ شهد واحداً من أكبر التغيّرات الاجتماعية عبر تاريخ العالم، وأصعبه ضد القوم الذين بلغوا الذروة في الكفر قبل حوالي ألف وأربعمائة وثمانية سنة.

ويشير القرآن الكريم إلى تغيُّر المجتمعات في قوله تعالى: **﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾** [الرعد: ١١]، بيّن تعالى أنّه "لا يغيّر ما بقوم من النّعمة والعافية حتّى يغيّروا ما بأنفسهم من طاعة الله جلّ وعلا"[٢]، وقد يفهم من الآية أنّ الله تعالى لا يغيّر ما بقوم من الضّلال، حتّى يغيّرَ القوم ما بهم من الظلم، أو ما بأنفسهم من الظنون والأفكار التي تسهّل عليهم ارتكاب الظلم[٣].

ويوضح جودتْ سعيد هذه الآية في كتابه الموسوم "حتى يغيروا ما بأنفسهم" بأنّ التغيّر الذي تتحدّث عنه الآية سُنّة عامّة تنطبق على كلّ البشر، وليستْ خاصة بالمسلمين ولا بغيرهم، وإنما هي عامة، وكذلك هي سنّة اجتماعية، ليستْ سنّة فرديّة، بمعنى أنّ كلمة "قوم" تعني الجمع أو الجماعة التي يُطلق عليها مجتمع، وهي أيضاً لا تتوجه إلى المشكلة الأخرويّة، وإنّما تتوجه إلى المحاسبة الدنيوية الاجتماعية، فالآية تتضمن التغيّرين، وفاعل التغيّر الأوّل هو الله تعالى، وفاعل التغيّر الثاني هو المجتمع، وهي هِبة من الله تعالى للقوم، والتغيّر الذي ينبغي أنْ يحدث أولاً هو التغيّر الذي جعله الله مهمّة القوم وواجبهم، وأنّ مجال التغيّر الذي يحدثه الله هو

---

[١] سعيد، جودت (١٩٧٩)، **حتى يغيروا ما بأنفسهم**، ط٨، دمشق: دار الثقافة للجميع، ص١٢٩.

[٢] الشنقيطي، **أوضاع البيان**، ج٢-ص٢٣٦.

[٣] ينظر: سعيد، جودت (١٩٧٩)، **حتى يغيروا ما بأنفسهم**، ط٨، دمشق: دار الثقافة للجميع، ص٧٢.

ما بأنفس القوم من أوصاف المجتمع، مثل: الغنى والفقر، والعزة والذلة، والصحّة والسّقم، التي تعود إلى المجتمع لا إلى فرد محدّد[١].

ويشير القرآن الكريم إلى بعض العوائق الاجتماعية التي تقف أمام التغيير الاجتماعي، ومن أهمها ما يأتي:

- **الثقافة التقليدية (العادات والتقاليد)**: فهي لا تساعد على حدوث عمليّة التغيير الاجتماعي بيُسْرٍ، وتميل إلى الثبات ومقاومة التغيير[٢]، وبيّن الله تعالى قُبحَ وضلالَ من يقاوم التغيير الديني الذي جاء به الأنبياء في عديد من الآيات القرآنية كقوله تعالى: **﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾** [لقمان: ٢١].

وتتبنى الثقافة التقليدية فلسفة تقديس القديم على أنّه ليس بالإمكان الإتيان بأفضل ممّا كان، ويعتقد معظم أعضائها أنّ طريق الأوّلين أهدى، ويشير إلى ذلك قوله تعالى: **﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ﴾** [الزخرف: ٢٢].

- **الميل للمحافظة على الامتيازات**: و"تظهر المقاومة للتغير من قبل الأفراد الذين يخشَون زوال مصالِحهم، تلك المصالح التي قد تكون في المكانة الاجتماعية، أو الامتيازات الاقتصادية، أو الاجتماعية، أو غير ذلك[٣]".

كما أراد سادة المشركين أنْ يستمرّ النظام الاجتماعي الجاهليّ المستند على عنصر الشرف، والنسب، والثراء، وما اشتركوا في مجلس النبي ﷺ المتشكل من الضعفاء والعبيد كي لا يفقِدوا امتيازاتهم الاجتماعية بأنْ يكونوا متساوين بهم.

"واستكبر سادة المشركين أنْ يتساووا بالعبيد والضعفاء في تلقي الوحي، ورغبوا إلى الرسول أنْ يميّزهم في المجلس، وأنْ يخصّهم بالدعوة في يوم لا يشاركهم فيه الأذلّاء والمستضعفون، فردّ الله عليهم بقوله تعالى: **﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾** [الأنعام: ٥٢]، وقوله تعالى: **﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ**

---

[١] ينظر: سعيد، جودت (١٩٧٩)، **حتى يغيروا ما بأنفسهم**، ط٨، دمشق: دار الثقافة للجميع، ص ٣١-٥٦.

[٢] الدقس، **التغير الاجتماعي**، ص٢٢٠.

[٣] الدقس، **التغير الاجتماعي**، ص٢٢٤.

**بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾** [الكهف: ٢٨]، وأمرَ الرسول ﷺ بألا يستجيب لغرور الكافرين، وكبريائهم"[١].

**ثالثاً: التفاوت الاجتماعي**

التفاوت الاجتماعي يعني وجود تفاوت طبقي في داخل المجتمع، سواء أكان هذا التفاوت اقتصاديًّا أم اجتماعيًّا، وهو ظاهرة اجتماعيّة لا يمكن إنكارها، ويقرّ القرآن الكريم "مبدأ الفروق الفرديّة بين الناس في قدراتهم وظروفهم واستعدادهم وثرواتهم، وأنّ الفقر والغنى حقيقتان ثابتتان من طبيعة الوجود الإنساني والاجتماعي"[٢] قال الله تعالى: **﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾** [الزخرف: ٣١ - ٣٣]، وقال تعالى: **﴿انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾** [الإسراء: ٢١]، وقال تعالى: **﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾** [الأنعام: ١٦٥].

تدلّ هذه الآيات أنّ الله تعالى فضّل الناس بعضهم على بعض بشتّى المجالات، وقسّم معيشتهم، ورفعَ بذلك بعضهم فوق بعض، وجعل بعضهم محتاجًا إلى بعض ومسخرًا به، وتبيّن الآيات حِكَمَ التفاوت الاجتماعي على النحو الآتي:

- **التعارف**: يشير قوله تعالى: **﴿لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾** أنّ الله تعالى قسّم معيشة الناس "ليستعين بعضهم ببعض فيتعارفوا ويتجمّعوا لأجل حاجة بعضهم إلى بعض؛ فتتكوّن من ذلك القبائل والمدن."[٣]

- **ابتلاء الناس**: يشير قوله تعالى: **﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ﴾** أيْ أنّ الله تعالى رفع بعض الناس درجات؛ "إذ لا يمكن ابتلاء الناس إلا بهذا التفاوت، ولو كان الناس

---

[١] رضوان، **النظرية الاجتماعية في الفكر الإسلامي**، ص٢٥٣.

[٢] السمالوطي، **بناء المجتمع الإسلامي**، ص٢٤٩.

[٣] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٢٥-ص٢٠٢.

كلهم في مستوى واحد من الرزق لَمَا احتاج أحدٌ لأحد، ولم يعد ثمّة مسوغ للدعوة لفعل الخيرات، وعمل الصالحات[١]".

"غير أنّ القرآن الكريم لا يسمح أنْ يُذلّ الفقير، ولا أن يتغطرس الغني، فيكوّن الحقد الطبقي والصراع الاجتماعي المدمّر، واستغلال بعض الناس موقفهم على السّلم الاقتصادي لنيل امتيازات غير مشروعة"[٢] ويرفض معيار التمايز الاقتصادي كأساسٍ لقيام بناءٍ طبقيٍّ، ويقدّم إلى المسلمين وجهة النظر حول التفاوت الاجتماعي بقوله تعالى: **﴿وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾**، فالآية تصرّح أنّ التفاضل الحقيقي بين الناس يكون بالإيمان والعمل الصالح، وأنّ أكبر الدرجات يكون في الآخرة، وأنّ درجات الدّنيا لا قيمة لها.

وفي الوقت نفسه أحاط هذا التفاوت بمجموعة من القيم والأوامر، ليطّهره ويحميه من آثاره الضارّة، ولعلّ أوّل هذه القيم هو التواضع، فلا تسمح الآيات القرآنية بتكبر الأفراد الأقوياء مالًا ومقامًا على الضعفاء في المجتمع، وانتقدت الأقوياء المشركين من العرب الذين يحقِّرون المستضعفين من المؤمنين من العبيد، والفقراء، فقال الله تعالى: **﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾** [الأعراف: ٤٨، ٤٩]، فبيّنتْ أنّ المال والقوّة لا قيمة لهما في الدنيا ولا في الآخرة، ولا يمكن أنْ يعتبرهما امتيازاً في المجتمع، بل يمكن أنْ يكونا استدراجًا إلى عذاب السعير، قال الله تعالى: **﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِئْيًا قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا﴾** [مريم: ٧٣ - ٧٥].

**المطلب الثّاني: الأوامر الاجتماعية في السُّوَر المكّيّة:**

من القضايا الّتي أولاها القرآن الكريم هي مسألة السّلوك الاجتماعي عند الإنسان، وحاول القرآنُ الكريم إعادة صياغة السّلوك الاجتماعي بإعادة الصياغة للقيم والقواعد والمعايير الاجتماعية، ووضَعتْ السُّوَر المكّيّة "أسساً للتعامل الاجتماعي الذي يقوم على الفضيلة ومكارم

---

[١] https://bit.ly/2AluCrC استرجع بتاريخ: (٨،٥،٢٠٢٠).

[٢] السمالوطي، **بناء المجتمع الإسلامي**، ص٢٤٩.

الأخلاق بما يضمن للمجتمع الإنساني الازدهار والتقدّم والقضاء على أسباب الانحدار وضياع الأمة، فالإسلام أراد للإنسانية أجمع حياةً كريمةً تقوم على القيم والمبادئ[١]".

ويمكن القول إنّ القرآن الكريم بدأ بتهذيب السلوك الاجتماعي للبشرية، وأعاد صياغة سلوكها في الفترة الأولى من نزول القرآن الكريم، فقد أعلن أنّ نظرته للحياة شاملة، لا تنقسم بين الجانب المادي والجانب المعنوي، كما ربط بين الجانب الاعتقادي والاجتماعي في عدد كبير من الآيات المكيّة، وأقرّ بأهميّة الجانب الاجتماعي بإشارته إلى المشكلات الاجتماعية البارزة آنذاك.[٢]

ويمكن الإشارة إلى بعض الأوامر الاجتماعية التي وجّهتها السُّوَر المكّيّة إلى الأفراد المسلمين على النحو الآتي:

**أولاً: اتباع سبيل الله في الأمور الاجتماعية**

إن الله تعالى أراد من الناس أن يتبعوا سبيله المستقيم، ويشمل هذا الأمر الحياة الاجتماعية، كما يشمل الحياة الخاصّة، بل قد يُقال إنّه متعلق بالحياة الاجتماعية أكثر من الحياة الخاصة؛ لأنّ الحياة الاجتماعية هي المجال الذي يمارس فيه الإنسان معالمه الأخلاقية.

ومن ألوان اتباع سبيل الله تعالى هو اتباع كتابه، وسنة رسوله ﷺ قال الله تعالى: **﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾** [الأعراف: ٣]، والمقصود من اتباع كتاب الله والسنة هو العمل بهما؛ لأنّ معنى "الاتباع يقتضي ذاتين: تابعًا ومتبوعًا، يقال: اتبع وتَبِعَ، ويستعار للعمل بأمر الآمر[٣]".

وفي آية أخرى، وصف الله تعالى اتباع سبيله باتباع شريعته، قال الله تعالى: **﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾** [الجاثية: ١٨، ١٩]، وأراد من أمة المسلمين اتباع شريعته بالعمل بها، وأخبر بعد هذا الأمر أنّه وليّ المتقين الذين يتبعون سبيله.

---

[١] عبيد، **القيم الإسلامية**، ص٣٧.

[٢] ينظر: عبد الواحد، **المجتمع الإسلامي**، ص٨-١٤.

[٣] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٨-ص١٥.

كما أخبر الله تعالى أنّ الملائكة أولياء للمؤمنين الذين يتبعون سبيل الله، قال الله تعالى: **﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾** [فصلت: ٣١]، ومعنى كون الملائكة أولياء للمؤمنين "أنّ للملائكة تأثيراتٍ في الأرواح البشريّة، بالإلهامات والمكاشفات اليقينية، والمقامات الحقيقية، كما أنّ للشياطين تأثيرات في الأرواح بإلقاء الوساوس فيها وتخييل الأباطيل إليها[١]".

ويبيّن الله تعالى بالتفصيل سبيله الذي يريد من المسلمين اتباعه في قوله تعالى: **﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾** [الأنعام: ١٥١، ١٥٣].

ومقابِل الأمر باتباع سبيل الله تعالى فإنه ينهى المسلمين عن اتباع سبيل الشياطين الذين هم العدوّ الأول والدائم للإنسان، قال تعالى: **﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾** [طه: ١١٧]، وأمر الله تعالى المسلمين بعدم اتخاذ الشياطين أولياءَ لهم، قال الله تعالى: **﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾** [فاطر: ٦]، وبيّن أنّ الشيطان عدوٌّ للإنسان، وأمرَ المسلمين بأنْ يتخذوا الشيطان عدوًا، والمراد من ذلك العمل بخلاف ما يدعو إليه لمقْتِه بالعمل الصالح[٢].

**ثانياً: التكافل الاجتماعي**

"يُقصد بالتكافل الاجتماعي أنْ يكون آحَادُ المجتمع في كفالة جماعتهم، وأنْ يكون كلّ قادر أو ذي سلطان كفيلاً في مجتمعه يمدّه بالخير، وأنْ تكون كلّ القوى الإنسانية في المجتمع متلاقية في المحافظة على مصالح الآحاد ودفع الأضرار عن البناء الاجتماعي وإقامته على أسس سليمة[٣]".

---

[١] الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٢٧-ص٥٦١.

[٢] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٢٢-ص٢٦١.

[٣] عبد القادر (٢٠١٨)، بتبغور، التكافل الاجتماعي أنواعه وأسسه التربوية في القرآن الكريم، **مجلة دراسات إنسانية واجتماعية**، جامعة وهران، العدد ٨، ص٢٨٢.

و"الآيات المكّيّة تبشر أساسًا بوحدانية الله تعالى، وتدعو إلى الإيمان به الإيمانَ الحق، وجاءت تقرن هذه الدعوة إلى الإيمان بالله بالدعوة إلى التكافل الاجتماعي، ونصرة الضعفاء والمحرومين من يتامى ومساكين وعَبِيد وعجزة، وحفظًا لكرامتهم، وعونًا لهم على القيام بالعمل المثمر، وقد ورد ذلك الاقتران مورد البيان لما يقتضيه الإيمان بالله من ذلك التكافل، وما يثمره من الدفع للقيام به، فكأنّما هو بُعدٌ مباشر من أبعاده، أو كأنّما هو وجه عمليٌّ له، ولهذه الثمرة من ثمار الإيمان مظاهر متعددة كما جاء في السياق القرآني[1]".

"فالإيمان بالله يقتضي التكافل النفسي المتمثل في النصرة المعنوية لمن هم في انكسار نفسي بسبب أو بآخر من الأسباب، وقد جاء في السُّوَر المكّيّة تأكيد مكرّر لهذا المعنى فيما أولى من عناية باليتيم كرمز لمُنكسري النفوس، إذ استجمع جميع معاني الانكسار النفسي، وذلك حينما جعل إكرام اليتيم ثمرة من ثمار الإيمان، ببيان أنّ الشرك من آثاره الاستهانة باليتامى والتنكّب عن نصرتهم والبرّ بهم، وهو المفهوم من قوله تعالى في محاجّة المشركين وتقريعهم: **﴿كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾** [الفجر: ١٧]، ومن قوله في وصف المشركين المكذبين بالدين: **﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ﴾** [الماعون: ١، ٢]، فهذه الآيات تفيد بأنّ من يؤمن بالله حقّ الإيمان يكون مكرمًا لليتيم، بارًّا به وناصرًا له، وذلك مفهوم بطريق الخلف (مفهوم المخالفة)، وهو عنوان للتناصر المعنويّ النفسيّ بين المؤمنين بالله، ويندرج فيه كافّة أنواع التناصر المعنوي، مثل تفريج الكرب عن المكروبين، وإغاثة الملهوف، ونصرة المظلوم، وتحرير المستعبدين[2]".

كما يقتضي الإيمان بالله التكافل الاقتصاديّ، وذلك بنصرة المحتاجين لمرافق الحياة وتوفير حاجاتهم منها، وقد جاءت السُّوَر المكّيّة مؤكدة على هذه النصرة، مبينة أنّها من ثمار الإيمان، وأنّ الإخلال بها من ثمار الشرك، قال تعالى: **﴿كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾** [الفجر: ١٧، ١٨]، وفي قوله تعالى: **﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ فَكُّ رَقَبَةٍ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾** [البلد: ١١ - ١٦]، ففي هذه الآيات تقرير بطريق الخُلفِ بأنّ الإيمان بالله تعالى من شأنِه أنْ يدفع المؤمن

---

[1] النجار، **الإيمان بالله**، ص٢٠٨-٢٠٩.

[2] النجار، **الإيمان بالله**، ص٢٠٩.

إلى كفالة إخوانه من المحرومين كفالة اقتصادية إضافة إلى الكفالة المعنوية بالتفريج النفسي، وذلك ببيان أنّ من صفات المشركين الاستهتار بالضعفاء والمحرومين[١]".

**ثالثاً: الانتباه إلى البيئة الاجتماعية**

لا شكّ أنّ البيئة الاجتماعية لها تأثير مباشر في توجيه سلوك الفرد العقدي والأخلاقي، ولذا بيّن الله تعالى حول أصحاب الكفار الذين يصرفونهم عَنِ النَّظَرِ فِي أفعالهم الفاسدة، فقال تعالى: **﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾** [فصلت: ٢٥]، قال ابن عاشور: قوله "قرناء" على وجهين: دُعاةً الكفر، أو شياطين للوسواس، وبيّن "أنهم زيّنوا لأصحابهم أعمالهم في الدّنيا من الفساد مثل عبادة الأصنام، وقتل النفس بلا حقّ، وأكلِ الأموال، والعدول والتعدّي على الناس باليد واللّسان، والميسر، وارتكاب الفواحش، فعودوهم باستحسان ذلك كلّه لِمَا فيه من موافقة الشهوات والرغبات العارضة القصيرة المدى، وصرَفوهم عن النظر فيما يُحِيطُ بأفعالهم تلك من المفاسد الذاتية الدائمة، ولقّنُوْهم العقائد الفاسدة مثل الشرك، وعدم الإيمان بالآخرة بالأدلة السفسطائية مثل قياس الغائب على الشاهد، ونفي الحقائق التي لا تدخل تحتَ المدركات الحسيّة كقولهم: **﴿أَإِذا مِتْنا وَكُنَّا تُراباً وَعِظاماً أَ إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ أَوَ آباؤُنَا الْأَوَّلُونَ﴾** [الصافات: ١٦، ١٧]."[٢]

وتشير الآيات المكّيّة أيضاً إلى أثر أشراف القوم وسادتهم في تشكيل عقيدة المجتمع وقيمه الأخلاقية؛ لأنّ لهم مكانة السمع والطاعة في مجتمعهم، "فقوم نوحٍ عليه السلام حاربوا دعوته خوفًا منهم أنْ تسلبهم الدعوة ما كانوا عليه من سلطان على أقوامهم؛ وعمدوا إلى تنفير قومهم من الدعوة؛ فقد أَوهَمُوهم أنّ المساواة في البشرية مانعة من الوساطة بين الله وبين خلقه، وهذا من الأوهام التي أضلّت أمَمًا كثيرة، وعمدوا إلى تصغير أمره وتحقيره لدى عامتهم، كَيْلا يتقبلوا قوله، وذلك بالإشارة إليه دون التصريح باسمه"[٣] قال الله تعالى: **﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾** [المؤمنون: ٢٤]، وكذا أخبر الله تعالى عن ثمود، قال تعالى:

---

[١] النجار، **الإيمان بالله**، ص٢١٠.

[٢] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٢٤-ص٢٧٤-٢٧٥.

[٣] حماد (٢٠١٥)، آمال خميس عبد القادر، الملأ في القرآن ودوره في فساد المجتمعات وصلاحها ومنهج القرآن في إصلاح هذا الفساد، **مجلة جامعة القدس المفتوحة للبحوث الإنسانية والاجتماعية**، العدد ٣٥، ص٣٣٧.

**﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٧٥]**، فبيّن محاولتهم إلقاء الشكّ في نفوس المؤمنين بأسلوب الاستفهام.

وكذلك فعلت القريش، قال الله تعالى: **﴿وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ أَأُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ﴾** [ص: ٦ - ٨]، فأشار إلى اتهامهم النبي ﷺ بالكذب، واستشهادهم على بطلان الدّين الحق لإقناعهم أهل القريش في الاستمرار على دينهم الباطل.

**رابعاً: وحدة المجتمع المسلم من أصول الدين:**

يُقصَد بوحدة الأمة من أصول الدين وجود جماعة من الناس تتفق في كليات العقيدة ودعائم الشريعة، وإن اختلفوا في الفروع والجزئيات من عادات وتقاليد وغيرها، فتبقى كتلة واحدة[١] كما أشار إليه قوله تعالى **﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾** [الأنبياء: ٩٢].

ووحدة المجتمع المسلم واجتماعهم من الأمور التي عُني به القرآن الكريم أيّما عناية، فقد جاءت كثير من الآيات آمرة باتباع سبيل الله، وناهية عن الاختلاف، والتفرق في أصول الدين، ومنها قوله تعالى: **﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾** [الأنعام: ١٥٣]؛ فالآية تأمر باتباع سبيل الله، وتحذر المسلمين من التفرّق، لأنّ اتباع الصراط المستقيم يُعين على المحافظة على الحق، ويعز أهله، كما أنّ التفرّق عن سبيل الله سبب لضعف المتفرّقين، وذُلّهم وضياع حقّهم، فبهذا التفرّق حلّ بأتباع الأنبياء السابقين ما حلّ من التخاذل والتقاتل والضعف وضياع الحق[٢].

ويشير مفهوم "التفرق" إلى قوة الاختلاف في الأحوال والآراء، ويشمل التفرّق بين الأمة بالإيمان بالرسول ﷺ والكفر به، ويشمل أيضاً التفرق بين الذين آمنوا بأنْ يكونوا نِحَلًا وأحزابًا[٣]، ويحذّر المسلمين من التفرّق في إقامة الدّين في كثير من الآيات، ومنها قوله تعالى:

---

[١] سبوعي (٢٠١٧)، خديجة، وحدة الأمة كما بينها القرآن الكريم أسبابها وآثارها دراسة موضوعية، رسالة الماجستير غير منشورة، جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي، ص١١.

[٢] ينظر: رشيد رضا، **تفسير المنار**، ج٨-ص١٧٣.

[٣] ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٢٥-ص٥٣.

**﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾** [الشورى: ١٣]، "فبدونِ الاتّفاق على إقامة الدّين يضطرب أمره، ووجه ذلك أنّ تأثير النفوس إذا اتّفقت يتوارد على قصد واحد، فيقوى ذلك التأثير، ويسرع في حصول الأثر؛ إذ يصير كلّ فرد من الأمة مُعينًا للآخر؛ فيسهل مقصدهم من إقامة دينهم، أمّا إذا حصل التفرّق والاختلاف فذلك مفضٍ إلى ضياع أمور الدّين في خلال ذلك الاختلاف، ثمّ هو لا يلبث أنْ يُلقي بالأمة إلى العداوة بينها، وقد يجرهم إلى أنْ يتربص بعضهم ببعض الدوائر[١]".

فأخبرت الآيات القرآنية عن تفرّق أهل الكتاب؛ تحذيرًا للأمة المسلمة من سلوك سبيلهم أو انتهاج طريقتهم، فقال تعالى: **﴿وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ﴾** [الشورى: ١٤]، أي أنّ الأمم السابقة ما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم الوحي[٢]، وهذا يؤكّد أنّ السبب الرئيس لتفرّق الأمم السابقة ليس الجهل، بل العداوة بينهم ومشاعر المصلحة الذاتية.

وأشارت الآيات القرآنية إلى تفرّق المشركين في اتخاذهم عدة آلهة أيضاً، وحذّرت المسلمين من الوقوع في حالهم، قال الله تعالى: **﴿مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾** [الروم: ٣٢]، راضون جَذِلون بأنهم اتخذوا طريقتهم في الدّين، وأنّهم لا يرضون على من خالفهم ويعادونه[٣].

**خامسًا: الكمية ليس لها أهميّة:**

واحد من أبرز القضايا لفتاً للنظر في السُّوَرِ المكّيّة هو قِلّة عدد أفراد الجماعات المسلمة، وكثرة عددِ الجماعات الكافرة، فعلى سبيل المثال، يذكر في سورة الشعراء متكررً أنّ قليلاً من أهل مكّة يؤمنون، قال تعالى: **﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾** [الشعراء: ٨].

---

[١] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٢٥-ص٥٤.

[٢] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٢٥-ص٥٦.

[٣] ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١٨-ص٧٣

فيمكن أنْ يقال إن قلة أتباع الأنبياء، وكثرة المخالفين من السُّنن الاجتماعية التي تقابل الأنبياء وورثتهم في كلّ مرحلة زمنية، وبذلك تخبر السُّوَر المكّيّة بأنّ أكثر الناس لا يعلمون ما يتعلق بالإيمان، والشريعة، والسنن الإلهية، فيُعرِضون، قال الله تعالى: **﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾** [الأنبياء: ٢٤].

وتشير القصص القرآنية في السُّوَر المكّيّة إلى أنّ أكثر البشريّة واجهت الرّسل بالتكذيب، قال الله تعالى: **﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾** [الفرقان: ٥٠]، لذلك يسلّي القرآن الكريم الرسول ﷺ بهذا التقرير: **﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾** [الفرقان: ٤٤][1].

وتظهر قصة نوح عليه السلام قضية أقليّة المسلمين، قال الله تعالى: **﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾** [هود: ٤٠]، واستعمل فرعون لفظ "شِرذمة" -وهي الطائفة القليلة من الناس-[2] واصفًا عدد المؤمنين من بني إسرائيل، وقال تعالى على لسانه: **﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾** [الشعراء: ٥٤]، وكذلك فإنّ أصحاب لوط عليه السلام بيتٌ واحد من المسلمين، قال تعالى: **﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾** [الذاريات: ٣٦].

يتضح بهذا أنّ "القرآن الكريم يفصل في بيان موقف الأكثرية الهالكة التي تعدّدت عليها الحُجج والبراهين بما يكفي لهدايتها، قال تعالى: **﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾** [الإسراء: ٨٩]، ويشير إلى الدوافع لتكذيبها بالحق في قوله تعالى: **﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾** [المؤمنون: ٧٠]، لذلك، يحذّر القرآن الرسول ﷺ وأتباعه من إطاعة المخالفين للحق وإن كانوا كثرة بقوله تعالى: **﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾** [الأنعام: ١١٦]."[3]

ولا شك أنّ هناك عِدّة أسباب وحكمٍ لاستطراد القرآن الكريم في بيان هذه السّنّة الكونية، ولعلّ من أكثرها تعلّقًا بموضوع هذه الدراسة هو ألا يستوحش المؤمنون بقلّتِهم، أو يشعروا في ظلّ هذه القلّة بالذلّ والهوان، كما أنْ يعرفوا أنّ معيار المدح ليس بالكثرة.

---

[1] ينظر: الخضري (٢٠١٣)، أنور بن قاسم، قراءة في مفهوم الأقلية بالقرآن الكريم، **المنتدى الإسلامي**، العدد ٣١٧، ص٢١.

[2] ينظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٢٤-ص٥٠٥.

[3] الخضري، القراءة في مفهوم الأقلية، ص٣١٧.

# النتائج

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبإعانته وتوفيقه تنتهي الأمور، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين، وبعد؛ فقد توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج، يمكن إيجازها في النقاط الآتية:

١. إنّ المقصود بـ (المجتمع) مجموعة من أفراد البشر- شخصين على الأقل- يعيشون معًا في منطقة جغرافية معيّنة ومحددة تحت تأثير عامل مشترك من حيث العقائد والأهداف.

٢. إنّ بناء المجتمع المسلم كان من أهم مهمّات السُّور المكيّة، حيث أعلن القرآن الكريم في بداية إنزاله خطّته الاجتماعية في هداية المجتمع بأنّه لا يَعزل الجانب الاجتماعي عن الجانب الاعتقادي، بل ربط بين الجانبين، فقد ربط بين التكذيب بالدّين والسلوك الفاسد في المجتمع، وبإنزال الوحي في بداية العهد المكّي ظهرت سلسلة من التغييرات على الأنساق الاجتماعية الجاهلية في علاقاتها بين الأفراد، ونُظُمها وتركيب جماعتها، وبدأ إنشاء المجتمع المسلم الذي تشكّله السُّور المكّية بصحبة النبي صلى الله عليه وسلم؛ وعليه يمكن أنْ يقال: إنّ بداية تجسّد المجتمع المسلم كان بإسلام أمّ المؤمنين خديجة الكبرى رضي الله عنها واستمرّ إنشاؤه بإسلام عليّ، وزيد بن حارثة، وأبي بكر، وبلال الحبشي ... وهم أوائل من أسلم في مرحلة الدعوة في مكة المكرمة.

٣. إنّ المقصود من تركيب "بناء المجتمع المسلم في السور المكية" هو إنشاء عناصر المجتمع المسلم وفقاً للمبادئ والأساليب والقيم المذكورة في السُّور المكّية. ويتضمّن هذا التركيب مفهومين: أحدهما: عناصر المجتمع المسلم التي يتشكّل منها، والثاني: أصول هذه العناصر التي تقوم عليها. وهذان المفهومان يُعدَّان مدخلاً إلى صلب القضايا، وتلميحان حول كيفية دراسة هذه الرسالة.

٤. إنّ المجتمع الجاهلي الذي شهد ختم النبوّة يحمل دلالة هامة لفهم المجتمع المحمدي وخصائصه، وأصوله، إذ يظهر من خصائص المجتمع الجاهلي العقدية والأخلاقية والاجتماعية أنه كان يحتاج إلى الرسالة الإلهية التي تُخرج أفراده من الظلمات إلى النور. وكانت مشكلتهم الرئيسة وسبب مشاكلهم الأخرى هي اعتقاداتهم الفاسدة

حول خالقهم، ولم يكون المجتمع الجاهلي يعبد إلهاً واحداً؛ لذلك كانت تصرفاتهم الأخلاقية وسلوكاتهم الاجتماعية بعيدة عن أن تكون خالصة لوجه الله تعالى.

٥. للمجتمع الإسلامي العناصر الأساسية لأيِّ مجتمع إنسانيّ وهي: الإنسان، والعلاقات، والبيئة. وقد تناولت السور المكية هذه العناصر بشكل دقيق ومفصل في عدة سياقات، فالعناصر المكونة للمجتمع المسلم ليست محصورة في السور المدنية، وإنما هي موجودة في السور المكية، وهي:

أ. إنّ الإنسان أهمّ عناصر المجتمع المسلم، وقد قدّمت السور المكية الصورة الواضحة الواقعية للإنسان، فقد خاطبت الإنسان من جانبين: الأوّل: الجانب الفرديّ، والثاني: الجانب الجماعي.

ففي الإطار الفرديّ المحدود تعرّف السور المكية الإنسان بأنّه مخلوق مكرّم، ومفضل على أكثر المخلوقات، وأنّه أهل للكمال والنقص على حدّ سواء، ولديه استعداد للخير والشر معًا، ولديه إرادة حرّة، وقدرة على اتخاذ القرار، واكتساب المعرفة، وهذه النقاط لا بد أن تكون معاييرًا لنظرة المجتمع المسلم حول الإنسان.

وفي منظور السور المكية أنّ كلّ الناس متساوون مطلقًا من حيث الخلق، ومكرّمون بالعقل، ومفضلون على أكثر المخلوقات، ولا بد أن ينظر المجتمع المسلم إلى هذه النقاط الثلاثة على أنها حقٌّ وجوديٌّ ومطلقٌ للإنسان، ولا بدّ أنْ تتشكل مؤسساته، ونظمه وفقاً لهذه النقاط، كما أنّ الإنسان من منظور السور المكية لديه استعداد لفعل الخير والشر، وأنّ على المجتمع المسلم وعيَ هذه النقطة عند تأسيس المؤسسات، وأنْ يهدف لمساعدة أفراده لأن يكونوا متميزين بضدّ هذه الصفات.

ومن منظور السور المكية أنّ الإنسان مخلوق اجتماعي أيضا، فقد وجّهت السور المكية الأفراد إلى منظومة من الضوابط العقدية، والأخلاقية، والاجتماعية لتحقيق الإنسان وظيفته الاجتماعية؛ فركزت آيات كثيرة من السُّور المكّيّة على أهمية الجانب الاجتماعي: كالإنفاق، والإرشاد، وحسن الخلق، وآداب التعامل مع المسلمين وغير المسلمين.

ب. العنصر الآخر للمجتمع المسلم هو البيئة، وقد تناولتها السُّور المكّيّة من نقطتين: الطبيعة والمدينة. وجاء تصوير الطبيعة في السور المكية بأنها

مخلوقة، ومستسلمة، ومعجزة، ولها غاية، ومملوكة لله تعالى، وانطلاقاً من هذا التصوّر يمكن القول إنّ من واجب الإنسان حماية الطبيعة من الدّمار، وأنّ ما ينبغي عليه هو إنشاء بيئة قريبة من الطبيعة؛ لأنّه كلّما كان قريبًا من الطبيعة كان قريبًا إلى آية من آيات الله تعالى الدالة على وجوده، وقدرته، ووحدانيته. أمّا المدينة وقد جاء ذكرها في السور المكيّة مع التركيز على بعض خصائصها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، ويمكن القول إنّ هذه الخصائص تحتوي على بعض الإشارات إلى ما ينبغي أنْ تكون عليه مدن المسلمين، ومنها: انشاء المدينة معنويّا لجلب مَيل الناس إلى الذهاب إلى تلك البلدة بسبب النّسك والطاعة لله تعالى، وإنشاؤها مادّيا لجلب مَيل الناس إليها بسبب الفعاليات الاقتصادية، وتوفير الأمن المطلق في كلّ المجالات السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية التي تتطلّب وجوده في المجتمع.

ت. إنّ العنصر الآخِر للمجتمع هو العلاقات، وهي عنصر أساسي يربط أفراد المجتمع، والعلاقات في السور المكية يمكن حصرها في ثلاثة أنماط، هي: العلاقة بين الخالق والإنسان، والعلاقات البشرية، والعلاقات البيئية. وقد بيّنت السور المكية أنّ العنصر الأساسي والفاعل في العلاقات البشرية والبيئية هو علاقة العبد بربه، المبنية على تحقق الغاية من وجوده في هذا الكون، وهي عبادة الله تعالى وتوحيده.

٦. للمجتمع الإسلامي الأسس الفكرية، والأخلاقية، والاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية التي ترسم حدود تصرفات أفراده وممارساتهم في شتّى المجالات على المستويين الفردي والجماعي. والسُّور المكّية -منذ بداية إنزالها- وجّهت لأفراد المجتمع المسلم هذه الأصول التي تُنشِئ شخصياتهم، ويبنى عليها مجتمعهم. أما الأصول التي تهتم بها السور المكية أكثر عند إنشائها المجتمع المسلم فهي: الأصول العقدية والعبادية، والأصول الأخلاقية، والأصول الاجتماعية.

أ. إنّ العقيدة أوّل خطوات إنشاء المجتمع المسلم، والسور المكية جعلت في مركز المجتمع المسلم الفكري الإيمان بالخالق الواحد، والمالك، والحاكم، والرزاق عند إنشاء هذا المجتمع. ويتبع هذه الخطوة الإيمان بالكتب الإلهية، والإيمان بالرسل، والإيمان باليوم الآخر، كلّ منهم يؤدون مهامّ مختلفة في بناء المجتمع.

ب. إنّ الأخلاق أساسُ قيام المجتمع المسلم، وقد حوت السُّوَر المكّيّة العديد من التوجيهات الأخلاقية المنظّمة لسلوك الإنسان، وحياته، وعلاقاته مع غيره. منها: أصول الأخلاق الفردية، مثل: العدل، والعفة، والتواضع، ومنها أصول الأخلاق الأسرية المنظمة لعلاقة الإنسان مع والديه وأولاده، ومنها أصول الأخلاق الاجتماعية، مثل: الوفاء بالعهد، وإيفاء الكيل والميزان، وحفظ مال اليتيم.

ت. السور المكية تتضمّن أصول المجتمع المسلم التي تُعطِي الفكْرَة حول مصير المجتمع، وتساعد في إعادة صياغة السّلُوك الاجتماعي، وتوجيه الظواهر الاجتماعية، فهي تتحدث عن الفساد الاجتماعي، والتغيّر الاجتماعي، والتفاوت الاجتماعي، وتوجه المسلمين إلى اتباع سبيل الله في الأمور الاجتماعية، والتكافل الاجتماعي، والانتباه إلى البيئة الاجتماعية، ووحدة المجتمع المسلم من أصول الدين.

# المصادر والمراجع


- ابن الأثير، المبارك بن محمد (ت: ٦٠٦هـ)، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩.
- أحمد، عبد الرزاق حسين (١٩٩٩)، **المكّي والمدني في القرآن الكريم: دراسة تأصيلية للسور والآيات من أول القرآن الكريم إلى نهاية سورة الإسراء**، القاهرة: دار ابن عفان.
- الأزدي، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد (ت: ٣٢١هـ)، **جمهرة اللغة**، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧.
- الأزرقي، محمد بن عبد الله (ت: ٢٥٠هـ)، **أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار**، دار الأندلس للنشر، بيروت.
- الأزهري، محمد بن أحمد (ت: ٣٧٠هـ)، **تهذيب اللغة**، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١.
- الأصفهاني، الحسين بن محمد الراغب (ت: ٥٠٢هـ)، **المفردات في غريب القرآن**، ط١، دار القلم، دمشق، ١٤١٢.
- ألبو شيخي، الشاهد (٢٠٠٩)، **مظاهر تكريم الإنسان في القرآن الكريم**، فاس: مطبعة آنفو.
- الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية.
- الألوسي، محمود شكري، **بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب**، مصر: دار الكتاب المصري.
- إيزوتسو، توشيهيكو (٢٠٠٧)، **الله والإنسان في القرآن علم دلالة الرؤية القرآنية للعالم**، (ط١)، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- بايونس، إلياس وأحمد، فريد، (١٩٨٣)، **مقدمة في علم الاجتماع الإسلامي**، ط١، جدة: شركة مكتبات عكاظ.
- البخاري، محمد بن إسماعيل (ت: ٢٥٦هـ)، **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه**، ط١، دار طوق النجاة، ١٤٢٢.
- البر، محمد موسى محمد أحمد وعلي، ومحمد نور موسى (٢٠١٧)، **قراءة في الحضارة الإسلامية: دراسة في معانيها وآثارها المعنوية والمادية**، (ط١)، القاهرة: الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي.

- البستاني، محمود (١٩٩٤)، **الإسلام وعلم الاجتماع**، ط١، بيروت: مجمع البحوث الإسلامية للدراسات والنشر.
- البغا، مصطفى ديب ومحيى الدين ديب مستو (١٩٩٨)، **الواضح في علوم القرآن**، ط٢، دمشق: دار الكلم الطيب.
- البغدادي، محمد بن حبيب بن أمية (ت: ٢٤٥هـ)، **المحبر**، دار الآفاق الجديدة، بيروت.
- البيضاوي، عبد الله بن عمر بن محمد (ت: ٦٨٥هـ)، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٨.
- البوطي، محمد سعيد رمضان (١٩٩١)، **فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة**، ط١، بيروت: دار الفكر المعاصر.
- بوعود، أحمد (٢٠١٣)، **مفهوم الجاهلية وعلاقته بالتفكير دراسة تقويمية**، القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة.
- البهي، محمد (١٩٩٥)، **منهج القرآن في تطوير المجتمع**، ط٢، القاهرة: مكتبة وهبة.
- البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، **شعب الإيمان**، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٠.
- التيجاني، عبد القادر حامد (١٩٩٥)، **أصول الفكر السياسي في القرآن المكي**، عمان: دار البشير للنشر والتوزيع.
- الجراد، محمد عايد (٢٠٠٩)، **كرامة الإنسان في القرآن الكريم**، ط١، الأردن: عالم الكتب الحديث.
- الجرجاني، علي بن محمد بن علي (ت: ٨١٦هـ)، **كتاب التعريفات**، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣.
- الجريسي، خالد بن عبد الرحمن، **العصبية القبلية من منظور الإسلامي**.
- جعفر، هشام (٢٠١٣)، **منهج النظر إلى مفهوم الجاهلية**، مصر: شركة ألكسندرينا للنشر والتسويق، مراصد – كراسات علمية.
- جمعة، أسعد أحمد وجمعة، عارف أسعد (٢٠٠٥)، **دراسات في علم الاجتماع الإسلامي**، ط١، دمشق: دار العصماء.
- الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد (ت: ٣٩٣هـ)، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧.

- الحاج، عبد الرحمن (٢٠١٢)، **الخطاب السياسي في القرآن السلطة والجماعة ومنظومة القيم**، ط١، بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر.
- ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩.
- الحسني، إسماعيل (٢٠١٧)، **مفهوم الإصلاح في القرآن الكريم دراسة في أسبابه ومظاهره**، ط١، الأردن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي.
- حسنين، جمال مجدي (٢٠٠٧)، **سوسيولوجيا المجتمع**، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
- الحكيم، محمد باقر (٢٠٠٦)، **المجتمع الإنساني في القرآن الكريم**، ط٢، النجف: مؤسسة تراث الشهيد الحكيم.
- حلاق، وائل (٢٠١٩)، **القرآن والشريعة نحو دستورية إسلامية جديدة**، ط١، بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر.
- حمودة، مسعد الفارق والمليجي، إبراهيم (٢٠٠١)، **المدخل إلى تنظيم المجتمع**، الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث.
- أبو حنيفة، النعمان بن ثابت (ت: ١٥٠هـ)، **الفقه الأكبر**، مكتبة الفرقان، الإمارات العربية، ١٩٩٩.
- الحوت، محمود سليم (١٩٩٥)، **في طريق الميثولوجيا عند العرب بحث مسهب في المعتقدات والأساطير العربية قبل الإسلام**، (ط١)، دار النهار للنشر.
- الحوفي، أحمد محمد (١٩٦٢)، **الحياة العربية من الشعر الجاهلي**، ط٤، مصر: مكتبة النهضة.
- الخالدي، صلاح عبد الفتاح (٢٠١٢)، **التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق دراسة نظرية تطبيقية مرفقة بنماذج ولطائف التفسير الموضوعي**، ط٣، الأردن: دار النفائس.
- الخشاب، مصطفى (١٩٩٣)، **علم الاجتماع ومدارسه**، ط٥، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.
- الخطيب، عبد الكريم (١٩٧٩)، **الإنسان في القرآن الكريم من البداية إلى النهاية**، ط١، دار الفكر العربي.
- الخياط، عبد العزيز عزت (١٩٨٩)، **المجتمع المتكافل في الإسلام**، ط٣، القاهرة: دار السلام.
- دخل الله، أيوب (٢٠١٥)، **التربية ومشكلات المجتمع في عصر العولمة**، بيروت: دار الكتب العلمية.

- دراز، محمد عبد الله (١٩٨٩)، **دراسات إسلامية في العلاقات الاجتماعية والدولية**، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
- دراز، محمد عبد الله، **دستور الأخلاق في القرآن**، مؤسسة الرسالة.
- دروزة، محمد عزة (١٩٤٦)، **عصر النبي وبيئته قبل البعثة صور مقتبسة من القرآن الكريم ودراسات وتحليلات قرآنية**، دمشق: مطبعة دار اليقظة العربية.
- دسوقي، فاروق (١٩٨٣)، **مقومات المجتمع المسلم**، الإسكندرية: دار الدعوة.
- الدقس، محمد عبد المولى (٢٠١٤)، **التغير الاجتماعي بين النظرية والتطبيق**، ط٣، الأردن: دار المجدلاوي للنشر والتوزيع.
- الدقور، سليمان (٢٠١٥)، **القرآن ومعادلات صناعة الإنسان**، ط١، الأردن: جمعية المحافظة على القرآن الكريم.
- الدقور، سليمان وبكر، محمد (٢٠١٨)، **سور من القرآن الكريم مقاصد وقيم ودلالات سورة عبس سورة الزمر سورة الطور سورة العنكبوت**، ط١، الأردن: جمعية المحافظة على القرآن الكريم.
- الذبياني، النابغة، **ديوان النابغة الذبياني**، ط٢، القاهرة: دار المعارف.
- الرازي، محمد بن عمر بن الحسن (ت: ٦٠٦هـ)، **مفاتيح الغيب**، ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠.
- عبد الرحمن، عائشة، **القرآن وقضايا الإنسان**، ط١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٢.
- الرشدان، عبد الله وجعنيني، نعيم (١٩٩٤)، **المدخل إلى التربية والتعليم**، ط١، الأردن: المركز العربي للمطبوعات.
- رشيد رضا، محمد رشيد بن علي رضا (١٩٩٠)، **تفسير القرآن الحكيم (المنار)**، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- رضوان، زينب (١٩٨٢)، **النظرية الاجتماعية في الفكر الإسلامي : أصولها وبناؤها من القرآن والسنة**، ط١، القاهرة: دار المعارف.
- رمزي، عبد القادر هاشم (١٩٨٤)، **النظرية الإسلامية**، الدوحة: دار الثقافة.
- الرومي، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان (١٩٩٦)، **الصلاة في القرآن الكريم مفهومها وفقهها**، ط٧، الرياض: مكتبة العبيكة.

- الزعبي، أحمد محمد (٢٠٠١)، **أسس علم النفس الاجتماعي**، عمان: دار زهران.
- الزمخشري، محمود بن عمرو بن أحمد (ت: ٥٣٨هـ)، **أساس البلاغة**، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩.
- الزمخشري، محمود بن عمرو بن أحمد (ت: ٥٣٨هـ)، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، ط٣، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧.
- سبع، توفيق محمد، **قيم حضارية في القرآن الكريم العالم الذي صنعه القرآن**، القاهرة: دار المنار للنشر والتوزيع.
- ابن سعد، محمد بن منيع (ت:٢٣٠ه)، **الطبقات الكبرى**، ط١، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨.
- آل سعدي، عبد الرحمن بن ناصر، **القول السديد شرح كتاب التوحيد**، ط٢، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية.
- أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى (ت: ٩٨٢هـ) **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- سعيد، جودت (١٩٧٩)، **حتى يغيروا ما بأنفسهم**، ط٨، دمشق: دار الثقافة للجميع.
- سقال، ديزيره (١٩٩٥)، **العرب في العصر الجاهلي**، ط١، بيروت: دار الصداقة العربية.
- سلطان، جاسم (٢٠١٥)، **أنا والقرآن محاولة فهم**، ط١، بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ص٢١٥.
- سلطان، جاسم (٢٠١٨)، **النسق القرآني ومشروع الإنسان قراءة قيمية راشدة**، ط١، بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر.
- السمالوطي، نبيل (١٩٩٨)، **بناء المجتمع الإسلامي ونظمه دراسة في علم الاجتماع الإسلامي**، ط٣، جدة: دار الشروق.
- الشايع، محمد بن عبد الرحمن (١٩٩٧)، **المكي والمدني في القرآن الكريم**، الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية.
- شمس الدين، محمد مهدي (١٩٩٥)، **بين الجاهلية والإسلام**، ط٤، بيروت: المؤسسة الدولية.
- الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد (ت: ١٣٩٣هـ)، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله، **فتح القدير**، ط١، دار ابن كثير، دمشق، ١٤١٤.
- الصدر، محمد باقر (٢٠١٣)، **المدرسة القرآني**، ط٢، بيروت: دار الكتاب الإسلامي.
- الصعيدي، عبد الحكم عبد اللطيف (١٩٩٤)، **البيئة في الفكر الإنساني والواقع الإيماني**، ط١، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية.
- صقر، السيد أحمد (١٩٣٥)، **شرح ديوان علقمة الفحل**، ط١، القاهرة: مكتبة المحمودية التجارية.
- الصلت، أمية بن أبي الصلت، **شرح ديوان أمية بن أبي الصلت**، تعليق: سيف الدين الكاتب وأحمد الكاتب، بيروت: دار مكتبة الحياة.
- الضبي، المفضل بن محمد بن يعلى بن سالم (ت: نحو ١٦٨هـ)، **المفضليات**، ط٦، تحقيق: أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة.
- ضيف، شوقي، **العصر الجاهلي**، ط١١، القاهرة: دار المعارف.
- الطبري، محمد بن جرير (ت: ٣١٠هـ)، **جامع البيان في تأويل القرآن** ، ط١، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٠.
- طقوش، محمد سهيل (٢٠٠٩)، **تاريخ العرب قبل الإسلام**، ط١، بيروت: دار النفائس.
- عاشور، السعيد (١٩٩٨)، **الإنسان في القرآن الكريم**، القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع.
- عباس، فضل حسن (١٩٩٧)، **إتقان البرهان في علوم القرآن**، ط١، عمان: دار الفرقان.
- عبد الباقي، محمد فؤاد (١٣٦٤)، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، مصر: دار الكتب المصرية.
- عتر، نور الدين محمد (١٩٩٣)، **علوم القرآن الكريم**، دمشق: مطبعة الصباح.
- عثمان، إبراهيم عيسى (٢٠١٤)، **مقدمة في علم الاجتماع**، عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع.
- عثمان، محمد موسى محمد (١٩٨٠)، **نظرية تقويم الفرد وتنظيم المجتمع الإسلامي**، القاهرة: مجمع البحوث الإسلامية.

- عدس، محمد عبد الرحيم (١٩٨٥)، **من خصائص النفس البشرية في القرآن الكريم**، ط١، الأردن: مكتبة المنار.
- علي، جواد، **تاريخ الصلاة في الإسلام**، بغداد: مطبعة ضياء.
- علي، جواد (٢٠٠١)، **المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام**، ط٤، دار الساقي.
- العلي، صالح أحمد (٢٠٠٠)، **تاريخ العرب القديم والبعثة النبوية**، ط١، بيروت: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر.
- عمارة، محمود محمد، **تربية الأولاد في الإسلام من الكتاب والسنة**، المنصورة: مكتبة الإيمان.
- عمر، أحمد مختار عبد الحميد (٢٠٠٨)، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، ط١، عالم الكتب.
- أبو عودة، عودة خليل (١٩٨٥)، التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم، ط١، الأردن: مكتبة المنار.
- أبو غدة، حسن عبد الغنى ومجموعة من المؤلفين (٢٠١٧)، **الإسلام وبناء المجتمع**، ط٧، مكتبة الرشد.
- ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا، **معجم مقاييس اللغة**، دار الفكر، ١٩٧٩.
- الفاروقي، إسماعيل راجي (٢٠١٦)، **التوحيد ومضامينه في الفكر والحياة**، ط١، الأردن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي.
- الفالح، محمد بن عبد العزيز بن عبد الله (٢٠١٢)، **المكي والمدني من السور والآيات من أول سورة الكهف إلى آخر سورة الناس**، الرياض: دار التدمرية.
- الفراهيدي، الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم (ت: ١٧٠هـ)، **كتاب العين**، دار ومكتبة الهلال.
- الفرماوي، حمدي علي، **البناء النفسي في الإنسان دراسة من فيض القرآن الكريم**، القاهرة: مكتبة زهراء الشرق.
- الفوال، صلاح مصطفى (١٩٨٥)، **التصور القرآني للمجتمع الأنساق والنظم الاجتماعية**، القاهرة: دار الفكر العربي.
- الفيومي، محمد إبراهيم (١٩٩٤)، **تاريخ الفكر الديني الجاهلي**، ط٤، القاهرة: دار الفكر العربي.
- القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت: ٦٧١هـ)، **الجامع لأحكام القرآن**، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٦٤.

- قطب، سيد (١٩٧١)، **في ظلال القرآن**، ط٧، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- قطب، محمد (١٩٨٠)، **دراسات قرآنية**، ط٢، القاهرة: دار الشروق.
- القلقشندي، أحمد بن علي (ت: ٨٢١هـ)، **نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب**، دار الكتاب اللبنانين، بيروت، ١٩٨٠.
- ابن كثير، إسماعيل بن عمر (ت: ٧٧٤هـ) **تفسير القرآن العظيم**، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩.
- كشك، محمد بهجت (١٩٨٦)، **المدخل إلى تنظيم المجتمع**، الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث.
- الكلبي، هشام بن محمد أبي النضر ابن السائب بن بشر (ت: ٢٠٤هـ)، **كتاب الأصنام**، ط٤، دار الكتب المصرية، القاهرة، ٢٠٠٠.
- عبد اللطيف، رشاد أحمد (١٩٩٩)، **طريقة تنظيم المجتمع في الخدمة الاجتماعية: مدخل إلى دراسة المجتمع**، الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث.
- الماتريدي، أبو منصور محمد بن محمد (ت: ٣٣٣هـ)، **تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)**، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥.
- الماتريدي، أبو منصور محمد بن محمد (ت: ٣٣٣)، **شرح الفقه الأكبر المتن المنسوب إلى الإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي**، المراجعة: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، النفقة الشؤون الدينية، قطر.
- ماكيفر، روبرت مريسون (١٩٦٨)، **الجماعة**، دار الفكر العربي.
- محمود، محمود عرفة (١٩٩٥)، **العرب قبل الإسلام أحوالهم السياسية والدينية وأهم مظاهر حضارتهم**، ط١، مصر: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية.
- مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ)، **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم**، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- المشوخي، عبد الله سليمان (١٩٨٧)، **مجتمعنا المعاصر أسباب ضعفه ووسائل علاجه**، ط١، الأردن: مكتبة المنار.
- المصري، محمد أمين (١٩٨٠)، **المجتمع الإسلامي**، ط١، الكويت: دار الأرقام.

- المطهري، الشهيد مرتضى (١٩٧٩)، **المجتمع والتأريخ**، ط١، إيران: وزارة الإرشاد الإسلامي.
- مكرم، عبد العال سالم (١٩٨٨)، **أثر العقيدة في بناء الفرد والمجتمع**، ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة.
- المليجي، إبراهيم عبد الهادي (٢٠٠٣)، **تنظيم المجتمع المعاصر نظرة تكاملية لطرق الخدمة الاجتماعية**، الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث.
- ابن منظور، محمد بن مكرم (ت: ١٤١٤هـ)، **لسان العرب**، ط٣، دار صادر، بيروت.
- المودودي، أبو الأعلى (١٩٨٠)، **الإسلام والجاهلية**، ط٢، القاهرة: دار التراث العربي.
- النبهان، محمد فاروق (٢٠٠٥)، **المدخل إلى علوم القرآن الكريم**، حلب: دار عالم القرآن.
- النجار، عبد المجيد (١٩٩٧)، **الإيمان بالله وأثره في الحياة**، ط١، بيروت: دار الغرب الإسلامي.
- الندوي، أبو الحسن (٢٠١٢)، **ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟**، ط١، القاهرة: دار ابن الجوزي.
- نزال، عمران سميح (٢٠٠٣)، **المدخل العلمي والمعرفي لفهم القرآن الكريم**، ط١، الأردن: دار القراء.
- النص، إحسان، **العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي**، دار اليقظة العربية.
- نعناع، محمد فؤاد (١٩٩٤)، **الجود والبخل في الشعر الجاهلي**، ط١، دمشق: دار طلاس.
- نوفل، أحمد (٢٠١٣)، **تفسير سورة الإسراء دراسة تحليلية موضوعية**، ط١، الأردن: جمعية المحافظة على القرآن الكريم.
- نوفل، أحمد (٢٠١٩)، **تفسير سورة هود دراسة تحليلية موضوعية**، ط١، الأردن: جمعية المحافظة على القرآن الكريم.
- عبد الواحد، مصطفى (١٩٧٤)، **المجتمع الإسلامي أهدافه ودعائمه وأوضاعه وخصائصه في ضوء الكتاب والسنة**، ط٢، بيروت: دار الجيل.
- ابن هشام، عبد الملك (ت: ٢١٨هـ)، **السيرة النبوية لابن هشام**، ط٢، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٩٥٥.

- هيلند، ربرت (٢٠١٠)، **تاريخ العرب في جزيرة العرب من العصر البرونزي إلى صدر الإسلام**، ط١، بيروت: شركة قدمس للنشر والتوزيع.
- يالجن، مقداد(١٩٧٧)، **التربية الأخلاقية الإسلامية**، مصر: مكتبة الخانجي.
- يالجن، مقداد (١٩٩٢)، **علم الأخلاق الإسلامية**، ط١، الرياض: دار عالم الكتب للطباعة والنشر.
- ينبعي، محمد (٢٠١٣)، **مفهوم الجهل والجاهلية في القرآن الكريم والسنة النبوية: دراسة مصطلحية وتفسير موضوعي**، (ط.١)، مصر: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة.

**المجالات والدوريات:**


- أفقير، محمد مصطفى (٢٠١٨)، **الأوضاع السياسية والدينية والثقافية بشبه الجزيرة قبيل عصر النبوة**، مجلة دراسات تاريخية، العدد ٢٤، ص٤١١-٤٦٠.
- انويجي، فطيمة محمد (٢٠١٧)، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، **مجلة الجامعي**، العدد ٢٥، ص٦٨-٨٩.
- أوزدمير، إبراهيم (٢٠٠٨)، البيئة في القرآن الكريم، **مجلة التنوير**، العدد: ٥، إبريل، ص١٦٤-١٨٢.
- البرزنجي، عماد سركول محى الدين، النساء في الجاهلية والإسلام في ضوء القرآن الكريم: دراسة موضوعية، **مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية**، المجلد ٨، العدد ٢، ص٣١٧-٣٤٣.
- التيجاني، عبد القادر حامد (٢٠١١)، الإصلاح في القرآن استكشاف المفهوم وبناء النظرية، **مجلة إسلامية المعرفة**، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، المجلد ١٧، العدد ٦٦، ص١١-٤٧.
- الحسيني، عفاف حسن أحمد (٢٠٠٩)، القيم والمبادئ المتضمنة لخطبة الرسول صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع، **مجلة كلية التربية بالمنصورة**، جامعة المنصورة، العدد:٦٩، يناير، ص٤٧٤-٥٠١.
- حماد، آمال خميس عبد القادر (٢٠١٥)، الملأ في القرآن ودوره في فساد المجتمعات وصلاحها ومنهج القرآن في إصلاح هذا الفساد، **مجلة جامعة القدس المفتوحة للبحوث الإنسانية والاجتماعية**، العدد ٣٥، ص٣٢٣-٣٥٢.
- الحواس، عبد المنعم بن حواس بن محمد (٢٠١٧)، حقوق اليتيم في القرآن الكريم: دراسة موضوعية تحليلية، **مجلة تبيان للدراسات القرآنية**، العدد ٢٩، ص٢١-١١٦.
- الخضر، زكريا علي (٢٠١٦)، القيم الحضارية في قصة سيدنا شعيب عليه السلام دراسة قرآنية، **مجلة دراسات علوم الشريعة والقانون**، المجلد ٤٣، ملحق ١، ص٤٣٣-٤٤٧.
- الخضري، أنور بن قاسم (٢٠١٣)، قراءة في مفهوم الأقلية بالقرآن الكريم، **المنتدى الإسلامي**، العدد ٣١٧، ص٢٠-٢٥.
- الخطيب، معتز (٢٠١٧)، آيات الأخلاق: سؤال الأخلاق عند المفسرين، **Journal of Islamic Ethics**، Volume I، ص٨٣-١٢١.

- رجب، عبد الرزاق أحمد أسعد، ومخاترة، جيانا محمد علي (٢٠١٨)، منهج القرآن والسنة في معالجة الفساد الاجتماعي، **مجلة جامعة القدس المفتوحة للبحوث الإنسانية والاجتماعية**، العدد ٤٤، ص٢٣٤-٢٤٧.
- الشمري، ظاهر ذباح، لمحة عن الأحوال الاقتصادية عند العرب قبل الإسلام، **مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية**، المجلد ٤، العدد ٢، ص٣١٩-٣٤١.
- صالح، محمود عبد الحميد محمود (٢٠١٥)، حماية المستهلك في الإسلام، **مجلة البحوث الإسلامية**، العدد ٢، إبريل، ص١٢٩-١٥٢.
- الطويل، السيد رزق (١٩٩٠)، الأمن والأمانة في القرآن الكريم، **مجلة الأمن**، العدد الأول، جمادى الآخرة، ص٦٥-٨٠.
- عبيد، زينب حكيم (٢٠٢٠)، القيم الإسلامية وإسهامها في تكامل المجتمعات دراسة تحليلية، **مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية**، المجلد ٢٨، العدد ١، ص٢٧-٤٦.
- علي، هيثم عبد الرحمن عبد القادر (٢٠١٨)، خطاب الاعتدال والتسامح الإسلامي وأثره في استقرار المجتمع وتنميته، **مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإسلامية**، المجلد ٩، العدد ٣٧، عدد خاص بالمؤتمر الدولي الأول لجامعة الأنبار الموسوم الاعتدال في الخطاب الديني والسياسي وأثره في تعزيز التنمية المجتمعية، ص٥٥٣-٥٧٢.
- الغانمي، مهدي حارث مالك (٢٠١٠)، الجاهلية في القرآن الكريم: قراءة في الدلالة، **مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية**، المجلد ٩، العدد ١، ص٦٣-٨٦.
- الفريح، حامد بن يعقوب بن يوسف (٢٠١١)، بر الوالدين في القرآن الكريم: دراسة موضوعية، **مجلة تبيان للدراسات القرآنية**، العدد ٩، ص١٧١-٢٢٠.
- عبد القادر، بتبغور (٢٠١٨)، التكافل الاجتماعي أنواعه وأسسه التربوية في القرآن الكريم، **مجلة دراسات إنسانية واجتماعية**، جامعة وهران، العدد ٨، ص٢٨١-٣٠٠.
- عبد الله، سليمان التوم دشاش (٢٠٠٩)، الأسس والقواعد الفكرية التي تحكم علاقة المسلمين بغيرهم من أصحاب الديانات، **مجلة العدل**، العدد:٢٧، السنة:١١، ص٢٤٩-٢٨٥.
- اللوح، عبد السلام حمدان عودة والسوسي، ضيائي نعمان (٢٠٠٧)، الفساد وأسبابه: دراسة قرآنية موضوعية، **مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الإسلامية**، المجلد ١٥، العدد ٢، ص١٦٧-١٩٩.

- المسيميري، رياض بن محمد (١٤٣٧)، أمن البلدان من خلال القرآن دراسة موضوعية، **مجلة تبيان للدراسات القرآنية**، العدد ٢٣، ص١١٣-١٦٩.
- مفقوده، صالح (٢٠٠١)، القيم الأخلاقية للعربي من خلال الشعر الجاهلي، **مجلة العلوم الإنسانية**، جامعة محمد خيضر بسكرة، العدد الأول، نوفمبر، ص١٨٣-١٩٦.

**المؤتمرات:**

- دواق، الحاج بن أوحمنة (٢٠١٢)، الانتماء للأمة في الرؤية التوحيدية من شرطية الطبيعة والخلقة إلى أفق القيمة. في فتحي حسن ملكاوي (المحرر)، فقه الانتماء **إلى المجتمع والأمة**، ط١، الأردن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ص٢١-٦٠.
- موسى، نعيم هدهود حسين (٢٠١٦)، علاج مشكلة الربا في القرآن الكريم: دراسة موضوعية مقاصدية، **المؤتمر الدولي القرآني الأول: توظيف الدراسات القرآنية في علاج المشكلات المعاصرة**، ص٤٨٤٣-٤٨٨٢.
- نزال، عمران سميح (٢٠١٢)، فقه الانتماء إلى المجتمع والأمة بين المفهوم العقدي والإجرائي. في فتحي حسن ملكاوي (المحرر)، **فقه الانتماء إلى المجتمع والأمة**، ط١، الأردن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ص٦١-٩٢.
- نعمان، صالح (٢٠١٢)، دور العقيدة الإسلامية في تعزيز الانتماء للمجتمع. في فتحي حسن ملكاوي (المحرر)، **فقه الانتماء إلى المجتمع والأمة**، ط١، الأردن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ص١٢٧-١٥١.

**الرسائل الجامعية:**

- البدوي، أحمد عباس (١٩٨١)، **أهمّ خصائص السور والآيات المكية ومقاصدها**، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية.
- التكية، عثمان أحمد عبد الجليل (١٩٩٩)، تفسير لسورة المطففين: دراسة موضوعية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية.
- حكيم، عبد الحميد بن عبد المجيد (١٤١٠)، العقيدة في السور المكية وتوجيهاتها التربوية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى.

- الصمادي، عبد الله محمد سعيد أحمد (٢٠٠٣)، النظام الأخلاقي في الآيات المكية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة آل البيت، الأردن.
- السادة، مريم حسين علي محمد (٢٠١٧)، المنهاج القرآني في البناء الأخلاقي للإنسان وأثره في رواد مراكز القرآن الكريم وعلومه في دولة قطر، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة قطر.
- سبوعي، خديجة (٢٠١٧)، وحدة الأمة كما بينها القرآن الكريم أسبابها وآثارها دراسة موضوعية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي.
- أبو مغلي، عماد عادل مسعود (٢٠٠٨)، العلاقات الاجتماعية في القرآن الكريم: دراسة موضوعية، رسالة دكتوراه منشورة، جامعة اليرموك.
- الميمنى، عدنان عبد الرحمن (١٤١١)، التربية الأخلاقية في الآيات المكية والمدنية نمازج مقارنة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى.

- https://bit.ly/2X9d6P (٢٩,٤,٢٠١٩)
- https://bit.ly/2AluCrC (٨,٥,٢٠٢٠).

# THE CONSTRUCTION OF MUSLIM SOCIETY IN THE MAKKI SUWAR

**By**

**Kubra Ozdemir Keles**

**Supervisor**

**Dr. Abdallah A. Al-Zyout**

## ABSTRACT

This study deals with the building of the Muslim community in the Makki Suwar, it aims at highlighting the role of the Makki Suwar in building the Muslim community, the social elements mentioned in these Suwar, and the principles that constitute these elements from the doctrinal, ethical and social aspects. The study used several approaches, including: the inductive approach, the descriptive method, and the analytical method.

The study began with an introduction to the Muslim community, its components, and its foundations. It also talks about the ideological, ethical, and social characteristics of the pre-Islamic society, to highlight the importance of the Islamic society. The second chapter deals with the elements of the Muslim community in the Makki Suwar i.e., human, environment, relationships, and their creation. Finally, the origins of the Muslim community which are repeated in the Makki Suwar namely, the doctrinal, moral, and social principles were highlighted in this study.

The reason behind choosing the Makki Suwar is the lack of studies that talk about the connection of the social aspect of Islam with the Meccan era. The study concluded with several results, the most important is that building the Muslim community was one of the most important subjects of the Makki Suwar. The Muslim community was formed in the Meccan period through the establishment of the elements of this society according to the doctrinal, ethical and social principles mentioned in the Makki Suwar.

Keywords: Society, Muslim Society, Establishment of a Muslim Community, Makki Suwar.